دراسات

ليس للمعري
أدلة إضافية على تزوير الكتاب المنشور بعنوان [معجز أحمد]

محمد عبدالله العزام - الرياض

(١) في ١٩٣٦ ، في أثناء الاحتفال بالذكرى الألفية لأبي الطيب المتنبي ، نُشر كتاب بعنوان «شرح ديوان المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمّى بالتبيان في شرح الديوان» ، وقام على تحقيقه الأساتذة مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي . وليس هنا مجال الحديث عما وقع في تلك النشرة من وجوه الخلل ، ما عدا الإشارة إلى أن المحققين الثلاثة لم يوفقوا في توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه رغم أنه يتحدث عن نفسه ومشايخه بما لا ينطبق على العكبري (المتوفى ببغداد سنة ٦١٦) ، ويدل دلالة قوية على أنه كان في سن مشايخ العكبري . وقد ورد الخلل عليهم من الاعتماد على طبعة كلكتا الهندية المنشورة سنة ١٢٦١ هجرية ، والطبعات المنقولة منها دون البحث عن مخطوطات الكتاب .

ثم حقق الدكتور مصطفى جواد - رحمه الله - في بحث نفيس : أن الشرح ليس للعكبري ألبتة ، وترجح لديه بأدلة مقنعة أنه لعفيف الدين أبي الحسن علي بن عدلان الموصلي (١) . ومما قاله : إن بعض النسخ جاءت غفلاً من اسم المؤلف ، ويظهر أن بائع النسخة الهندية أو مهديها أحب أن يجعل لها مؤلفًا فاختار العكبري لشهرته ؛ لأنه رأى في ترجمته أنه شرح شعر المتنبي (٢) .

ثم أعاد المحققون الثلاثة نشر الكتاب بالتصوير سنة ١٩٥٦ ، ولم يستدركوا الخلل الذي وقع ولم يشيروا بكلمة إلى بحث الدكتور مصطفى جواد ؛ فاستقر في الأذهان أنه للعكبري ولا يزال أكثر الباحثين ينسبونه إليه ، وزاد البلاء بعد تصوير الكتاب أو تزويره مرارًا في لبنان وغيره.

(٢) والعبرة من ذلك أن توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف شرط مهم وركن أساسي من أركان التحقيق لا يصح أن يفرِّط فيه المحققون إطلاقًا ، وأنه لا يكفي أن يوجد اسم إنسان ما على كتاب لتصح نسبته إليه . وكذلك لا يصح أن يتعصب المحقق لرأي بعينه أو يندفع في نسبة الكتاب إلى المؤلف المشهور ؛ بل عليه أن يستقرئ الأدلة والقرائن في حياد وموضوعية ليصل إلى الرأي الصحيح أو الراجح. ولعل خير مثال على ذلك: ما فعله الدكتور طه حسين - رحمه الله - في نشرته لكتاب «نقد النثر» المنسوب إلى قدامة بن جعفر ، فقد جزم بأنه ليس له (٣) ، وأحسن بذلك غاية الإحسان ؛ لأن ما قاله ثبتت صحته فيما بعد عندما عثر على مخطوطة جديدة تتضمن اسم المؤلف الحقيقي .

ولكن بعضهم يندفع في توثيق الكتب التي ينشرونها بناء على شواهد وقرائن واهية ، ثم يتضح خطؤهم بعد أن يسير الكتاب في الآفاق وتشاد عليه دراسات وآراء وأحكام وقد يكون لهم بعض العذر إذا استجدت حقائق بعد نشر الكتاب ، أما إذا كانت الحقائق بين أيديهم أو قريبة منهم فلا عذر لهم .

(٣) ويظهر أن القصة تتكرر بحذافيرها وما أشبه الليلة بالبارحة !! فقد نشرت دار المعارف في سنة ١٩٨٦

كتاباً بعنوان «معجز أحمد» (وهو شرح لديوان المتنبي في أربعة أجزاء كالسابق تماما !)، منسوباً إلى أبي العلاء المعري (٤) . والكتاب حققه الدكتور عبدالمجيد دياب على سبع أو ثماني مخطوطات حديثة ، وتقدم به للحصول على الدكتوراه من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة بإشراف الدكتور أحمد الحوفي - رحمه الله (٥) .

وأيضاً لا يتسع المجال لنقد هذه النشرة التي يغلب عليها ، على ما بُذل فيها من جهد ، طابع العجلة وعدم التثبّت ، وإقدام المحقق الفاضل على البتّ في قضايا علمية كثيرة بلا أسانيد ، وهذا مثال يدلّ على ما وراءه : فقد استشهد الشارح في ٣/٢٢٧ بهذين البيتين لشاعر اسمه العَمْري :

يا ساكنَ النَّوَبِ انهضْ طالباً حلباً
نهوضَ معنى لحَسْمِ الداءِ مُلْتَمِسِ
واخلعْ حذاءَك إن حاذيتـــها وَرَعاً
كفعلِ موسى كليمِ اللهِ فـي القُدُسِ

فضبط المحقق اسم الشاعر كما رأيت ، وقال في الحاشية إنه «أمية بن أبي عائذ العمري : شاعر أدرك الجاهلية وعاش في الإسلام» وأحال على خزانة الأدب ٤٢١/١ . وهذه حاشية كلها طوامّ : أولاها أن التعريف بالشاعر منقول حرفياً من الأعلام للزركلي - رحمه الله - ٨٧/٥ ، ولكن الإحالة على الخزانة ! ؛ والثانية أن الشاعر - وهو من بني عمرو بن الحارث ، بطن من هذيل - مشهور بالهُذَلي وبعيد أن يقال له «العَمْري» فحسب ، فلابد من قرينة قوية على أنه هو مثل نسبة البيتين له في مصدر آخر. والثالثة أن ديوانه مطبوع بتمامه ضمن شرح أشعار الهذليين ٤٨٦/٢ - ٥٤٣ وكان على المحقق ، بعد أن جزم بأنه هو ، أن يرجع إلى الديوان ليبحث عن البيتين هناك (وبالطبع لن يجد شيئاً) . والرابعة أن الذوق السليم يدرك أنهما لا يكونان لشاعر جاهلي أو مخضرم بدليل ذكر حلب والقدس والاقتباس من القرآن الكريم . والخامسة أن الأول منهما لا معنى له بسبب التصحيف . أما الطامة الكبرى فهي أن «العَمْري» ليست في واقع الأمر إلا تصحيف «المعرّي» أبي العلاء الذي نُشر الكتاب باسمه! والبيتان في سقط الزند ٦٩٠/٢ من قصيدة طويلة ، وصواب البيت الأول (يا شاكي ... نهوض مُضنىً) .

وتفسير هذا الخطأ الفاحش فيما يظهر : أن المحقق بحث عن «العمري» في أعلام الزركلي فوجد الإحالة على بضعة عشر رجلاً يلقّبون بذلك ، فاختطف أوّلهم وهو أمية ابن أبي عائذ وجزم بأنه هو ! .

والخطأ لا يسلم منه أحد، ولكن تراكم أخطائه على هذه الشاكلة يدعو إلى الشك في سائر عمله ولاسيما في جزمه بنطبة الكتاب إلى أبي العلاء وتأكده بأن الكتاب لم يذكر فيه أحدلمن عاش بعد المعري .

وفي الكتهب حواش أخرى فيها مثل هذا التسرّع ولا يتسع المقام لتفصيلها .

(٤) أشار المحقق إلى أن بعض الناس أخبره بأن الكتاب لغير أبي العلاء بدليل أن المؤلف يستشهد بشعر المعري ، وأنه هو شك في ذلك (٦) ، ولكنه أعرض عن نصيحة ذلك الناصح وفرّط في تحقيق الأمر وأخرج الكتاب منسوباً لأبي العلاء دون تردد ، وأغمض عينيه عن الدلائل الكثيرة التي تشير إلى أنه لغيره وقوّى ما ظن أنه يوافق رأيه ، مع **العلم بأنه لا يوجد دليل على أنه له إلا أن بعض المخطوطات ، لا كلها ، تنسبه إليه** ، وهذا الدليل مرجوح بالقرائن والشواهد الكثيرة التي تدل على أنه ليس «معجز أحمد» وليس للمعري . وإثبات هذه الدعوى ميسور : فلو أن مخطوطاته ضاعت جميعاً ما عدا المخطوطة التيمورية التي لم يذكر فيها العنوان والمؤلف - ولعلها من أقدم النسخ - فهل كان المحقق يستطيع استنباط نسبتها إلى أبي العلاء ؟

وقال في خاتمة المقدمة : «ما أظن إلا أنني سأعود إليه في المستقبل - إن شاء الله - مرّات ومرّات : أضيف جديداً أو أزيل حشواً أو أصوّب رأياً أو أعدّل فكرة» . ونحن نتمنى أن يوفّق أولا إلى استبعاد اسم أبي العلاء من غلاف الكتاب - والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل - وثانياً إلى العثور على مؤلفه الحقيقي ، وربما

يكون المفتاح إلى ذلك هو إعداد قائمة شاملة بأسماء شرّاح الديوان ، ولا سيما المتأخرين (٧) ، ثم استبعاد من لا تنطبق عليه أوصاف الكتاب .

⑤ وهنا أمر نستطرد إلى ذكره لطرافته وهو أن المحقق كرّر في غير موضع من الكتاب : أن كتاب «تفسير أبيات المعاني» لأبي المرشد المعري ينسب خطأً لأبي العلاء (٨) . والطريف فيه أولاً أنه غير صحيح لأن الكتاب لم ينسب لأبي العلاء لا في المخطوطة ولا في المطبوعة ، ولم يذكر ناشراه شيئًا ألبتة عن نسبته لغير أبي المرشد ، وكل ما هناك أن أحد المفهرسين في معهد المخطوطات العربية تشابهت عليه الأسماء فنسب الكتاب لأبي العلاء المعري وهو لأبي المرشد المعري ، وهي هفوة يسيرة لا تستحق كل هذا التهويل . والأمر الثاني أن هذا القول يرد في الكتاب الذي نشر حقاً على الملأ باسم أبي العلاء وهو منه براء !

⑥ إنه ليسرنا أن يبقى لأبي العلاء كتاب كبير كهذا ، فإن الأيام لم تنصفه - رحمه الله وتجاوز عنه - وذهبت بأكثر مؤلفاته إلا القليل ، ولو صح له هذا الكتاب لكان أكبر كتبه الباقية أو من أكبرها . ولكن لا بد من الاطمئنان أولاً وتوثيق نسبة الكتاب إليه ، وإلا وقع الخلل والفساد في علمه وآثاره ، وحسبك فساداً أن تنسب آلاف الشروح اللغوية والأدبية التي كتبها رجل لا نعرف إلى الآن اسمه وعصره ومنزلته من العلم على وجه التحقيق - إلى واحد من أعظم علماء اللغة وعباقرة العربية .

⑦ وقبلنا تعرض الدكتور محمد عبدالمجيد الطويل إلى أمر هذا الكتاب (٩) ، وجزم بأنه لغير المعري بناء على أدلة نذكر أهمها باختصار :

* استشهاد المؤلف في ثلاثة مواضع (١٠) بأقوال أبي العلاء وأشعاره بعبارات لا يمكن صدورها منه .
* استشهاده بأقوال ابن فورجه والخطيب التبريزي (١١) وهما من تلاميذ أبي العلاء .
* النقول الكثيرة في الكتب عن المعري شرحاً لأشعار المتنبي التي لا يوجد شيء منها في هذا الكتاب .
* وجود نقل صريح من «معجز أحمد» ، يختلف كلياً عن النص الذي يقابله في الكتاب المنشور ، في «بديع القرآن» و«تحرير التحبير» لابن أبي الأصبع .
* اختلاف أسلوب الشرح ومادته العلمية عما هو معهود من أسلوب أبي العلاء وآرائه .

وقد أجاد الدكتور وأصاب في جُلِّ ما قال ، ومع ذلك لايزال في الأمر متسع للقول . وقد حرصت في هذه المقالة على الاستفادة من كلامه والإضافة إليه وعدم تكرار ما جاء به ، والأمر كما قال جمال الدين بن مالك - رحمه الله - :

وهو بسبق حائز تفضيلا

مستوجب ثنائي الجميلا

كما تطرق للموضوع الدكتور السعيد عبادة في كتابه عن أبي العلاء (١٢) وانتهى إلى أنه مزوّر .

⑧ والأساس الراسخ الذي يجب الانطلاق منه في مناقشة أمر الكتاب : أن المعري شرح ديوان المتنبي بكتابه «اللامع العزيزي» ، الذي ألفه في شيخوخته بدليل أنه أهداه للأمير عزيز الدولة بن مرداس الذي تولى إمارة حلب سنة ٤٣٣ عندما كان أبو العلاء في السبعين من العمر (١٣) . وقد تواترت المصادر على ذكر هذا الكتاب وبقي منه نصوص تعدّ بالمئات بل الآلاف في شروح ديوان المتنبي وكتب النقد والأدب المطبوعة والمخطوطة ، وهي كثيرة بما يكفي للحكم عليه وربما إعادة بنائه ، فلا مجال للشك فيه رغم أنه ضائع فيما يظهر (١٤) . وتدل النصوص الباقية على أنه كان كتابًا كبيراً ، ونص ابن عساكر الآتي يدل على أنه تفسير للديوان بأجمعه ، ولكن لا يلزم من ذلك أنه يتضمن شرح جميع الأبيات بيتًا بيتًا ، فإن المعهود من المعري أنه يفسّر ما يحتاج إلى تفسير ويتجاوز ما عداه . وربما يدل على ذلك أن مقداره مئة وعشرون كرّاسة (١٥) ، فإذا صح أن الكراسة ورقتان أو ثلاث (١٦) فإنه لا يتصوّر أن يأتي شرح خمسة آلاف وخمس مئة بيت في كتاب بهذا المقدار ، ولا سيما أن المعري يبسط القول إذا رأى حاجة لذلك .

ويجب التأكيد على أن اللامع يختلف عن هذا الشرح المنشور كل الاختلاف ، وأن هذا الشرح ، سواء صحت نسبته للمعري أم لم تصح ، كتاب آخر غير اللامع قطعاً ، فلا مجال للظن بأنهما كتاب واحد وأن أحد الناسخين مثلا أخطأ فسماه المعجز وهو اللامع في الحقيقة .

(٩) أما «معجز أحمد» فالأخبار عن وجوده وماهيته متضاربة ، ولكنها واضحة كل الوضوح فيما يتصل بهذا الكتاب : أعني أنها تشير إلى أنه ليس معجز أحمد وليس للمعري أصلاً . ولعل من المناسب أن توضع الوقائع أمام القارئ ليرى أنها - بصرف النظر عن اضطرابها وتعارضها فيما بينها - تتعاضد على إسقاط هذا الكتاب :

* فلم يرد للمعجز ذكر في فهرست كتب أبي العلاء الذي نقله القفطي وياقوت الحموي (١٧) . والفهرست المذكور دقيق جداً ومصدره أبو العلاء نفسه وجماعة من أصحابه وأعوانه، وهو تام بدليل قولهم بعد ذكر أحد الكتب «وهو آخر شيء أملاه» (١٨) . فهذا يدل بوضوح على أن «معجز أحمد» لم يوجد أصلاً ، أو أنه كان مجرد رسالة صغيرة تدخل في عموم قولهم في آخر الفهرست «وله بعض كتب في العروض والشعر بدأها ولم تتم أو تمت وشذ عنا أسماؤها» . وبعيد جداً أن يكون المعجز بهذا المقدار الكبير ويخفى عليهم جميعاً .

* ولم يذكره أحد من تلاميذ المعري الذين شرحوا ديوان المتنبي أو تناولوا شعره في كتبهم ، ومنهم أبو المرشد المعري (قريبه في النسب والزمان والمكان وابن راويته) والخطيب التبريزي وابن سنان الخفاجي . وهذه قرينة قوية جداً على عدم وجود شرح آخر .

* ولم يذكره القفطي فيما اطلع عليه من كتب المعري ، مع قرب العهد والدار وحرصه المشهور على حيازة نوادر المصنّفات وآثار أبي العلاء خاصة . وقد بلغ به الأمر أن نصَّ على كتب المعري التي سمع بها ولم يقف عليها (١٩) .

* وذكره ابن عساكر مع اللامع في سياق واحد ، وهذا نص كلامه «فممّن تكلم على شعره أجمع [أي شعر المتنبي]: ابن جني في شرح ديوانه وقد سمّاه الفَسْر ، وكتاب اللامع العزيزي **ومعجز أحمد أيضًا** لأبي العلاء المعري» (٢٠) . ولعل هذا هو النص الوحيد الذي يجمع بين الكتابين ولكنه لم يصرِّح بالوقوف عليهما ! ؛ وظاهر القول إنهما كتابان ، وربما يفهم منه أن المعجز شرح للديوان بتمامه كاللامع ، ولكن ذلك غير لازم لاحتمال أن يكون المعجز ذكر استطراداً بدليل كلمة «أيضًا» ، وليس من الضروري أن يتطابق المعطوف والمعطوف عليه من كافة الوجوه . بل إنه لا يمتنع تأويل النص ليدل على أن اللامع يسمى أيضًا «معجز أحمد» ، ولكنه لا يخلو من تكلّف .

* وذكره ابن أبي الإصبع (٢١) ضمن مصادره حيث قال «ولقد وقفت من هذا العلم على أربعين كتابًا ، منها ... وشروح أبي العلاء الثلاثة : ذكرى حبيب وعبث الوليد ومعجز أحمد» (٢٢) ، ثم نقل منه النص التالي «باب الطاعة والعصيان: هذا النوع استنبطه أبو العلاء المعري عند نظره في شعر أبي الطيب المتنبي وشرحه له من قوله ...» (٢٣) ثم ساق النص الذي استشهد به الدكتور الطويل ، وهو يدل على أن هذا الكتاب المنشور مزوَّر على أبي العلاء لأنه غير موجود فيه .

هذا النص هو أقوى الأدلة على وجود المعجز واستقلاله ؛ لأنه يتضمن التصريح بالوقوف عليه والنقل منه، ولم يصرح بذلك غير ابن أبي الإصبع من المؤلفين . ولكن يلاحظ عليه قوله «شروح أبي العلاء الثلاثة» - بهذه الصيغة الحاصرة - في سياق الإشارة إلى كثرة مصادره وليس منها اللامع مع شهرته ، وأن قوله «عند نظره في شعر أبي الطيب» ينطبق على اللامع . فمن الغريب أن ابن أبي الإصبع يغفل الكتاب المشهور لأبي العلاء ، ويذكر كتابًا لم يعرفه تلاميذ أبي العلاء ! ؛ وهذا الإشكال يزول بالمرَّة إذا افترضنا أن اللامع والمعجز عنوانان لكتاب واحد على غرار بعض كتبه الأخرى ذات العنوانين .

ولا أستبعد أن يعثر الباحثون على هذا النص في مخطوطة اللامع إذا وجدت ، أو في شذراته الباقية في

المصادر المخطوطة المشار إلى بعضها أعلاه .

فهذا كله ينشر غمامة من الشك على قيمة النص في إثبات وجود كتاب مستقل باسم «معجز أحمد» .

* ذكره ابن خلكان مع اللامع وأشار إلى أنه مختصر، وهذا نص كلامه «قال السلفي [ونقل خبراً لا حاجة لنا به] ... ولما فرغ من تصنيف اللامع العزيزي في شرح شعر المتنبي وقرئ عليه أخذ الجماعة في وصفه فقال أبو العلاء: «كأنما نظر إليّ بلحظ الغيب حيث يقول :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
وأسمعت كلماتي من به صمم

واختصر ديوان أبي تمام وشرحه وسماه ذكرى حبيب، وديوان البحترى وسماه عبث الوليد ، وديوان المتنبي وسماه معجز أحمد ، وتكلم على غريب أشعارهم ومآخذهم وما أخذ عليهم وتولى الانتصار لهم والنقد في بعض المواضع عليهم والتوجيه في أماكن لخطئهم» (٢٤) . ويوهم ظاهر النص أنهما كتابان : اللامع والمعجز وأن الأول كبير والثاني صغير.

ولكن النظرة النقدية تقلل من أهمية هذا النص ؛ لأن ابن خلكان يجمع مادته من مصادر كثيرة فلا يدل ذكر اللامع والمعجز في صفحة واحدة على كبير شيء . ويظهر أن الخبر المتعلّق باللامع مصدره الحافظ السِّلَفي كالخبر السابق عليه (٢٥) وقد أورده القفطي قبله بحروفه (٢٦) ، وليس له علاقة بموضوع البحث لأن اللامع لا خلاف على وجوده . أما الجزء المهم وأوله قوله «واختصر ديوان أبي تمام» فلا يتضح من أين أخذه ابن خلكان ، والغالب أنه من غير كتاب السلفي ؛ إذ لو كان فيه لقرأه القفطي وهو المدقق الحريص وعرف بوجود كتاب اسمه المعجز . وإذن يصبح هذا النص كالنص الوارد في «تحرير التحبير» سواء بسواء، أعني أنه يذكر للمعري كتاباً باسم المعجز ويغفل اللامع ، وينقص عنه بعدم التصريح بالوقوف عليه والنقل منه . ولا يصح أن يُسْتَنَدَ على هذا الخبر للقطع بوجود المعجز وأنه غير اللامع لأنه يمكن أن يقال إن الراوي كغيره سمّاه المعجز وهو اللامع وجعله مختصراً ؛ لأن المعري ربما شرح فيه معظم الديوان لا كله .

وقد أخذ المحقق من كلام ابن خلكان ما وافق الغرض وهو ما يتصل بوجود المعجز وأن أبا العلاء أملاه بعد اللامع، وردّ ما يتعلق بكونه مختصراً ؛ لأنه لا يطابق الكتاب الذي يحققه ! والواقع أن «الاختصار» يدل هنا على أن المعري أورد وشرح من كل ديوان ما رأى أنه بحاجة إلى شرح ولم يلتزم بشرح كل شيء (كما هو الحال في شرحه لديوان ابن أبي حصينة) . أما الاختصار لدى المتأخرين والمعاصرين فيعني تجريد الكتاب من الاستطرادات والنصوص غير المهمة على غرار «مختار الأغاني» لابن منظور ، وهذا لا يتصور في مثل الدواوين الثلاثة .

* ولم يذكر ابن العديم في «الإنصاف والتحري» أن للمعري كتاباً بهذا الاسم مع عنايته التامة بسيرة أبي العلاء ومؤلفاته ، ولكنه صرّح بأن له كتاباً في معاني شعر المتنبي مقداره ست كراريس (٢٧) – وقد مرّ بنا قول الذهبي بأن الكراسة ورقتان أو ثلاث – وعلق محققو «تعريف القدماء» بأن هذا الكتاب هو معجز أحمد (٢٨) ، وذهب محمد سليم الجندي إلى نحو ذلك (٢٩) . وهو مجرد اجتهاد منهم بلا شك ؛ لأن ابن العديم لم يذكر المعجز أصلاً ، ولا يتصوَّر أن تفي هذه الكراريس القليلة بصفة المعجز المذكورة في نص ابن خلكان المذكور أعلاه .

وذكر كوركيس وميخائيل عوّاد أن منه نسخة في معهد المخطوطات (٣٠) ، فيا حبذا لو تمكّن بعض الباحثين من مراجعتها وبحث النص الوارد في «تحرير التحبير» فيها ومقارنتها بنصوص اللامع ، فلعلها تحسم هذه القضية .

* وفيما عدا ذلك أطبق الشرّاح والمؤلفون جيلاً بعد جيل على الاحتفال باللامع وعدم الإشارة إلى وجود شرح ثان باسم «معجز أحمد» .

* نقل المحقق عن بعض المعاصرين كالميمني وجرجي زيدان وبروكلمان وبلاشير : أن اللامع والمعجز اسمان

لكتاب واحد (٢١) ، فلعل لهم ما يستندون إليه . ومن المعلوم أن القدماء لا يلتزمون بالدقة الحرفية في أسماء الكتب ، فتتعدد الأسماء والكتاب واحد . والأمثلة على ذلك لا تحصى ومنها أن عبدالقادر البغدادي ، وهو المحقق المدقق، يسمّي عبث الوليد «شرح ديوان البحتري» (٢٢) ، فربما يكون «معجز أحمد» مجرد اسم للامع العزيزي ، وربما تكون مقدمة اللامع تتضمن عبارة تدعو إلى تسميته أيضاً بمعجز أحمد.

* إن عبارة «معجز أحمد» ، التي تتضمن التورية بالقرآن الكريم ، لا تنطبق على هذا الكتاب المنشور ؛ لأن المؤلف لم يهتم بالدلالة على بدائع المتنبي التي يمكن وصفها بالإعجاز، ويبعد أن يضع المعري ، المعروف بالإحسان وتسميته الكتب ، هذا العنوان لكتاب يحتوي على شرح الجيد والرديء من شعر المتنبي .

وربما يقال : إن الناس وقعوا في دين أبي العلاء ووصموه بالزيغ والزندقة ومعارضة القرآن منذ عصره إلى اليوم ، فلا يستحيل أن ينسبوا إليه كتاباً يشير عنوانه من طرف خفي إلى وجود كتاب معجز غير القرآن ، أو يضع أحدهم «معجز أحمد» عنواناً على «اللامع» للإضرار به ، كما أضافوا عبارة «في معارضة السور والآيات» إلى عنوان «الفصول والغايات» ، ودسّوا عليه أشياء أخرى لا يتسع المجال لها . ولم أر من عاب هذا العنوان في سياق الكلام على دينه ، ولكنه غير ممتنع مادامت الشكوك تحيط بوجود الكتاب .

(١٠) هذه هي الوقائع ، ومن الواضح أنها تدور على احتمالين : فإما أن المعجز هو اللامع ، وإما أنه كان كتاباً صغير الحجم غير اللامع . وليس من الميسور الترجيح بينهما إلا بالاطلاع على المخطوطات التي حفظت جلّ اللامع ومخطوطة الكتاب الذي أشار كوركيس عوّاد إلى وجوده . ولكني أميل ، إلى أن تتضح الصورة ، إلى أن المعجز لم يوجد أصلاً وأن بعضهم أطلق على اللامع اسم المعجز لعبارة وردت فيه أو للإساءة إلى المعري أو لغير ذلك من الأسباب ؛ والله أعلم .

وعلى أي حال فإن مدار البحث وبيت القصيد في هذه المقالة هو هذا الكتاب المطبوع : هل هو «معجز أحمد» حقاً، وهل هو من تأليف المعري أصلاً . وهذه الوقائع تشير كلها إلى أنه كتاب مزور : فإنه غير اللامع قطعاً على فرض أن اللامع هو المعجز (وبالتالي فهو ليس المعجز) ، ولا تنطبق عليه صفة المعجز على القول الآخر ، وليس للمعري كتاب ثالث عن المتنبي !

(١١) هذا عن النصوص الخارجية ، وهي إذا كانت تشكّك في الكتاب فإن النقد الداخلي ينسفه نسفاً !

وأوّل ما يريب فيه : أن صاحبه التزم بشرح لديوان المتنبي بتمامه بيتاً بيتاً ، حتى الأبيات التي لا تحتاج إلى شرح ، وقد علمنا أن أبا العلاء شرح الديوان باللامع . فإذا كان قد شرح الديوان مرة واحدة ، وهو المعقول المعتاد الذي تسكن إليه النفس ، فلا شك أن هذا الشرح ليس له ، وإذا كان له فيكون قد شرح الديوان مرتين .

ويستغرَب جداً أن يشرح أبو العلاء ديوان المتنبي مرتين : فالديوان كبير والعمر قصير ، والشرحان في الغاية القصوى من التفاوت والاختلاف في العبارة والمنهج والترتيب والمادة العلمية ، وليس هناك نص تاريخي يفسر حاجة أبي العلاء إلى تأليف شرح آخر غير اللامع . ويستوي في الغرابة أن يكون أملاه بعد اللامع أو قبله ، فإن كان قبله فكيف لم يحفل به التلاميذ والشرّاح والنقاد احتفالهم باللامع ! ، وكيف سقط من فهرست كتب المعري رغم حجمه الكبير ! ، وإذا كان بعده - وهو الذي ذهب إليه المحقق ليبرّر سقوطه من الفهرست - فكيف يؤلف اللامع وقد تجاوز السبعين من العمر ثم يؤلف شرحاً آخر وهو في الثمانين مثلاً ! ، فهل استجد في علمه ما يدعو إلى ذلك ! ، وكيف لا يكون بين الشرحين تشابه أو تكرار ، وكيف لم يشر في هذا الشرح الأخير إلى اللامع على الإطلاق !

فهذه ظلمات بعضها فوق بعض ، دون جلائها خرط القتاد ، وأيسر من ذلك : إسقاط الكتاب جملة ورفض صلته بالمعري .

وقد تنبه المحقق إلى هذا الإشكال فلم يُعِره ما يستحقه من اهتمام ، وتخلّص منه بدعوى أنه لا غرابة في أن يشرح أبو العلاء الديوان مرتين وهذا ابن جني قبله شرحه مرتين (٣٣) . وهي دعوى لا تخلو من مغالطة : لأن ابن جني شرح الديوان بتمامه مرة واحدة بكتاب «الفسر» المعروف ، أما الكتاب الآخر – وهو «الفتح الوهبي» وقد يسمى أحياناً «الفسر الصغير» – فهو شرح لأبيات بعينها من شعر المتنبي وليس شرحاً للديوان بتمامه ، والكتابان مطبوعان ، والمحقق نفسه ذكر الأمر على الصواب في موضع آخر (٣٤) . ومع وضوح ذلك يصح أن يقال إنه شرح الديوان مرتين ؛ لأنه لا يلزم منه أن الشرحين متشابهان من كل الوجوه ، وإذا ثبت أن للمعري كتاباً آخر حول شعر المتنبي فإنه يجوز أن يقال أيضاً : إنه شرح الديوان مرتين فهذا كله لا إشكال فيه ، والإشكال إنما هو حاجته إلى شرح الديوان بتمامه مرتين بهذا الاختلاف .

نعم ، حدث في تاريخنا العلمي والأدبي قديماً وحديثاً أشياء من ذلك كشروح التبريزي على الحماسة وهي ثلاثة ، ولكن النصوص التاريخية تفسر أسباب التكرار في الغالب ، فقد يكون أحد الشروح مطولاً والآخر مختصراً ، أو لا يرضى المؤلف عن الشرح الأول فينشط لتأليف شرح جديد يكون في الغالب مؤسساً على الشرح الأول ، أو لغير ذلك من الأسباب التي تبرر عودة المؤلف إلى شرح كتاب فرغ منه فيما مضى .

(١٢) بل إنه لا يوجد لدينا دليل صريح أصلاً على أن أبا العلاء شرح الديوان مرتين . وهنا يزعم الدكتور دياب أن المصادر «تنادي بأعلى صوتها بأن أبا العلاء شرح ديوان المتنبي مرتين» (٣٥) . وهذه من عثراته العديدة ، فإن هذا النداء لا يكاد يسمعه أحد ! ؛ والعمدة فيه هو نص الحافظ ابن عساكر – رحمه الله – وقد مر أعلاه ، وعبارته ليست نصاً صريحاً في أن المعجز كان شرحاً كبيراً كاللامع ، ولم ترد فيه كلمة «مرتين» ، ولم يصرح فيه بالوقوف على اللامع والمعجز معاً ويذكر سبب تأليفهما ويفاضل بينهما .

وإذا افترضنا أن المعجز كان كتاباً صغيراً فما أسهل توجيهه في ذلك الاتجاه .

وأنا أزعم أن المعري لو شرح الديوان بتمامه مرتين لسارت بذكره الركبان وتواترت عليه المصادر وحرص الشراح والنقاد ، ومنهم بعض تلاميذه ومحبيه ، على الاقتباس من الشرحين معاً والمقارنة بينهما (٣٦) . ولو فعل لكان الشرح الثاني امتداداً للشرح الأول أو مختصراً منه ، ولا يعقل أن يتعمّد فيه مخالفته في كل شيء ، ولو وقع لانتشر خبره وطار ذكره في الآفاق ؛ لأنه يكون ألزم نفسه بما لا يلزم وجاء بما لا يستطيعه غيره ! وهل ثمت أشق من شرح خمسة آلاف وخمس مئة بيت من الشعر مرتين بلا تكرار !

(١٣) وكثرة نسخ الكتاب لا تقوّي نسبته لأبي العلاء لأمور: أنها جميعاً نسخ متأخرة من العصر العثماني ، وليس فيها نسخة مسندة ، وأنها لم تتفق على اسم الكتاب وأنه للمعري (وعلى ما يأتيك تفصيله) ، **وأنها ، رغم انتشارها في البلاد ، تتفق على أمر في غاية الأهمية وهو سقوط المقدمة وشرح القصيدة الأولى وبعض الثانية وتلفيق ما سقط من شرح الواحدي بالذات .**

وأيضاً لم يلتفت المحقق لأهمية هذا الخرم وعمق دلالته على تزوير الكتاب ، أعني أنه يشير بكل وضوح (أي ينادي بأعلى صوته حقاً !) إلى أن النسخ تنحدر من أصل واحد معيب (٣٧) ، وأنه إذا كان قد حدث تزوير مثلاً في النسخة الأم فسوف يسري إلى جميع النسخ اللاحقة ، وإذن فكثرة نسخ الكتاب لا تعني شيئاً ما دام الدليل قد قام على انحدارها جميعاً من أصل واحد .

ولا ريب في أن سد الخرم من شرح آخر له دلالة مهمة على وقوع تزوير لأن صاحب تلك النسخة الأم – ولعله كان ورّاقاً – كان يستطيع أداء الكتاب كما هو مع الإشارة إلى ضياع أوراق من أوائله ، ولكنه آثر ترميمه لستر العيب الذي وقع فيه وتضليل المشتري أو المُهْدى إليه .

ومن فعل ذلك لا يصعب عليه أن يقرأ لدى ابن خلكان مثلاً أن المعري له كتاب باسم «معجز أحمد» فيضعه على نسخته التي تصبح فجأة فريدة في العالم ! وقد حصل مثل ذلك في «التبيان» كما أوضحه الدكتور مصطفى جواد ، ووقع مثله في كتب أخرى للمعري مثل «اللامع العزيزي» الذي وضعوا اسمه على عدد من المخطوطات أشار المحقق إلى بعضها (٣٨) ، ومثل مخطوط «شرح الحماسة» الذي لا شك في أنه لغير أبي العلاء كما حققه الدكتور الطويل وغيره من الباحثين (٣٩) . ولا حاجة للتوسع في الحديث عن تزوير المخطوطات وإلصاقها بالمشاهير وضرورة الحذر من ذلك (٤٠) . ومع ذلك جازت هذه المخطوطات المزوّرة على بعض المعاصرين فنسبوها إلى العكبري والمعري واستشهدوا بها في أبحاثهم ، وأخشى - بل أجزم - أن الدكتور عبدالمجيد دياب وقع في هذا الفخ حين نشر الشرح منسوبًا للمعري !

(١٤) وأشار المحقق إلى أن نسخة ميونيخ تزيد على غيرها بتلفيق المقدمة ، أي خطبة الكتاب ، من شرح الواحدي (٤١) . وهذه باقعة أخرى تدل على أن كاتبها كان يعرف أن الأوراق الأولى ملفّقة من شرح الواحدي فنقل المقدمة من هناك ولم ينقلها من أي شرح آخر .

والواقع أن النسخ تحتاج إلى تحقيق من جهة خطوطها وأحبارها وأوراقها ، فربما تتضح حقائق أخرى عن كيفية حصول التزوير .

(١٥) وثمت أمر آخر عظيم الأهمية ، **وهو أن ضياع صدر الكتاب يعني بالضرورة ضياع ورقة العنوان ؛ لأنها أول ورقة في الكتاب** . وبناء عليه فإن الذي يحتاج إلى تلفيق المقدمة يحتاج قبل ذلك إلى تلفيق الصفحة الأولى التي يكون فيها عنوان الكتاب واسم مؤلفه ، ولكن المحقق لم يتطرّق إلى هذا الجانب مطلقًا .

(١٦) والمحقق يعلّل ضياع أول الكتاب (بالتخزين المنبطح) كما يقول «أي وضع الكتاب فوق الآخر على الرف فتتمزّق أطرافها عند تناولها» ، وهو ممكن ولكنه لا يدل على شيء في موضوع البحث ؛ لأنه لا فرق إذا حصل التزوير بين سقوط الأوراق سهوًا أو عمدًا .

ثم عثر على كلمة القفطي عن أسباب ضياع كتب أبي العلاء وهي قوله : «وأكثر كتب أبي العلاء هذه عُدِمت وإنما يوجد منها ما خرج عن المعرة قبل هجم الكفار عليها وقَتْل من قتل من أهلها ونهب ما وجد لهم ، فأما الكتب الكبار التي لم تخرج عن المعرة فعدمت وإن وجد شيء منها فإنما يوجد البعض من كل كتاب ، فمن ذلك كتاب الأيك والغصون... وإسعاف الصديق وقاضي الحق ... إلخ» (٤٢). وهذا النص ذو دلالة عامة ولا يتجه إلى هذا الكتاب بالذات، والقفطي كما مر أعلاه لم يطلع على المعجز ولم يعرفه أصلاً، ولكن المحقق صرف النص وجعله يفسّر سقوط هذه الأوراق ؛ لأن بعض الناس في ظنه ربما يكون أسقطها ليموّه على الروم وينقذ الكتاب من الإعدام (٤٣) ، ولعله يعني أن الذي فعل ذلك استدرك العنوان من الذاكرة ولم يستطع استدراك بقية الأوراق . وواضح مدى التعسف في هذا الظن الذي لا دليل عليه، فالخبر يتعلق بفناء الكتب والمكتبات ودور العلم في معرّة النعمان على يد الصليبيين كما حصل في حلب وطرابلس ونيسابور وبغداد وقرطبة وغرناطة وغيرها من عواصم الإسلام ، وقد حدثت هذه الكائنة سنة ٤٩٢ ، أي بعد موت الشيخ بأربعين سنة ونيف (٤٤) ، فلا شك أن كثيرًا من كتبه اندثر حينذاك . أما تفسير المحقق فلا يخلو من الخيال والطرافة ولكنه مجرد خيال ؛ لأن الخبر لا يدل عليه ، ولا يتصوّر أن الروم كانوا يفتّشون الناس أثناء خروجهم من المعرة ، ولا يتصوّر أنه كان لديهم عداوة خاصة لأبي العلاء بحيث كانوا يتصفحون عناوين الكتب التي مع الناس وهي باللغة العربية ! فإذا كانت لأبي العلاء أخذوها وإذا كانت لغيره أجازوها ، وهذا الرجل المجهول الذي يتكلّف ذلك كله ويخاطر بحياته لإنقاذ أثر من آثار أبي العلاء لا يعجزه أن يطلب نسخة أخرى ليستدرك ما سقط من نسخته ، ولو عجز ما كان يضرّه أن يروي الكتاب على حاله مع الإشارة إلى سبب النقص فيه .

بل إن هذه الحكاية لو وقعت لذكرها المؤرخون لغرابتها وطرافتها وعظم العبرة فيها ، ولكنها لم تقع أصلاً كما سيأتي أدناه .

(١٧) وقد اضطربت النسخ في عنوان الكتاب ونِسْبته إلى المعري : فالنسخ الأربع عشرة التي رآها المحقق أو سمع بها : إما أنها نسبته إلى المعري وسمته معجز أحمد (وهي نسخة إستانبول المكتوبة سنة ١٠٥٧ ، ونسختي القاهرة وتونس وكلاهما مكتوب سنة ١٠٥٩ ، ونسخة بطرسبرج المكتوبة سنة ١٠٦٢ ، ونسخة المتحف البريطاني الثانية المكتوبة سنة ١٠٧٦) (٤٥) ، أو نسبته إلى المعري بلا عنوان (وهي نسخة الأمير شكيب أرسلان التي لم يذكر تاريخها) ، أو نسبته إليه بعنوان اللامع العزيزي (وهي نسخة مكتبة طلعت بالقاهرة) ، أو أنها تخلو من المؤلف والعنوان بالكليّة (وهي نسخة أوغلي المكتوبة سنة ٨٣٢ (٤٦) ، ونسخة المتحف البريطاني الأولى التي يظن أنها من القرن التاسع ، ونسختي ميونيخ والتيمورية ويظن أنهما من القرن العاشر) ، أما النسخ الأخرى فلا نعرف عنها شيئاً ؛ لأن المحقق لم يطّلع عليها .

فهذا التفاوت الشديد بين النسخ في العنوان واسم المؤلف يضعف الثقة بها ويكاد يشير إلى أن يداً أو أيادي عبثت بها قصداً لغش الذين يشترونها أو تهدى إليهم (كما حصل في الشرح المنسوب للعكبري) . وإذا وقع الشك في المخطوطات سقط الكتاب ؛ لأنه لا يوجد دليل غيرها على نسبته للمعري وأنه معجز أحمد .

وأكثر غرابة من ذلك : أن النسخ الأربع القديمة نسبياً لا تنسب الكتاب للمعري ، وأن النسخ التي تنسبه للمعري هي نسخ شامية مكتوبة بتواريخ متقاربة في منتصف القرن الهجري الحادي عشر ، وبعضها نسخ خزائنية مذهّبة . فهذا التقارب في التواريخ مريب جداً ، ويكاد يشير إلى أن التزوير حصل في منتصف القرن الحادي عشر في بلاد الشام . وأظن أن الورّاقين هناك عمدوا إلى وضع اسم أبي العلاء على شرح مجهول المؤلف للتدليس على هواة الكتب من سراة الدولة العثمانية، ثم قرأوا أن للمعري كتاباً بعنوان «معجز أحمد» فأضافوه إلى المخطوطات استكمالاً للتزوير !

وما أسهل تزوير العنوان وما أصعب تزوير متن الكتاب على أبي العلاء خاصة !

(١٨) ومن الأدلة القوية ، بل القاطعة ، على أن الكتاب لغير أبي العلاء : خلوّه تماماً من ذكر محمد بن عبدالله بن سعد النحوي راوية المتنبي الذي جلس إليه المعري في صباه وروى عنه الديوان (٤٧) . وفي النصوص الباقية من اللامع أشياء من هذه الرواية العالية تتصل برواية بعض ألفاظ الديوان . فمن المحال أن يؤلف أبو العلاء كتاباً بهذا الحجم، لا تكاد صفحة منه تخلو من ذكر روايات ابن جني أو بلفظ البناء للمجهول «رُوِي» ، ثم يغفل عن ذكر شيخه راوية المتنبي !

وقد ذكر أبو العلاء في اللامع رجلاً آخر رأى المتنبي في مجلس كافور ، وهو الشريف محمد بن أحمد العلوي (٤٨) ، ولا ذكر له في الكتاب ، ولا ذكر فيه لأحد من مشايخ أبي العلاء وأقرانه في الشام والعراق ، بينما ذكر في المجاهيل أمثال البخاري والبرقعي وصاحب الجليل !

(١٩) وأيضاً ليس في الكتاب أية إشارة تاريخية -أي ذكر إنسان أو كتاب أو حادثة أو مكان - تدل على أنه لأبي العلاء ، مع أن كتبه الأخرى لا تخلو من إشارات إلى نفسه ومعاصريه ، وكثير من جزئيات سيرته مصدرها هذه الإشارات، وفيما بقي من اللامع عدة أشياء من هذا القبيل. أما هذا الشارح فإن غاية ما أفاد به عن نفسه أن له كتاباً في القوافي (٤٩) ، وليس فيه كثير فائدة ؛ لأنه ينطبق على عدد من شرّاح الديوان ، وكل من يتصدى لشرح الديوان يستطيع تأليف كتاب في القوافي .

(٢٠) ومما يعزّز الشك في الكتاب : غرابة التعارض بين وفرة مخطوطاته في عصرنا (٥٠) وانتشارها في المملكة العربية السعودية ومصر والشام وتركيا وتونس وروسيا وبريطانيا وألمانيا وغيرها من البلاد ، وما يقابله من خمول ذكره في القرون الماضية وأنه لم يطّلع عليه أمثال ابن

فورجة والثعالبي والخطيب البغدادي والباخرزي والواحدي وأبي المرشد المعري والخطيب التبريزي وأسامة بن منقذ وابن الجوزي وسبطه والقفطي وياقوت الحموي وابن الأثير وابن العديم وابن عدلان الموصلي (صاحب التبيان) وابن أبي الإصبع وابن خلكان وابن الوردي وابن فضل الله العمري والبديعي والسيوطي وابن شاكر الكتبي وعبدالقادر البغدادي وحاجي خليفة وإسماعيل البغدادي وكثير غيرهم من الشرّاح والأدباء والنقّاد والبلاغيين وكافة العلماء الذين كان لهم عناية واهتمام بالمتنبي أو المعري أو كليهما [٥١] .

فهؤلاء : إما أنهم لم يذكروا «معجز أحمد» أصلاً مع قيام الحاجة إلى ذكره ، وإما أنهم - ولا سيما ابن أبي الإصبع وابن خلكان ومن نقل عنهما - وصفوا كتاباً غير هذا الكتاب ولم يأت بعدهم من يصحّح كلامهم بناء على رؤيته لهذا الكتاب . والحاصل أنهم جميعا لم يقفوا على هذا الكتاب ، وأننا لا نعرف شيئًا عن رحلته عبر القرون فكأنّه خرج علي عصرنا من سرداب مظلم !

(٢١) ولم يلتفت المحقق الفاضل إلى هذا الإشكال ، وفسّر إعراض القدماء عن الكتاب بأن شهرة اللامع غطت عليه ؛ لأنه ألّف قبله فاتجهت إليه الأنظار [٥٢] . وهو كما ترى مجرد ظن غير مقنع لأسباب كثيرة أهمها أن الكتابين مختلفين تمام الاختلاف فلا يغني أحدهما عن الآخر مطلقًا، وتلاميذ المعري من علماء اللغة والأدب وهم كثيرون لا يخفى عليهم كتاب كبير كهذا ، ولو كان لشيخهم كتاب غيره في موضوعه وهم ليسوا ممن يكتفي بقراءة العناوين ! ؛ بل إن وجود شرحين مختلفين من شأنه أن يغريهم بالاطلاع عليهما معًا والمقارنة بينهما والاقتباس منهما . وحسبك في هذا الصدد أن أبا المرشد سليمان بن علي بن محمد بن عبدالله بن سليمان المعري - وهو حفيد أخي الشيخ [٥٣] وابن كاتبه وراويته [٥٤] ، ويظهر أنه رآه وأخذ عنه [٥٥] - نقل في كتابه عن المتنبي مئات النصوص من اللامع ، ولم يُخْفِ شدة إعجابه بالشيخ وإكباره إياه ، ومع ذلك لم يذكر شيئًا ألبتة عن وجود شرح آخر . وهذا وحده دليل قوي أو حاسم على تزوير الكتاب - وأيضًا على عدم صحة ما ذكره المحقق عن أسباب ضياع المقدمة - لأن أبا المرشد تقلد القضاء في معرة النعمان وغادرها عند استيلاء الصليبيين عليها سنة ٤٩٢ ، وهي الكائنة التي قال القفطي إنها أذهبت أكثر كتب أبي العلاء ، أي أنه عاش طويلاً في المكان والزمان والمحيط العلمي والعائلي الذي كانت فيه ذكرى الشيخ حية وكتبه موجودة حاضرة ، وكلاهما ألف كتابًا عن المتنبي ، فلو وُجِد هذا الشرح المزعوم لكان أبو المرشد أولى الناس بمعرفته وأحرصهم على الاطلاع عليه.

(٢٢) أشار الدكتور الطويل إلى اقتباس الشارح من ابن فورجة في موضعين ١/١٤٩ و ٣ /٢٣١ . ولست أقضي العجب من صنيع المحقق وشدة حرصه على إلصاق الكتاب بأبي العلاء : فقد مر على هذين الموضعين - وأشياء غيرهما - ولم يجد ما يدعو للتعليق عليهما بكلمة، مع وضوح التعارض بينهما وبين اسم أبي العلاء على غلاف الكتاب !

ولا شك في أن ذكر ابن فورجة يعد حجة قوية على التزييف ، لأنه تلميذ المعري ولا حاجة للمعري بأقواله . ولكن يجب أولاً تقرير صلته بأبي العلاء .

لقد اضطرب المترجمون اضطرابًا كبيرًا في أمره وبخاصة في تاريخ مولده ووفاته ، فورد في معجم الأدباء أنه «ولد في ذي الحجة سنة ثلاثين وثلاثمائة وكان حيا سنة خمس وخمسين وأربعمائة» [٥٦] ، ورغم التباعد بين السنتين لم يعقّب عليه ياقوت بما يدل على غرابة الأمر ، فيكون إذن معاصرًا للمتنبي المقتول سنة ٣٥٤ وأكبر سناً بثلاث وثلاثين سنة من المعري المولود سنة ٣٦٣ . فهذا يدل على أنه عاش أكثر حياته أو كلها في القرن الرابع . وفي المقابل ورد ما يشير إلى أنه كان من أهل القرن الخامس ، ومن ذلك ما جاء في كتاب ياقوت بأنه كان حيًا سنة ٤٥٥ ، ونقل ابن شاكر الكتبي عن ياقوت أن مولده في ذي الحجة سنة ٣٨٠ [٥٧] ، وهو خلاف ما في المعجم . وذكر القفطي أنه كان متصدرًا للإفادة بالري في سنة ٤٤٠ [٥٨] ، وجاء

في موضع من كشف الظنون أنه كان حياً سنة ٤٢٧ وفي موضع آخر أنه كان حياً سنة ٤٣٧ (٥٩) ، وأغرب عبدالكريم الدجيلي محقق كتاب «الفتح على أبي الفتح» فأثبت على الغلاف في الطبعتين أن مولده كان سنة ٤٠٠ ، ولكنه لم يذكر هذا القول الشاذ في مقدمة التحقيق أصلاً !

وكذلك اضطربت المصادر في اسمه بين محمد بن حَمْد بن محمد ، وبعضها يضع «أحمد» في موضع «حمد» (٦٠) . واختلفوا أيضاً في ضبط لقبه بين «فُورَّجة» و «فُورَجَة» والأول أرجح ، وورد في موضع من كتاب ياقوت «فرجة» بلا واو (٦١) .

وكلها أقوال غير محررة ويعارض بعضها بعضاً ، وقد يُحتج ببعضها لتصحيح نسب الكتاب ؛ لأنه يجوز أن ينقل أبو العلاء عنه ما دام أبو علي ولد قبله بثلاث وثلاثين سنة . والقول الفصل الذي لا شك فيه هو ما ورد عنه في سقط الزند وشروحه ، وخلاصته أن ابن فورجة قرأ ديوان المتنبي على المعري في بغداد في حدود سنة ٣٩٩ هجرية ، ومدحه بقصيدة فأجابه عليها أبو العلاء بقصيدة رائعة (٦٢) ، وفيها ما يدل على أن أبا علي كان حديث السن آنذاك وهو قوله :

بهرت ويوم عمرك في شروق
فدام ضحى ولا بلغ الأصيلا

وجاء في خاتمة كتاب الفتح ما يؤيد حداثة سنه وهو قوله عن ابن جني المتوفى سنة ٣٩٢ : «وبودنا لو أدركنا القراءة عليه والاستفادة منه» (٦٣) ، كما صرح مرات عديدة في الكتاب بالسماع من «الشيخ» أبي العلاء . فهذه الشواهد - وعدم استغراب ياقوت لطول عمره - تشير إلى أن تصحيفاً وقع في تاريخ مولده في معجم الأدباء ، ولعل مولده كان في سنة ٣٨٠ فتصحفت «ثمانين» إلى «ثلاثين» ويظهر أنه تصحيف قديم لأنه كذلك في بغية الوعاة ولكنه وقع على الصواب في نسخة ابن شاكر (٦٤) . وإذا كان الأمر كذلك يكون بقاؤه إلى سنة ٤٥٥ معقولاً جداً ولا يخرج عن المعتاد .

ونص أبو العلاء في القصيدة على أنه «ابن حَمْد» ، وكنايته بأبي علي ، وأنه فارسي ، وأن له معرفة بالعروض والهندسة ، وربما يفهم منها أيضاً أنه كان يطمح إلى معالي الأمور ، كما نصت مقدمة القصيدة على أن اسمه «محمد بن حمد بن محمد بن فورجة» .

والحاصل أنه - بصرف النظر عن ذلك كله - كان تلميذ أبي العلاء وأصغر منه سناً ، وأن اقتباس الشارح منه يدل على أن الشرح لغير أبي العلاء وأن الشارح متأخر عن عصره . ويحيك في صدري والله أعلم أنهما رجلان : أب وابنه ، وأن المصادر خلطت بينهما وركّبت منهما رجلاً واحداً ولد سنة ٣٣٠ وعاش إلى سنة ٤٥٥ وما بعدها ، والأمر يحتاج إلى مزيد بحث (٦٥) .

(٢٣) ثم اتضح أن أمر الشارح أكبر من مجرد الاستفادة العارضة من كتاب ابن فورجة ، فقد كنت أقرأ في الكتاب ١/ ٤٩ شرح هذا البيت :

أمط عنك تشبيهي بما وكأنه
فما أحد فوقي ولا أحد مثلي

قال ، وننقل النص بتمامه ليتضح أن الأمر لا يكون مجرد توارد في الخواطر : « قد أكثر الناس في هذا البيت من حيث أن (ما) ليست من أدوات التشبيه ، فقال ابن جني: إن المتنبي كان يجيب إذا سئل عن هذا البيت بأن يقول : تفسيره أنه كان كثيراً ما يشبه فيقال كأنه الأسد وكأنه البحر ونحو ذلك ، فقال هو معرضاً عن هذا القول (أمط عنك تشبيهي بما وكأنه) فجاء بحرف التشبيه وهو (كأن) وبلفظ (ما) التي كانت سؤالاً فأجيب عنها بكأن التي للتشبيه وأدخل (ما) للتشبيه لأن جوابها يتضمن التشبيه فذكر السبب والمسبب جميعاً . وقال القاضي أبو الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني : إن المتنبي سئل فذكر أن (ما) تأتي لتحقيق التشبيه ، تقول (ما عبدالله إلا الأسد وإلا كالأسد) : تنفي أن يشبه بغيره ، فكأن قائلاً قال (ما هو إلا كذا) وآخر قال (كأنه كذا) فقال : (أمط عنك تشبيهي بما وكأنه) . و(ما) في التحقيق للنفي في هذا الموضع

ولكنها تضمنت نفي الأشباه سوى المستثنى منها ، فمن هذا الوجه نسب التشبيه إلى (ما) و (كأن) إذا كان له هذا الأثر» .

تذكرت أنني رأيت هذا النص في كتاب أبي المرشد المعري فرجوت أن يكون نقله عن أبي العلاء لتصح نسبة الكتاب إليه ! ، ولكني وجدته ينسبه إلى ابن فورجة ! (٦٦) فهذا نص قاطع على التزوير - وما أكثر النصوص القاطعة - لأن أبا العلاء ، إذا أمكن جدلاً أن يستشهد بقول تلميذه ابن فورجة ، لا يمكن أن يسطو عليه لأسباب كثيرة تتصل بسعة علم أبي العلاء وخلقه وأمانته ، وابن فورجة على قدر من الفضل والعلم وعلو الهمة وشدة الإعجاب بشيخه بحيث لا يتصوّر أن يغير على أقواله ، ولو فعل ذلك لما جاز على سائر شراح المتنبي ولا سيما أبا المرشد الذي ما كان لينسب كلام عم أبيه إلى ابن فورجة !

والنص المذكور بحروفه تقريبا في كتاب ابن فورجة (٦٧) ، ونُسِب إليه في كثير من المصادر ، فلا مجال للشك في أنه قوله . وله بقية مهمة لم يأخذها الشارح وهي : «والذي عندي ما أقوله - وهو فائدتي من الشيخ أبي العلاء المعري وليس مما استنبطته - وهو أن تكون (ما) التي تصحب كأنّ ... إلخ» ، فمن الغريب ألا يوجد القول الذي لا شك أنه قول أبي العلاء في هذا الشرح المنسوب إليه ، بينما يوجد فيه القول الذي لا شك في أنه قول تلميذه ابن فورجة !

(٢٤) ثم اتضح أن الشقّ أكبر من ذلك ، فإن النص السابق دعانا للمقارنة بين نصوص الفتح وما يقابلها من الشرح ، فكانت النتيجة برهانًا ساطعًا على التزوير ؛ لأن الشارح أغار مباشرة أو بالواسطة على كتاب ابن فورجة فنقل منه عشرات النصوص والآراء بلا أدنى إشارة إليه .

ولا بأس بالإشارة هنا إلى مكانة ابن فورجة بين شرّاح المتنبي : فقد اقتصر لفطنته ونباهته على شرح الأبيات التي أغفلها الشارح الأول ابن جني أو زلّ فيها ، ولم يتعرض لما شرحه على الصواب ، فسبق غيره إلى سد ثغرات الفَسْر وصار قوله رديفًا لقول ابن جني ، فإذا وجد قولان في شرح البيت الواحد فالغالب أن أحدهما قول أبي الفتح والآخر قول أبي علي ، ولذلك حرص المتأخرون على نقل قوليهما معًا بلا نسبة إليهما في كثير من الأحيان .

(٢٥) وإليك عددًا من النصوص التي جاءت في الشرح غير منسوبة ولا شك أنها لابن فورجة ، وموضعها من الكتابين ، مع العلم بأن بعضها ورد في الشروح الأخرى منسوبًا إليه :

* قال في شرح بيت المتنبي ١ / ١٧٤ :

اليوم عهدكم فأين الموعد
هيهات ليس ليوم عهدكم غد

«يقول : اليوم لقاؤكم وهو آخر اليوم الذي اجتمعنا فيه فعرِّفوني أين الموعد للقاء الثاني» . ويقابله من الفتح ١٠٩ بعد إيراد قول ابن جني «وإنما معناه : اليوم عهدكم، أي اليوم آخر يوم اجتمعنا فيه فعرفوني متى الوعد باللقاء إذا افترقنا» .

* وقال في شرح بيت المتنبي ١ / ١٨٨ :

أنى يكون أبا البرايا آدم
وأبوك والثقلان أنت محمد

«يريد : إذا كنت أنت الثقلين وأبوك محمد فأبو البرية إذن أبوك لا آدم» ، وفي الفتح ١١٣ «يريد : أنه إذا كنت أنت الثقلين وأبوك محمد فإذن أبو البرية أبوك لا غيره» ، وواضح مدى التطابق بين النصين .

* وقال في شرح بيت المتنبي ٢ / ٤١ :

ظلوم كمتنيها لصب كخصرها
ضعيف القوى من فعلها يتظلم

«يقول : متنها قوي ممتلئ وخصرها دقيق نحيف فهي تظلم العشاق كما يظلم متناها خصرها لأنهما يكلفانها فوق طاقتها ، وعاشقها ضعيف القوة كخصرها . وقوله (من فعلها يتظلم) ليس فيه كبير فائدة إلا إتمام البيت ، ولو قال بدل (المتن) (الردف) لكان أولى لأن المتن لا يوصف في الشعر بالعبارة والفخامة [كذا] وإنما يذكر

بالاهتزاز والرشاقة ، ويوصف الردف بالعظَم . وهذا البيت مأخوذ من قول خالد الكاتب :

صبا كئيباً يتشكى الهوى
كما اشتكى نصفك من نصفكا»

وهذا الكلام كله تجده بالحرف أو المعنى في الفتح ٣١١ .

* وقال في شرح بيت المتنبي ٢ /٨٣ :

نفذت عليَّ السابريَّ وربما
تندق فيه الصعدة السمراء

«وقيل أراد أن عينك وصلت إلى قلبي وجرحته ولم تخرق الدرع ولا القميص ، كما قال :

راميات بأسهم ريشها الهد
ب تشق القلوب قبل الجلود»

والقائل هو ابن فورجة والنص بحروفه تقريباً في كتابه ٤٨ .

* وفي شرح بيت المتنبي ٢ / ٢٧٥ :

دون التعانق ناحلين كشكْلتي
نصب أدقَّهما وضمَّ الشاكل

قال تعليقا على اختيار المتنبي كلمة (نصب) بدلا من (فتح) : «وقد احترز في ذلك عن البناء لأن الشكلتين إذا اجتمعتا في النصب كانتا تنويناً والتنوين يختص بالنصب ؛ لأن الفتح لا يكون تنويناً» . وأصل هذه الملاحظة الدقيقة لأبي علي في كتابه ٣٦٣ وهو هناك بأطول مما هنا .

* وفي شرح بيت المتنبي ٢ / ٥١٠ :

أتى خبر الأمير فقيل كَرّوا
فقلت نعم ولو لحقوا بشاش

قال ما يلي بعد أن فسره على رواية (كَروا) بفتح الكاف : «وروي (كُـروا) [أي بضم الكاف] على الأمير، والمعنى: أتى خبر الأمير بظفره بالعدو فقيل لنا : يا معاشر أصحابه اللائذين به كروا ، فقلت نعم ولو كانوا بشاش ، أي لو كان البعد بيننا وبين الأمير مثل ذلك للحقنا به ، وقوله بعد ذلك (وأسرجت الكميت) يدل عليه» . والكلام بحروفه تقريباً في الفتح ١٦٥، وهذا النص مهم جداً ؛ لأن راوي فتح الكاف هو ابن جني ، فعقب عليه ابن فورجة بأن غيره روى البيت بضم الكاف وأنه كذلك في النسخ التي رجع إليها .

* وفي شرح بيت المتنبي ٣ / ١٥٨ :

كأجناسها راياتها وشعارها
وما لبسته والسلاح المسمم

قال «وقيل في معنى البيت وجوه ... وثالثها : معناه أن جنسها كالحديد في صبره على التعب والقتال ، ونداؤهم باسم الحديد لأنهم يتنادون بشعار سيف الدولة (المنصور) ، والسيف حديد ، وما لبسته من التجافيف والجواشن وهي أيضاً حديد ، والسلاح حديد ، وعلى الرايات اسم سيف الدولة وهو حديد ، ولأنه جعل الرماح رايات» . ولا يشك من طالع الفتح ٢٨٣ أنه مصدر هذا القول .

* وشرح بيت المتنبي ٣/٢٢٣ - ٢٢٤ :

إذا استقبلت نفس مصابها
بخبث ثنت فاستقبلته بطيب

والبيت الذي يليه بما لا شك في أنه من الفتح ٧٧ - ٧٨ .

* وشرح بيت المتنبي ٣ / ٢٢٨ :

ذكرت به وصلا كأن لم أفز به
وعيشا كأني كنت أقطعه وثبا

قائلا «كأنه لم يكن ، كما قال عبدالصمد بن المعذل :

شباب كأن لم يكن وشيب كأن لم يزل

وتذكرت عيشا كان من قصره وقِصَر أوقاته وكل نعمة فيه كأنه قِصَر وقت الوثب ، فكل زيارة من الحبيب وثبة وكل ساعة من اللقاء والاجتماع وثبة ... وفيه معنى بديع ومبالغة حسنة» . ولا ريب في أن هذا القول مختصر من كلام أبي علي في كتابه ٧٨ - ٧٩ .

* وأورد في شرح بيت المتنبي ٣ / ٢٧٠ :

وقد أراني الشباب الروح في بدني
وقد أراني المشيب الروح في بدلي

ثلاثة أقوال آخرها قوله «وقيل : أراد بالبدل ولده» . ومعلوم هذا هو تفسير أبي علي وهو في الفتح ٢١٧ ، ونسبه إليه صاحب التبيان ٣ / ٧٧ .

* كما أغار الشارح في ٣ / ٢٧٧ على قول أبي علي في تفسير بيت المتنبي :

فالعرب منه مع الكدري طائرة
والروم طائرة منه مع الحجل

ويدور كلامه على أن الكدري أقرب إلى بلاد العرب ، والحجل أقرب إلى بلاد الروم ، والقول في كتابه ٢١٩ حيث استدركه على ابن جني .

* وفي شرح قول المتنبي ٣ / ٤٢٢ :

وما ضرها خلق بغير مخالب
وقد خلقت أسيافه والقوائم

أورد الشارح كلاماً طويلاً لا يخلو من اضطراب في التقسيم والعبارة ويمكن تصحيحه من الفتح ٢٨٨ ؛ لأنه مأخوذ منه فيما يظهر .

* وفي شرح قوله ٣ / ٤٢٤ :

إذا كان ما تنويه فعلا مضارعا
مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

أورد الشارح أربعة أقوال على مدى صفحة كاملة تقريباً ، وتجد الثلاثة الأولى منها في كتاب أبي علي ٢٨٨ بألفاظ مقاربة .

* وفي شرح قوله ٣ / ٤٣٩ :

لهم عنك بالبيض الخفاف تفرّق
وحولك بالكتب اللطاف زحام

قال : «إذا لقوك في الحرب تفرقوا عنك خوفاً من السيوف الخفاف ثم يجتمعون حولك ويزدحمون عليك طلباً للصلح ، ويرسلون إليك كتباً لطافاً يسألونك فيها العفو . وإنما جعلها لطافاً ؛ لأنها كتب مبعوثة على كتمان فكل بطريق وكبير يتقرب إليه بكتاب لطيف سراً عن صاحبه» . ولا شك في أن صاحب هذا الكلام هو أبو علي في الفتح ٢٩٠ ، فالمعنى هو هو واللفظ مقارب جداً .

* وبعد أن شرح قول المتنبي ٣ / ٤٩٩ :

وهو الضارب الكتيبة والطعـ
نة تغلو والضرب أغلى وأغلى

أورد الاعتراض التالي وجوابه «ولا يعترض على هذا بأن يقال : الأمر بخلاف ذلك ؛ لأنه ربما لا يمكن المطاعنة لطول الرماح ، ويمكن المضاربة بالسيوف لقصرها فلا يكون الضرب أغلى وأغلى ؛ لأن المعنى على ما بيّنا : أنه إذا لم يمكن الدنو مقدار رمح لشدة القتال فالدنو مقدار سيف أشد تعذراً ، أو لأنه إذا كانت الحال هذه فترتعش الأيدي ولا تقلّ السيوف» . وهذا الاعتراض وجوابه بعينه وبعض ألفاظه في كتاب ابن فورجة ٢٣٥ ، وعقّب عليه بقوله «هذا أقرب ما يعرض لي من الجواب الآن والله أعلم» ، فالقول له بلا شك .

* وفي شرح قوله ٣ / ٥٠٧ :

ما مضوا لم يقاتلوك ولكنّ
القتال الذي كفاك القتالا

قال «(ما) نفي ، ولم يقاتلوك : في موضع الحال ، أي ما مضوا غير مقاتلين لك ، أي أنهم ما انهزموا من غير قتال بل ثبتوا وقاتلوا» ، والنص بحروفه تقريباً في الفتح ٢٣٦ إلا أنه ليس فيه هذه الركاكة !

* وفي شرح قوله ٣ / ٥٥٦ :

والأعوجية ملء الطرق خلفهم
والمشرفيّة ملء اليوم فوقهم

قال «انهزموا وتبعتهم خيلك وكانت تملأ الطرق لانبساطها على وجه الأرض ، ولما كانت السيوف تعلوا في الجو جعلها ملء النهار لأنه ما بين السماء والأرض ولأن النهار من الشمس والشمس تعلو» . وهذا الكلام مستمد من الفتح ٢٩٧ .

* وقال في شرح قول المتنبي ٣ / ٥٧٥ :

جزاك ربك بالأحزان مغفرة
فحزن كل أخي حزن أخو الغضب

«جزاك الله تعالى مغفرة بهذا الحزن الذي أصابك فهو نوع من الذنب، قال الله تعالى ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم﴾ و ﴿لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم﴾.

والحزن أخو الغضب لأنهما من أصل واحد وإنما يفترقان من جهة الرتبة : فالحزن هو سخط فعل من هو فوقك والغضب هو سخط فعل من هو دونك» . فهذه المعنى الفلسفي الدقيق مأخوذ من كتاب الفتح ٥٣ ، وقد استشهد هناك بالآيتين أيضًا .

* وقال في شرح البيت ٤ / ١٦٩ :

لولا العلى لم تَجُبْ بي ما أجوب بها
وجناء حرف ولا جرداء قيدود

«ولو ساعده الوزن لقال (لولا العلى لم تجب بي الوجناء ما أجوب بها من الفلاة) » ، ويقابله من الفتح ١٣٢ «فكأنّه لو واتاه الوزن لقال (لولا العلى لم تجب بي الوجناء ما أجوبه بها من فلاة ومَهْمَه) » .

* وفي شرح قوله ٤ / ١٧٤ :

وعندها لذّ طعم الموت شاربه
إن المنية عند الذل قنديد

قال الشارح «القنديد الخمر وقيل هي التي فيها الأفاويه» ، ثم استشهد بشطرين من الرجز ، وكله في الفتح ١٣٥ حرفًا بحرف .

* وفي شرح قوله ٤ / ٢٤٨ :

صنّا قوائمها عنهم فما وقعت
مواقع اللؤم في الأيدي ولا الكزم

قال «يقول : صنّا هذه السيوف أن يسلبنا [إيا] ها أعداؤنا من الملوك وغيرهم فتقع قوائمها في أيديهم وهي مواقع اللؤم ؛ لأن قوائم السيوف إنما تقع في بواطن الأيدي إذا سلبوها ، فإذا لم يسلبوها فما يقع فيهم إلا مضاربها» . والكلام كله بحروفه تقريبًا في كتاب الفتح ٣٢١ ومن الطريف أن المحقق زاد لفظ (ايا) بلا حاجة إليها وكتاب الفتح شاهد على ذلك ، فالذي فيه (يسلبناها) !

* وفي شرح قوله ٤ / ٢٧٦ :

باد هواك صبرت أم لم تصبرا
وبكاك ان لم يجر دمعك أو جرى

قال «وحكي أنه قيل للمتنبي : أنك خالفت بين المصراعين فوضعت في الأول إيجابًا بعده نفي وفي الثاني نفيًا بعده إيجاب ، وصنعة الشعر تقتضي الموافقة بين صدر البيت وعجزه . فقال : إن كنت خالفت بينهما لفظًا فقد وافقت بينهما معنى وذلك أن من صبر لم يجر دمعه ومن لم يصبر جرى دمعه» . والنص بحروفه تقريبًا في الفتح ١٥٥ مع اختلاف مهم للغاية وهو أن ابن فورجة يقول «حكي لي عن أبي الطيب ... والله أعلم بصحتها» ، فمن الواضح للغاية أن الشارح أغار على كلامه وغيّر ضمير المتكلم العائد على أبي علي !

فتلك أربعة وعشرون نصًا لا يكاد يشك الناظر أن أصلها هو كتاب «الفتح» لأبي علي .

(٢٦) وثمت نصوص أخرى أقل شأنًا لا نشك أيضًا في أن مصدرها هو كتاب ابن فورجة ، وإليك بيان طائفة منها - ويتضمن البيان رقم الجزء والصفحة ، وبداية النص ونهايته ، وعدد الأسطر ، وموضع النص في كتاب ابن فورجة - :

١/٤٥ (وقال غيره ... الياء)، ثلاثة أسطر (انظر الفتح ٢٩٩)
١/٥٢ (بهم ... زائدة) ، ثلاثة أسطر (انظر الفتح ٣٠٠)
١/٢٤٠ (أتظنون ... وأبدانهم) ، سطران (انظر الفتح ٩٨)
١/ ٢٨٨ (اذا ... هذه) ، سطران (انظر الفتح ٣٠٢)
١/٣٤١ (الألف ... التي) ، سطر واحد (انظر الفتح ٥٥)
١/٣٦٩ (ليس ... التضمين) ، ثلاثة أسطر (انظر الفتح ٣١٠)
٢/٢٠ (ويجوز ... للممدوح)، سطر واحد (انظر الفتح ١٧٦)
٢/١٨٩ (الإحسان ... الإساءة) ، سطر واحد (انظر الفتح ٣٣١)
٢/٢٨٨ (ما دار ... عليك) ، ثلاثة أسطر (انظر الفتح ٢٦٤)
٢/٣٠٥ (هذا سرب ... وصفتها)، سطران (انظر الفتح ٨٨)
٢/٤٣١ (أراد ... صبحي) ، سطر واحد (انظر الفتح ٦٠)

٤٦١/٢ (الذي ... البياض) ، سطر واحد (انظر الفتح ٣١٧)
٤٤/٣ (قوله : مسبطر ... كواكبه) ، ثمانية أسطر (انظر الفتح ١٩٨)
٨٦/٣ (وإنما ... تذهب الحسن) ، ثلاثة أسطر (انظر الفتح ٢٠٤)
٩٥/٣ (فإذا ... بذلك) ، سطر واحد (انظر الفتح ٢٠٥)
٢٩٥/٣ (أراد بإرضائه ... حيينا) ، ثلاثة أسطر (انظر الفتح ١٧٨)
٣٨٣/٣ (أن ما تفعله ... عليهم) ، سطران (انظر الفتح ١٠٧)
٥٥١/٣ (فاعل ترعى ... الشعور) ، سطران (انظر الفتح ٢٩٥)
٥٧٥/٣ (جزاك ... الدهر) ، خمسة أسطر (انظر الفتح ٥٢)
١٠١/٤ (والحدالى ... جبل)، سطر واحد (انظر الفتح ٦٥).
١٠١/٤ (أخفى ... البربي) ، سطر واحد (انظر الفتح ٦٥)
١٤٧/٤ (قوله : أدعو ... إليك) ، سطر واحد (انظر الفتح ٨٣)
١٦٠/٤ (وهذا تعريض ... كافور) ، سطر واحد (انظر الفتح ٣١٩)
٢٩٥/٤ (وذكره ... للقافية) ، سطر واحد (انظر الفتح ١٣٧)
٣٣٨/٤ (إن خطه ... العرب) ، سطر واحد (انظر الفتح ٣٣٧)

وهناك نصوص كثيرة لم نتعرض لها لعموم العبارة وعدم القطع بوقوع الاقتباس ، ومن ذلك تطابق الشواهد بين الكتابين في مواضع كثيرة .

ولأبي علي كتاب آخر في الموضوع نفسه ، وهو «التجني على ابن جني» ويظهر أنه مفقود (٦٨) ، ولا أشك في أن كثيراً من نصوصه دخلت في هذا الشرح أيضاً ، ولكن لا يمكن القطع بذلك لفقدان الكتاب .

(٢٧) وينقل الشارح أقوالاً كثيرة أخرى بلفظ «قيل» غير منسوبة إلى أصحابها ، ومنها نصوص لابن جني (٦٩) . ويلاحظ هنا أن الشارح يعزو أقوال ابن جني إليه في أكثر الأحيان ، ولكنه لم يفعل في هذه المواضع وغيرها ، ولا أستبعد أن يكون نقلها من شروح الديوان الأخرى . والواقع أن العلاقة بين شروح ديوان المتنبي ، وهي كثيرة جداً ، تحتاج إلى دراسات تفصيلية مقارنة توضح مدى اعتماد اللاحقين على السابقين وإغارتهم على أقوالهم ، فإنه يلاحظ أن كثيراً من أقوال ابن جني وأبي العلاء وابن فورجة وغيرهم من الأوائل درجت في شروح الواحدي ومن جاء بعده بلا إشارة إليهم ؛ بل إن بعض المتأخرين ينقل أقوال المتقدمين من الشروح الأخرى دون الاطلاع عليها في مصادرها .

ولا يتسع الوقت والمجال لتتبع منقولات الشارح المنسوبة وغير المنسوبة ، ولكن كثرتها المفرطة تدل على مدى اعتماده على الشروح السابقة وربما تشير إلى تأخر عصره . ويحتمل جداً ، إذا نشر اللامع العزيزي أو بقاياه، أن نجد بعض نصوصه في هذا الكتاب كغيره من الشرّاح الذين أخذ الشارح أقوالهم .

(٢٨) وقع في الشرح أشياء لا يتصوّر أن تقع من أبي العلاء ، فمن ذلك :

* وقع تصحيف عجيب في قول المتنبي ١ / ١٣١ :

بحب قاتلتي والشيب تغذيتي
هواي طفلا وشيبي بالغ الحلم

فقد رواه الشارح «تعذيبي» وهي تخل بالوزن لأن القصيدة من البسيط وعروضها مخبونة «فَعِلن» ، وهذه الرواية تحيل «فاعلن» إلى «فاعلْ» وهي علة عروضية يسمونها «القطع» ، ولو وقع فيها المتنبي لكان أبو العلاء بالذات أول من ينبه عليها ! أما الشراح ، ومنهم ابن جني وأبو العلاء وابن فورجه والواحدي وصاحب التبيان

والبرقوقي فلم يذكروا إلا الرواية الأولى ولم يشيروا إلى هذه أصلاً . وكنت أظنها تصحيفاً من الناسخين لم يفطن إليه المحقق ، ولكن اتضح أنها من المؤلف لأن الشرح يتجه إلى كلمة التعذيب لا التغذية .

* انتقد الصاحب بن عباد قول المتنبي «رواق العز فوقك مسبطر» ، قائلاً «إن لفظ الاسبطرار في مراثي النساء من الخذلان الصفيق» . وهذا القول للصاحب مشهور جداً ، وقد ورد في رسالته المعروفة ونسب إليه في عشرات الكتب، ولكن هذا الشارح يقول في ٣ / ٤٤ : «ذكر ابن جني وكثير ممن فسروا هذا الديوان أن قوله مسبطر لفظه مستقبحة خصوصاً في النساء ولعلهم قالوا ذلك لما وقفوا على بيت لأبي الشمقمق ... إلخ» ، فلم يذكر الصاحب وعزا القول إلى ابن جني وكثيرين غيره ممن لم ينقل عنهم شيء كهذا ، ويبعد أن يقع المعري في مثل هذا الخلط . ويظهر أن الشارح أساء نقل الكلام من كتاب ابن فورجة الذي أشار إلى بيت أبي الشمقمق [٧٠] . وفي النص علة أخرى وهي أن بيت أبي الشمقمق يتضمن ذكراً صريحاً للعورة وقد عهدنا أبا العلاء يتنزه عن تلك الألفاظ .

* وفسّر الشارح مواضع في بلاد الشام وما حولها بشكل غير دقيق مع أنها لا تخفى على مثل أبي العلاء ، فمن ذلك قوله في ١ / ٧٦ «روي : (نخلة) بالمعجمة ، قيل هي محلة بالكوفة ، وروي بالحاء المهملة وهو الأصح وهو مكان بالشام وقيل إنه على ثلاثة أيام من بعلبك» ، وفي ١٧٨/٢ «الأردن : ديار فلسطين وما والاها» ، ويقول في ٤٣٥/٢ : «كفر عاقب: مدينة بالشام أو قرية» ، وقال في ٢١٠/٣ «سيحان : نهر في بلاد الروم وقيل جبل» ، وعن اللقان ٣٠١/٣ «موضع ببلد الروم وقيل جبل» . فهل يجهل المعري هذه المواضع ! واللقان ورد في شعر أبي العلاء [٧١] فلا شك أنه يعرفه تمام المعرفة .

وقال في ٢ / ١٦٩ «الفرات : نهر يجري من بلاد الروم ويمر في حدود الشام من قبل المشرق» ، فهل الفرات يحتاج من مثله إلى تفسير ؟

* وقال الشارح في ١ / ١٢١ : «قضاعة : بطن من تنوخ» ، والأمر على العكس [٧٢] ، وأبو العلاء تنوخي فهل يجهل نسب نفسه ! ، ثم فسّر «خندف» بما يفهم منه أنها تعني ربيعة ومضر وسائر العرب ، ومعلوم للشداة في الأنساب أنها بعض قبائل مضر فحسب ولا تشمل قيس عيلان ولا ربيعة ولا سائر العرب أصلاً . وقال في ١٦٧/١: «طيئ : قبيلة» ، وفي ١ / ٢١٦ «مضر : اسم قبيلة» ، وهذه تفسيرات باردة غير معهودة من المعري .

* ما ذكره الدكتور الطويل عن اقتباس الشارح في ٣٢٥/١ – وزد عليه ٧٩/٢ – من رجل يسمى «البخاري» ، وليس في شيوخ أبي العلاء ولا شرّاح الديوان المعروفين من يقال له البخاري ، وقد يكون متأخراً قليلاً أو كثيراً عن عصر أبي العلاء ، ويظهر أن له كتاباً عن الديوان .

* ومثله «صاحب الجليل» ، الذي نقل عنه الشارح في ١٤/٣ تفسيراً لبيت المتنبي «وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه» ، وقد وضع المحقق أمامه في صلب النص علامة استفهام ولم يعلق عليه ولم يذكره في فهرس الأعلام .

* واستشهد في ٢٢٢/١ ببيت شاعر يقال له «البرقعي» ولا ندري من يكون !

* واستشهد في ٧٥/١ بهذين البيتين :

من ذا يكذب في شهود أربعا
وشهود كل قضية اثنان
خفقان قلبي واضطراب مفاصلي
ونحول جسمي وانعقاد لساني

والبيتان ، باختلاف يسير في الرواية ، مشهوران جداً ولكن أعياني معرفة قائلهما ، ولم أجدهما في التبيان ولا في الكتب المؤلفة عن المتنبي كالإبانة والمنصف والصبح المنبي رغم حرصهم على ما يسمونه سرقات المتنبي [٧٣] . فلعل أحد القراء الكرام يدلنا عليه ليتضح عصره وهل هو متقدم على عصر المعري بحيث يمكن أن يستشهد به .

* ويستخدم الشارح كثيراً كلمة «المحبوبة» [٧٤] ، ووردت لديه كلمات «الرجولية» و«الحب الحقيقي» و«القميص الفرجي» وعبارة «كلا شيء ؟» [٧٥] ، وهي كلمات تبدو غريبة على قاموس أبي العلاء .

* وفي الإعراب يستخدم الشارح كلمة «الجر» ولم ترد كلمة «الخفض» لديه مطلقًا (٧٦) . وأبو العلاء يميل جداً إلى استعمال «الخفض» في جميع مؤلفاته ، وثمت عشرات الأمثلة على ذلك ، وربما يستخدم «الجر» بقلة . ولعل هذا الأمر يتصل بميله إلى المدرسة الكوفية في النحو ؛ لأن بعضهم يرى أن هذا المصطلح شائع لديهم قليل لدى نحاة البصرة (٧٧) .

* وفي مقابل ذلك نفتقد في هذا الشرح بعض الكلمات والعبارات التي تميز أسلوب أبي العلاء ، ومنها كلمة «الغريزة» التي تتكرر كثيرًا في كلامه .

* وقد استشهد الشارح بعشرات الآيات ، وهو في جميع الحالات تقريبًا يصدّرها بعبارة «قال تعالى» أو نحوها . أما المعري فلا يكاد يلتزم بالعبارات المكرورة وتشيع في كتبه عبارة «في الكتاب العزيز» وما إليها .

* ويستغرب أن الشارح لا مصادر له ، فلم يذكر من الكتب إلا «الإبل» لأبي حاتم السجستاني في ٢٩٨/١ ، وكتاب سيبويه في ٣١٣/٣ (أما باقي الكتب المذكورة في الفهارس ٦٦٤/٤ فهي إما في أصل ديوان المتنبي أو من حواشي المحقق) . أما المعري فالعهد به أن يشير كثيرًا ، ولكن بغير إسراف ، إلى كتب العلماء ودواوين اللغة والأدب (٧٨) .

* لم أجد ، ولا الدكتور الطويل من قبل ، نصاً واحداً من نصوص اللامع الباقية يتفق أو يشابه نظيره من هذا الكتاب المنسوب إلى أبي العلاء . فلو كان الشرح للمعري لوقع بعض التطابق أو التشابه في بعض الشروح مهما طال الفاصل الزمني بينه وبين اللامع ؛ لأنه لا بد أن تعلق بالذاكرة ألفاظ وعبارات من الشرح الأول ولا سيما أن تلك السنين لا تخلو من قراء الكتاب الأول وتدريسه للطلاب ومذاكرة شعر المتنبي على وجه العموم ، وأيضًا فالمعري مشهور بقوة الحافظة . ومن الجانب الآخر وجدنا كثيرًا من أوجه التناقض أو عدم الاتفاق بين الكتابين في كثير من المسائل مما لا يتسع المجال لتفصيله .

* ويتسم أسلوب هذا الشارح باللين إلى حد الركاكة أحيانًا ، ولا يشبه ألبتة الأسلوب العلائي المعروف بالجزالة وقوة العبارة والارتفاع عن التعابير المبتذلة ، على المعهود من فحول المتقدمين . وإليك أمثلة على هذه الدعوى :

* وقال ١٨/١ :

ففي فؤاد المحب نار هـوى
أحر من نار الجحيم أبردها

«المحب : أراد به نفسه ، والكناية في (أبردها) لنار الهوى ، وكأن هذا البيت علة في سؤاله الحادين الوقوف بالمحبوبة» .

* قال في شرح البيت ١ / ٧٥ :

أي يوم سررتني بوصال
لم ترعني ثلاثة بصـدود

«يقول : اذكر أيها الغزال أي يوم واصلتني فيه فسررتني بوصلك ولم ترعني بصدودك ثلاثة أيام» .

* وقال ٢ / ١٨٣ :

الحب ما منع الكلام الألسنا
وألذ شكوى عاشق ما أعلنا

«ومعناه : الحب الحقيقي هو ما منع الألسن أن تبوح في حال يلتذ فيها العاشق بالشكوى فيدرك الإبقاء على حبيبه والخوف من إغراء العذال به فيدع ما يشتهيه مراعاة للحبيب» .

(٢٩) ويدل منهج الشارح على أنه غير أبي العلاء : فقد ألزم نفسه بشرح جميع الأبيات تقريبًا حتى الواضح منها ، وجرى على تقديم الكلام على الإعراب والتوسع فيه أحيانًا ، ثم يشرح ألفاظ البيت أو بعضها ، ثم يفتتح شرح المعنى بكلمة «يقول» . وقد لا يتعرض للإعراب أو الغريب ولكنه يحافظ على شرح المعنى وكلمة «يقول» في جميع الحالات . **وكثير جداً مما أعربه أو فسر غريبه ومعناه : لا يخفى على المبتدئين !**

ويبعد أن ينشط مثل أبي العلاء لتوضيح الواضحات أو يهدر وقته ووقت طلابه من العلماء في إعراب المبتدأ والخبر والفعل والفاعل ، ويدل من شروحه – ولا سيما

اللامع العزيزي وشرح ديوان ابن أبي حصينة - على أن طريقته تختلف بالكلية عن طريقة هذا الشارح ، فهو لا يلتزم بالقوالب الشكلية الجامدة وإنما يتكلم على البيت بعد البيت بما يقتضيه المقام ، ويتوسع هنا وهناك في شرح مسألة نحوية أو لغوية أو عروضية أو نقدية أو غيرها من ألوان المعارف التي أحاط بها علماً ، ولا تخلو شروحه من فوائد نادرة في التاريخ والجغرافيا والطوائف وغيرها ، وكلامه في ذلك كله يتجه للخاصة والعلماء .

(٣٠) وأشار عبدالعزيز الميمني - رحمه الله - إلى قول المعري في مقدمة اللزوميات : أن أبا الطيب استعمل السين المكسورة دون المفتوحة والمضمومة والساكنة ، وعلق قائلاً : «مع أن له قصيدة على المفتوحة أيضاً وهي (هذي برزت لنا فهجت رسيسا) ، وأبو العلاء الحُفَظة ليس ممن يظن بمثله النسيان ، فليس حكمه هذا إلا على خلو نسخته عن هذه الكلمة ، ولعل المتنبي أسقطها من الديوان ؛ لأن الممدوح بها وصله بعشرة دراهم»(٧٩) . والشاهد هنا أن وجود هذه القصيدة السينية في الشرح ١/٢٠٩ يتعارض مع ما جاء في مقدمة اللزوميات ويدل على أن الشارح غير المعري . ولكن يعكّر على هذا الدليل أن أبا المرشد نقل شرح أبي العلاء لمطلع القصيدة(٨٠) ، مما يشير إلى أنه كان يعرفها . والواقع أن ما ورد في مقدمة اللزوميات ينطبق تماماً على حرف الشين المعجمة لا السين المهملة ، فالظاهر أنه مجرد تصحيف .

(٣١) أما بعد : فإن الشرح لا يخلو من بعض الفائدة ولا شك أن صاحبه كان على حظ من العلم ، ولكن شتان بينه وبين أبي العلاء ، بل شتان بينه وبين تلاميذه أمثال ابن فورجة والتبريزي ! ، ولا ريب في أن الشرح المنسوب للعكبري أغزر فائدة وعلماً من هذا الكتاب ، فمن أعجب العجب أن يغلط فيه غالط فينسبه إلى المعري .

وإني لأعتذر للقارئ الكريم من الإطالة والإسراف في سرد الأدلة - وفي الجراب غيرها - لأن مسألة تزوير الكتاب أوضح من أن تحتاج إلى كل ذلك ، ولعل المحقق الفاضل أو غيره من الباحثين يعثر على مخطوطات أخرى ترد الكتاب إلى صاحبه وترد الاعتبار لشيخ المعرة .

الهوامش

١ - مجلة المجمع العلمي العربي ٢٢ (١٩٤٧) : ٣٧ - ٤٧ و ١١٠ - ١٢٠ .

٢ - نفسه ص ٤٠ ، وللعكبري كتاب في إعراب بعض أبيات المتنبي ومنه نصوص في الخزانة وغيرها ، ويبدو أن بعض مترجميه عدّوه شرحاً للديوان من باب المجاز والتوسع .

٣ - مقدمة نقد النثر (القاهرة : لجنة التأليف ، ١٩٣٧) ، ١٨ .

٤ - وهو الكتاب الخامس والستون في سلسلة «ذخائر العرب» التي يظهر أنها ، مثل دار المعارف ذاتها ، دخلت في خريف العمر بعد تاريخ عريق ، وبلغ الهوان بها أنها صارت تنشر في السلسلة مطبوعات قديمة بالتصوير سبق صدورها عن دار المعارف وغيرها مثل ثمار القلوب للثعالبي .

٥ - رائد الدراسة عن المتنبي لكوركيس وميخائيل عوّاد ٧١ ، وفيه بيان واف بشروح الديوان ومنها شروح لمؤلفين مغمورين أو مجهولين فلعل هذا أحدها .

٦ - المقدمة ، ص ٦ و ٤٧ .

٧ - انظر : كشف الظنون وتاريخ التراث العربي لسزكين ٢/٤٩٢ - ٤٩٧ (من ترقيم الأصل الألماني) ورائد الدراسة عن المتنبي لكوركيس وميخائيل عواد ١٢ - ٨٤ .

٨ - انظر مثلا : المقدمة ص ٦ و ١١ و ٨١ و ٤/٦٦٦ ومواضع أخرى في هوامش الكتاب .

٩ - مجلة عالم الكتب ١٢ (١) : ١١٠ - ١٢٠ .

١٠- بل أربعة ، بإضافة البيتين السابقين .

١١- والواقع أن ما ذكر عن الخطيب التبريزي غير صحيح ، فليس في الكتاب شيء عنه ، أما النص الذي أشار إليه فقد نقله المحقق في الهامش عن التبيان المنسوب للعكبري لا عن إحدى مخطوطات الكتاب .

١٢ - انظر مقدمة الصاهل والشاحج ١٠ - ١٧ .

١٣ - أبو العلاء الناقد (دار المعارف ١٩٨٧) ، ص ١١٢ - ١٢٦ .

١٤ - لعل كتاب «النظام في شرح ديوان المتنبي وأبي تمام» لابن المستوفي الأربلي قد حفظ لنا معظم اللامع ، كما أنه حفظ جزءاً مهماً من ذكرى حبيب ، ولكن لابد من الاطلاع على مخطوطته في دار الكتب بالقاهرة ، وهي تامة فيما يتصل بالمتنبي . وفي «تفسير أبيات المعاني» لأبي المرشد المعري نحو ثلاثة مئة وثمانين نصاً ، وتوجد نصوص أخرى كثيرة في مخطوطة «المآخذ على شرّاح ديوان المتنبي» للأزدي وأمالي ابن الشجري وأمالي ابن الحاجب وشرح الديوان للخطيب التبريزي (المخطوط في باريس وغيرها) ، وكتاب «المآخذ على شرّاح المتنبي» لابن

معقل الحمصي (المخطوط في تركيا) ، وفي كتب أخرى كثيرة ، وأشار محمد طاهر الحمصي إلى أن جزءًا منشورًا عن أوزان شعر المتنبي قد يكون من اللامع . ولعل أحد الباحثين يتصدى لاستدراك اللامع من هذه المصادر وغيرها .

١٥ – الجامع لأخبار المعري ٢ / ٧٨٩ .

١٦ – انظر عن مقدار الكراسة : تعريف القدماء ٢٠٢ (نقلا عن تاريخ الإسلام للذهبي) وسير أعلام النبلاء ١٨ / ٣٨ .

١٧ – انظر معجم الأدباء ١٤٥/٣ – ١٦٢ ، وإنباه الرواة ٩١/١-١٠٢.

١٨ – معجم الأدباء ٣ / ١٦٠ .

١٩ – انظر إنباه الرواة ١٠٢/١ ، وتعريف القدماء ٩٤ .

٢٠ – انظر النصوص الملحقة بكتاب «المتنبي» للأستاذ محمود محمد شاكر ، يحفظه الله ، ص ٦٦٠ .

٢١ – سماه الدكتور دياب «ابن أبي أصيبعة» (المقدمة ٩) ، وهو وهم أو تطبيع لأنهما رجلان متعاصران (انظر الأعلام ١٩٧/١ و ٣٠/٤) .

٢٢ – تحرير التحبير ٩٠ والغريب أن الدكتور دياب ، مع اطلاعه على النص ، لم ينظر إليه باعتباره يعزّز الشك في أمر الكتاب .

٢٣ – تحرير التحبير ٢٩٠ ، وورد النص أيضًا في كتابه الآخر «بديع القرآن» ١٠٩ (القاهرة ١٩٥٧) ونقله عن تحرير التحبير كل من النويري في نهاية الأرب ١٤٦/٩ وابن حجة الحموي في خزانة الأدب ٣٩٦/٢ (بيروت : دار الهلال ، ١٩٨٧) .

٢٤ – وفيات الأعيان ١١٤/١ ، ونقله عنه خلق من العلماء منهم ابن الوردي وابن العماد الحنبلي والعباسي (انظر تعريف القدماء ٢٠٧ و ٣٤٧ و ٣٥٢) .

٢٥ – معلوم أن الحافظ السِّلَفي له كتاب مفقود في أخبار أبي العلاء ومنه شذرات في بعض الكتب (انظر «كشاف مصادر دراسة المعري» لمصطفى صالح ٣٩ ، ١٠٣) .

٢٦ – إنباه الرواة ٨٩/١ ، ولم يصرح القفطي بأنه من كتاب السلفي ، وهذا غير جيد منه ، ولكنه ذكر غير مرة أن السلفي أجازه إجازة عامة .

٢٧ – تعريف القدماء ٥٤٠ ، ونقله الدكتور دياب في مقدمته غير ملتفت إلى أهميته .

٢٨ – التعريف ٢٧٥ . ٢٩ – الجامع ٢ / ٧٩٠ .

٣٠ – رائد الدراسة عن المتنبي ٧١ .

٣١ – زد عليهم : أحمد تيمور في «أبو العلاء» ١٠٦ ، وسزكين في تاريخ التراث العربي ٤٩٣/٢ ، وشوقي ضيف في عصر الدول والإمارات ٦٥٣ ، وحفني شرف في حاشية تحرير التحبير ٩٠ ، وكوركيس وميخائيل عواد في رائد الدراسة عن المتنبي ٦٩ ، ومحمد زغلول سلام في تاريخ النقد العربي ٤٧/٢ و ٩٧ ، وغيرهم .

٣٢ – الخزانة ٣٧١/٦ . ٣٣ – المقدمة ، ص ١٠ .

٣٤ – المقدمة ، ص ٧٤ . ٣٥ – المقدمة ، ص ٧ .

٣٦ – انظر مثلاً على سيرورة آثار أبي العلاء واستشهاد الأندلسيين بشعره قبل موته بزمن طويل .. ما ورد في نوادر المخطوطات ٢٤٣/١ .

٣٧ – ويؤيده ما مر أعلاه من اتفاق النسخ على تصحيف «المعري» إلى «العمري» ، وكذلك تصحيف «علي بن عيسى الربعي» إلى عيسى بن عيسى» (انظر ١٢٦/٣) .

٣٨ – المقدمة ٥١ و ٧٧ .

٣٩ – انظر مقالة الدكتور الطويل ١١٠ – ١١٣ ، وكتاب «حماسة أبي تمام وشروحها» للدكتور عبدالله عبدالرحيم عسيلان ١٣٨ ، وكتاب «حماسة أبي تمام وشروحها» للأستاذ حسين محمد نقشة ٢٨٠ – ٢٨٨ .

٤٠ – نقل الشيخ حمد الجاسر عن خير الدين الزركلي – رحمه الله –: أن رجلا سمّاه جمع تراجم من بعض الكتب ونقلها على ورق قديم في جزأين بعنوان «معجم الأدباء» لياقوت الحموي ، وقدمها إلى المستشرق مرجليوث ليأخذ مكافأة كان قد أعلن عنها ، وأن المستشرق أدخل تلك التراجم في الكتاب (جريدة الشرق الأوسط ١٩٩١/١١/١) ، والتراجم المذكورة موجودة في الطبعة المصرية والطبعات المصوّرة عنها في بيروت !

٤١ – وقال المحقق إن هذه المقدمة مكتوبة «بخط مخالف تمامًا لخط الأصل» ، والنموذج المنشور منها (المقدمة ٤٤) يدل على أن الكاتب هو هو ، ويؤيده أن الشرح يبدأ في السطر الخامس حيث انتهت المقدمة !

٤٢ – انظر إنباه الرواة ١٠١/١ ، وتعريف القدماء ٤٩ .

٤٣ – المقدمة ، ص ١٤ .

٤٤ – انظر تفاصيلها في زبدة الحلب ٥٠٦/٢ .

٤٥ – هذا هو تاريخ نسخة المتحف الثانية ، ويظهر واضحًا في نموذجها المصوّر (المقدمة ٣٣) ، وقال المحقق (المقدمة ٢١) إن تاريخها سنة ١٠٤٦ فلا أدري كيف ذلك .

٤٦ – وهذه النسخة وهي أقدم النسخ : ذكر المحقق أنه رآها واعتمد عليها ، والله أعلم بصحة ذلك فإنه لم ينشر نموذجها ، ولم أجد لها أثرًا في الطرر .

٤٧ – انظر تفسير أبيات المعاني ٧٢ وابن العديم في تعريف القدماء ٥١٥ .

٤٨ – تفسير أبيات المعاني ٢٨٨ . ٤٩ – انظر الشرح ١٤٠/٣ .

٥٠ – ذكر المحقق منها أربع عشرة مخطوطة ، ولا ريب في أن هناك غيرها .

٥١ – قال المحقق في المقدمة ١٨/١ والعهدة عليه : إن اليازجي أسّس «العرف الطيب» على شرحي الواحدي والمعري (وظاهر اللفظ أنه يقصد هذا الكتاب لأنه يجزم بأنه للمعري) ، ويعارضه قول البرقوقي في مقدمته ٨/١ «إنه لم يَحِد عن الواحدي والعكبري قيد أنملة» ، فلم يذكر المعري ، وأن اليازجي نفسه لم يذكر في مقدمته الطويلة أنه اطلع على شرح منسوب للمعري ! ،

والمسألة تحتاج إلى تحرير ، فإذا كان الأمر كذلك فإنه يدل فقط على أن اليازجي ، وعصره في القرن التاسع عشر غير بعيد من عصرنا، وقع على نسخة من هذا الكتاب المزوّر وجازت عليه كما جازت على غيره .

٥٢ – المقدمة ، ١٠ و ١٣ .

٥٣ – أي إن أبا العلاء كان عم أبيه ، فأما ما قاله محققا الكتاب من اتفاق المترجمين على أن أبا العلاء كان ابن عم أبيه (تفسير أبيات المعاني ٧) فهو غلط ظاهر كما في الحاشية التالية .

٥٤ – وذلك أن والد أبي المرشد ، علي بن محمد بن عبدالله بن سليمان، هو الذي قال فيه ابن العديم أنه سمع عمّه أبا العلاء ونسخ جميع أماليه بخطه وتولّى قضاء المعرة وحماة (انظر تعريف القدماء ٤٩٨ و ٥٢٥) .

٥٥ – جزم الأستاذ محمد طاهر الحمصي بأن أبا المرشد تتلمذ على أبي العلاء (انظر «مذاهب أبي العلاء في اللغة وعلومها» ٤٩) ، ولكن الموضع الذي أشار إليه من كتاب أبي المرشد لا يشهد له ؛ لأن النص هناك مأخوذ من كتاب الفتح لابن فورجة ٨٨ ، وهو الذي يقول «أنشدني أبو العلاء» . على أن أبا المرشد قال عنه «شيخنا» (انظر تفسير أبيات المعاني ١٥) ، وظاهر العبارة يفيد أنه أخذ عنه، وربما يكون أدركه صغيراً فحرص أبوه على سماعه من الشيخ على عادتهم ، ولكن ليس في أثناء الكتاب تصريح بالسماع ، وقد يقال إنه لو سمع منه ما فاته الإشارة إليه .

٥٦ – معجم الأدباء ١٨ / ١٨٨ .

٥٧ – فوات الوفيات ٣/٢٤٥ وأشار محققه إحسان عباس إلى أن الذي في الطبعة السابقة «توفي» بدلا من «وُلد» وأنه غيّرها اعتمادا على الوافي للصفدي ٣/٢٤ والفرق بين الكلمتين ما ترى! وكلاهما مشكل لأن القول بولادته سنة ٣٨٠ يتعارض مع ما في المعجم، والقول بوفاته في تلك السنة ظاهر البطلان.

٥٨ – إنباه الرواة ١/ ٣٧٠ .

٥٩ – كشف الظنون ١/٨١١ و ٢/١٢٣٣ ولعل أحدهما تصحيف .

٦٠ – انظر معجم الأدباء ١٨/١٨٨ وإنباه الرواة ١/ ٣٧٠ والبلغة ٩٦ وبغية الوعاة ١/٩٦ – وأورد شعراً قال إنه يدل على أنه حمد – و«أبو العلاء وما إليه» للميمني ١٦٢ والأعلام للزركلي ٦/١٠٩ .

٦١ – فاتني تقييد الموضع .

٦٢ – شروح سقط الزند ٣/١٣٦٩ – ١٤٠٢ . ٦٣ – الفتح ٣٤٧ .

٦٤ – وأحسن الزركلي – رحمه الله – في الأعلام ٦/١٠٩ إذ جعل مولده سنة ٣٨٠ ووفاته بعد سنة ٤٥٥ .

٦٥ – ونذكر هنا ما سلف عن تزوير أجزاء من المعجم فلعل ترجمته إحدى المفتريات !

٦٦ – تفسير أبيات المعاني ٢٠٤ – ٢٠٥ .

٦٧ – الفتح ٢٤٧ – ٢٤٨ .

٦٨ – جمع أحد الباحثين أشتاته في المورد ؟ .

٦٩ – انظر مثلا ٣/٢٨٠ و ٣/٢٨٢ و ٣/٢٩٨ ، ولم نتعمد استقصاءها بل وقعت عرضاً أثناء عرض الشرح على كتاب ابن فورجة .

٧٠ – الفتح ١٩٨ . ٧١ – شروح السقط ؟

٧٢ – جمهرة الأنساب لابن حزم ٤٥٣ .

٧٣ – ووجدتهما بلا نسبة في تزيين الأسواق ٢/ ؟ ، وأوردهما الشيخ الراوية عبدالله بن خميس في الشوارد ٢/٥٧٦ ، ولم ينسبهما إلى قائل مع سعة حفظه واطلاعه .

٧٤ – انظر مثلا ١/١٤٩ و ١/١٦٦ وغيرهما كثير جداً .

٧٥ – انظر ٢/١٧٧ و ١/١٨٣ و ٢/٧٥ و ١/٢٥١ .

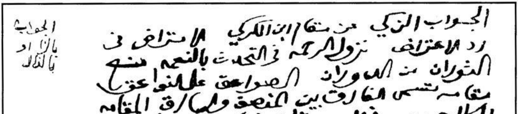
٧٦ – انظر مثلا ١/٣٣٢ و ٢/٩١ ، ٢٢٦ .

٧٧ – انظر «مدرسة الكوفة» للمخزومي ٢٥٧ – ٢٥٨ ، وانظر عن مذاهبه في النحو في كتاب الحمصي ٢١١ – ٢٢٩ ، وقد انتهى إلى أنه أقرب إلى البصريين .

٧٨ – انظر بياناً شاملاً بالكتب المذكورة في آثار المعري ، وعددها مئة وخمسة كتب ، في «مذاهب أبي العلاء» للحمصي ٣٩ – ٤٥ .

٧٩ – زيادات ديوان شعر المتنبي ٥ .

٨٠ – تفسير أبيات المعري ١٣٤ .



دائرة المعارف الإسلامية الجديدة (*)



سهيل صابان

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الشريعة – قسم الثقافة الإسلامية

مقدمة

تصدر هذه الموسوعة عن الإدارة العامة لدائرة المعارف الإسلامية الجديدة التي أنشئت عام ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) من قبل وقف الديانة التركي في مدينة إستانبول . وهي باللغة التركية وقد استمرت مدة الإعداد الإداري والعلمي لإخراجها خمس سنوات . ومنذ شهر ربيع الثاني عام ١٤٠٩هـ (نوفمبر من عام ١٩٨٨م) بدئ في نشرها في شكل أجزاء صغيرة ، وقد اكتمل منها إلى اليوم ستة مجلدات ضخمة ، ويتوقع صدورها في عشرين مجلداً ، بحيث ينتهي العمل منها عام ١٤٢٠هـ (٢٠٠٠م) .

الهدف من نشر الدائرة

وضحت إدارة النشر بدائرة المعارف الإسلامية هدفها على النحو التالي :

من المعلوم أن المسلمين أقاموا أروع الحضارات وأكملها . وانطلاقاً من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ، ﷺ ، قاموا بخدمة البشرية لتنوير قلوبها وعقولها ، فقدموا لها ثقافة فريدة في نوعها ، غزيرة في مادتها ، وبذلك أثبتوا للعالم تفوقهم في المجالات كافة : الثقافية والفكرية والاجتماعية والسياسية . غير أن أبناء هذه الحضارة العريقة قد تعرضوا للتيارات الثقافية والسياسية الغربية مما أبعدهم عن الثقافة الإسلامية الأصيلة . وترتب على ذلك نشوء جيل جاهل بحقائق الإسلام.

وانطلاقاً من هذا الشعور فقد رأينا أن الواجب الأول لمن يهتم بأمر المسلمين القيام بتربية الأجيال الجديدة بقيمها الثقافية والفكرية والحضارية ، بعد تعليمهم هذه القيم وتعريفهم بها ، وتوجيه الشباب إلى ثروتهم الثقافية الضخمة ، ونقل التراث الإسلامي إليهم بصورة سليمة وواضحة ، وتعريفهم كذلك بالمؤسسات الإسلامية التي كان لها دور مهم في حياة الأمة الإسلامية ثقافياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً . وتذكير الأجيال القادمة برسالتها الإسلامية الفذة ، وفتح الآفاق الجديدة للإنسانية تحت ظلال القيم الإسلامية الخالدة ؛ هذه الأسباب وغيرها اقتضت بالضرورة إصدار موسوعة علمية مثل هذه . أ هـ.

ومن الأمور المسلَّم بها أن الموسوعات أو الكتب التي يؤلفها علماء الغرب لا تعكس الحقائق الإسلامية كما هي : لا في مبادئها ولا في القضايا الأخرى المتعلقة بالعلوم الإسلامية ومؤسساتها ، إذ أن العالم الغربي ينظر إلى هذه المؤسسات من خلال النظرة الغربية التقليدية . وهي

(*) تم إعداد هذا المقال من خلال مقابلة المسئولين في الإدارة العامة للدائرة بمدينة إستانبول، وكذلك الاستفادة من المنشور التعريفي بها، والتعريف الذي كتبه شامل شاهين بعنوان [التعريف بدائرة المعارف الإسلامية التركية] .

نظرة تتسم بالتحيز والتحامل والحقد . وخير دليل على ذلك أن دائرة المعارف الإسلامية التي ألفها المستشرقون ونشرت باللغات الإنجليزية والألمانية والفرنسية خلال عام ١٩٠٨ - ١٩٣٨م ألفت بهدف استشراقي للتعريف بالعلوم الإسلامية ، وما كتبه المسلمون في مختلف أنواع العلوم من خلال النظرة التقليدية الغربية . فنجد مثلاً أنها كانت تختصر بعض التعريفات أو توردها ناقصة ، أو مغلوطة ، أو غير وافية وبخاصة فيما يتعلق بالعلوم الإسلامية . من ذلك أنها تذكر : أن الدين الإسلامي ليس ديناً يعتمد على الوحي ، وأن القرآن الكريم استقى معلوماته من الديانة اليهودية والنصرانية ؛ ولذلك فإن تصحيح هذه النظرة وصيانة الجيل منها أمر لا بد منه ؛ ومن جانب آخر نجد أن الموسوعات ودوائر المعارف الإسلامية التي صدرت في هذا المجال باللغة التركية بشكل خاص ، إما أنها لم تستمر في الصدور ، بحيث انقطعت بعد نشر عدة مجلدات : أو أنها متخصصة في مجال معين : أو أن معلوماتها غير وافية .

ويضاف إلى ذلك أن الحضارة الغربية اليوم تمر بأزمات ، تجعلها تعيد حساباتها مع نفسها من جديد ، وكأنها اقتنعت بأنها لا تستطيع إسعاد البشرية ، والشباب في العالم الإسلامي يحاول محاولة صادقة للعودة إلى هويته الأصيلة . وقد أصبح هذا الموقف يمثل بارقة أمل ، لا لخلاص العالم الإسلامي من النفوذ الثقافي الغربي ، وإنما لخلاص الإنسانية جمعاء مما حل بها بسبب الابتعاد عن المنهج الرباني القويم .

ولا شك أن هدف دائرة المعارف الإسلامية هذه هدف سام ونبيل ، وتحقيقه صعب ، ويحتاج إلى بذل جهود مضنية ، غير أن ثقة القائمين عليها في علمائنا المسلمين الأجلاء يطمئنهم من تحقيقه والقيام بأعبائه .

تكونت عدة هيئات للقيام بجميع أعمال الدائرة . وهي مرتبطة بمجلس الإدارة . وهذه الهيئات هي :

١ - **هيئة الفحص** : وتتكون هذه الهيئة من رئيس وأعضاء بأعداد كافية . وهي مسئولة عن دائرة المعارف الإسلامية في جميع مراحلها ، ابتداءً من مرحلة تحديد المواد العلمية وانتهاءً بمرحلة التنقيح الفني .

٢ - **الهيئة العلمية** : وهي التي تقوم بفحص المواد وتنقيحها وتنقسم إلى عدة لجان . هي : لجنة التفسير ، لجنة الحديث ، لجنة الفقه الإسلامي ، لجنة علم الكلام وتاريخ المذاهب ، لجنة التصوف ، لجنة التاريخ الإسلامي وحضارته ، لجنة تاريخ الأديان ، لجنة الفلسفة الإسلامية والأخلاق ، لجنة الفنون الإسلامية، لجنة اللغة العربية وآدابها ، لجنة اللغة الفارسية وآدابها ، لجنة تاريخ العلوم ، لجنة الجغرافيا .

٣ - **هيئة التنقيح الفني** : وتقوم بفحص المادة من حيث اللغة والتركيب والصياغة وقواعد الإملاء ، وذلك بعد اجتياز المادة مرحلة الفحص العلمي والتنقيح اللازم .

٤ - **الأمانة العامة** : وتقوم بإجراء الأعمال المالية والإدارية والقانونية وما إلى ذلك باسم المجلس الإداري . وتتعاون مع خمس مديريات للفروع المختلفة :

أ - **إدارة النشر** : تقوم هذه الوحدة بتنظيم المواد وتصحيحها في جميع المراحل التي لابد من المرور بها . كما تثري المواد بالصور والرسوم والخرائط البيانية . وتقوم أيضاً بإعداد الصفحة للطبع بعد إخراج صورتها الفوتوغرافية ؛ ولهذه المديرية خدمات الرسم البياني والتصحيح والتنضيد .

ب - **إدارة المكتبة والتوثيق** : وهدفها تشكيل مكتبة يوجد فيها كل ما يحتاج إليه مؤلفو المواد أو مصححوها أو مراجعوها من المراجع

والمصادر الأساسية وتقديمها للإفادة منها بشكل أفضل . كما أن هذه الوحدة تقوم بتمشيط الكتب الموجودة في المكتبة وما ينشر من الدوريات الصادرة في أنحاء العالم وبخاصة فيما يخص الإسلام وتاريخه وحضارته ، وذلك لإعداد مواد علمية لرجال العلم ، الذين يعملون في الدائرة . أو يتعاونون معها .

ج - **إدارة الإحالة والمتابعة** : وتقوم بإحالة المواد إلى المؤلفين ومتابعتها ، وذلك في ضوء الاقتراحات والتوجيهات التي تقدمها هيئات العلوم في الدائرة ، ثم تحيل المواد التي تصل إلى الموسوعة بعد تأليفها إلى من يهمه الأمر في الوحدات المذكورة .

د - **إدارة المحاسبة** : وتقوم بإجراء الأعمال الحسابية والمالية جميعها .

هـ - **إدارة شئون الموظفين والأعمال الإدارية** .

خطة كتابة المواد

أولاً : ملاحظات عامة :

إن الأسس التي اتبعتها دائرة المعارف الإسلامية هذه في إعداد وكتابة المواد حسب ما جاء في المنشور التعريفي بها ، تتلخص في الآتي :

١ - إن دائرة المعارف الإسلامية التي تصدر عن وقف الديانة التركي تهدف إلى تلبية حاجة المسلمين إلى المعلومات الصحيحة ، اعتماداً على الأسس العلمية المعترف بها في ميادين العلوم والثقافة الإسلامية . وبناء على ذلك فإن المواد التي سوف تشكل الدائرة ستكون حصيلة عمل علمي جاد ، إلى جانب اتسامها بالوضوح وسهولة العبارة من ناحية اللغة والأسلوب والتعبير .

٢ - يكون الاعتماد في إعداد المواد على المراجع الأصلية، مع الإقلال من الاقتباس ما أمكن . ويراعى فيه عدم إدخال المعلومات الهامشية التي لا تتفق مع المقاييس.

٣ - لا تستعمل عناوين رئيسة أو جانبية إلا إذا تجاوزت المادة عشر صفحات مكتوبة على الآلة الكاتبة . ويمكن استخدام إشارات لتوضيح المحتوى واستيعابه ، وذلك بالتدرج من الوحدات الكبيرة إلى الوحدات الصغيرة، كما يمكن استخدام هذه الإشارات في المواد التي تتجاوز عشر صفحات لأجل العناوين الرئيسة أو الجانبية .

٤ - يستخدم حرف (ن) اختصاراً لكلمة (انظر) عند الإحالة من مادة لأخرى .

٥ - أثناء ورود التواريخ يراعى ذكر التاريخ الهجري والميلادي ، وذلك في المواضيع التي تستلزم ذلك .

٦ - يتم تحرير المواد تبعًا لترتيبها ضمن مخطط المادة .

٧ - يتم الرجوع إلى الموسوعات ودوائر المعارف الإسلامية (بما في ذلك الطبعات الجديدة باللغات الأجنبية) ، والموسوعات المحلية التي تحتوي على مواد متصلة بالموضوع بقصد الاستفادة منها والتعليق عليها قبل البدء في كتابة المواد . وقد قامت إدارة الدائرة بتوفير المصادر المحلية والأجنبية للباحثين في هذا الصدد ..

٨ - ترتب العناصر الواردة في سلسلة الأسماء على النحو التالي :

أ - الكنى التي تبدأ بـ (أبو) .

ب - الأسماء المركبة ، مثل جلال الدين .

ج - سلسلة الأسماء ، مثل أحمد بن محمد .

د - الألقاب ، مثل الجاحظ ، والأخفش ، وقطرب .

هـ - النسب .

و - الألقاب والصفات الشبيهة بالنسب ، مثل القاضي والنحوي والعروضي .

ثانياً : المصطلحات :

١ - لقد تم وضع خطة لإدخال جميع المصطلحات الخاصة بالعلوم والحضارة الإسلامية . وستتم الإحالة على المصطلحات الأخرى ذات العلاقة عند الضرورة .

٢ - يجب اقتباس المصطلحات الشرعية التي يتم تناولها في الدائرة ، من القرآن الكريم والسنة النبوية ، بشكل أساس ، وتقديم المعلومات اللازمة من خلاله .

٣ - يتم تناول المصطلحات حسب تطورها التاريخي من وجهة نظر الثقافة الإسلامية ، ويتم مقارنتها بعناصر الديانات والثقافات الأخرى ، أو نتاج العلوم الحديثة عند الضرورة .

٤ - يتم بحث المصطلحات المتعلقة بمختلف المذاهب والطرق والتيارات الفكرية بالرجوع إلى مصادرها الأصلية أولاً ، ثم على ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والحقائق العلمية ومن ثم ترجيح بعض الآراء .

٥ - بعد تناول المصطلحات الخاصة ببعض المذاهب من وجهة نظرها ، يتم نقدها حسب المعايير العلمية المذكورة آنفاً .

ثالثاً : المواد :

إن دائرة المعارف الإسلامية لوقف الديانة التركي تأليف أصيل تماماً ، من ألفها إلى يائها . وكذلك ترتيب موادها التي أثبتت بعض تمحيص ٥٠٠ مصدر أساس . وقد بلغ عددها ١٨,٠٠٠ مادة أساسة ، ويزيد على ٢٣,٠٠٠ مادة مع عطف بعضها على بعض .

وهذه المواد تتضمن المصطلحات المتعلقة بالعلوم والثقافة الإسلامية وسير الأنبياء وتراجم الصحابة والعلماء والأدباء والشعراء والفنانين ، والأحداث والحروب ذات التأثير العميق في الحياة الإسلامية ، وأخبار الدول الإسلامية ، ورجال الدولة والسياسة المشهورين ، والمذاهب الفكرية والفقهية التي أثرت في حياة الشعوب المسلمة ، والطرق الصوفية ، والمؤسسات الثقافية والعلمية والتاريخية، والأماكن ذات الأهمية التاريخية ، والأديان الأخرى ، والأعلام غير الإسلامية التي لها علاقة كبيرة بالإسلام من حيث العلم والفكر والسياسة ولهم مؤثرات قوية في هذه المجالات سلباً وإيجاباً .

وإضافة إلى ذلك تركز الدائرة على المواد التالية :

أ - **أسماء الأعلام** : وقد تم اختيار الأعلام الإسلامية ابتداء بالصحابة الكرام وحتى يومنا هذا، ممن وردت أسماؤهم في كتب الرجال والطبقات ، وسوف تكون النقاط التالية نصب الأعين في كتابة المواد المتعلقة بالأشخاص :

١ - الاسم الكامل للشخص ، مكان وتاريخ ولادته ووفاته ، ونبذة يسيرة عن حياته .

٢ - التعريف بمنزلته بين جماعته ، ومكانته العلمية والأدبية والفكرية والسياسية والعسكرية ، وأساتذته وتلاميذه .

٣ - يشار إلى مؤلفاته التي ترد كمادة رئيسية في الدائرة بشرح مختصر . وإذا لزم الأمر يمكن التطرق إلى بقية مؤلفاته ضمن إطار معين ، كما يمكن التعريف بالمؤلفات التي لها قيمة علمية أو شهرة أو خصائص معينة مع تقييمها . ويكتفى بالإشارة إلى مرجع معين لأصحاب المؤلفات العديدة ، مع التعريف بأشهر تلك المؤلفات . وفي هذه الحالة يتم التطرق إلى النسخ المخطوطة أو المطبوعة ، بالإضافة إلى ذكر الأعمال العلمية التي أجريت حول تلك المؤلفات .

ب - **المؤلفات** : تخصص مواد مستقلة للمؤلفات التي ساعدت على تأسيس وتطوير العلوم والمعارف الإسلامية ، والمؤلفات التي أتت بأفكار جديدة في تخصصها ، وكذلك المؤلفات التي تتمتع بشهرة في العالم الإسلامي :

١ - يتم ذكر الاسم الكامل لمؤلفي الكتب التي تدخل

الدائرة كمادة رئيسية ، وتواريخ وفاتهم ومذاهبهم .. وإن لم يدخل المؤلف كمادة رئيسية فيكتفي بنبذة عن حياته ..

٢ – يتم ذكر المكانة العلمية والدينية والأدبية للمؤلف ، وكذلك الدراسات التي أجريت حوله .

٣ – يتم ذكر وتقييم النسخ المخطوطة والمطبوعة والمحققة علمياً حول المؤلف . أما المؤلفات غير المطبوعة فيكون التعريف بأهم نسخها المخطوطة .

ج – **البلدان** : تم إدخال الوحدات الجغرافية (مدينة ، قطر، جبل ، سهل ، ... إلخ) المتصلة بالإسلام كمواد مستقلة في دائرة المعارف الإسلامية هذه .

وبما أنها ليست موسوعة جغرافية فسوف يتم التطرق إلى الوحدة الجغرافية من الناحية الطبيعية بما يقتضيه المقام ، بقصد تسهيل التعريف بها وبمخلفاتها الحضارية .

د – **مصادر المواد والببليوجرافيات** :

١ – لن تذكر المصادر خلال النصوص وإنما تدرج بالأرقام عقب انتهاء المادة في الحواشي بشكل واف وحسب الطرق العلمية . وإذا تكرر ذكرها فيتم التطرق إليها باختصار . أما المراجع التي لم تذكر في الحاشية فتدرج تحت عنوان جانبي باسم (ببليوجرافيا) وذلك بعد الحواشي.

٢ – لن تستعمل الحواشي في المواضيع المعروفة عموماً . وإنما يشار إلى المصدر الرئيسي المعروف . وعند تقديم الببليوجرافيا يتم ذكر المراجع الأصيلة والرئيسة ، والمراجع الأخرى التي لا يمكن الاستغناء عنها في بحث الموضوع ، مع ذكر المكان والتاريخ وأرقام المجلدات والصفحات المتصلة بالموضوع .

٣ – تتم الإشارة إلى الآيات القرآنية خلال النص على النحو التالي (النساء ٤/١٥) ، والأحاديث كذلك (البخاري علم ٦) .

إن إدارة دائرة المعارف هذه لم تقتصر في تحرير المواد على هيئة التحرير وحدها ؛ بل حاولت ولا تزال تحاول الاستفادة من العلماء الذين تمكنت من الوصول إليهم داخل تركيا وخارجها ، ويزيد عدد المؤلفين المحليين حتى يناير عام ١٩٩١م على ٦٠٠ ، ينتمون إلى أكثر من ثلاثين جامعة .

ومما يجدر ذكره هنا أن كل مادة من مواد الدائرة تعزى إلى مؤلفها في نهاية المادة ، فيذكر اسمه دون معلومات أخرى . وفي نهاية كل مجلد تذكر أسماء المشاركين في إعداده .

ولما كانت الدائرة هذه ليست مجموعة مؤلفات شعبية ولا موسوعة التخصص التي يعنى بها الدارسون وحدهم ، فقد روعي فيها المستويات الثقافية المتفاوتة . إلا أن المبدأ الأساس هو إعطاء المعلومات الصحيحة من خلال المراجع الأصيلة والوثائق القيمة . ولوصولها إلى درجة لا يستغني عنها الباحثون ، فإن المسئولين يحاولون ما وسعهم من جهد تحقيق ذلك في مضمون المواد ومصادرها التي استفيد منها أثناء الكتابة .

إعداد مواد الدائرة

يتحقق إعداد المواد وعرضها للنشر حسب الخطة المتبعة التالية :

١ – **الإحالة** : تقوم خدمات الإحالة والمتابعة بالاتصال بالمؤلفين ، وتسليم المواد إليهم والاستفسار عن المواد التي تقرر تسلمها حسب الجدول الزمني المحدد . ولرئيس الهيئة العلمية حق تعيين حجم المادة وتحديد زمن كتابتها . وعند الضرورة يقوم بعمل خطة البحث للمادة – ولا سيما في المواد ذات الحجم الكبير – مع بعض الملاحظات الموضحة . كما يقوم بتثبيت المواد العلمية الموجودة في أوعية المعلومات ، ويرسل ملف الإحالة إلى المؤلفين من قبل الأمانة العامة بعد مراجعة هيئة التدقيق فيه والتنقيح له .

٢ - **التأليف** : يقوم مؤلف المادة بتسلمها في الموعد المحدد بعد قبول كتابتها . وله أن يطلب الحصول على المواد العلمية المساعدة أو الإيضاحات المتممة من إدارة الدائرة . ويوجد في الإدارة موظفون تقتصر مهمتهم على هذه الخدمة فقط.

٣ - **التنقيح العلمي** : إن المواد التي يرسلها كاتبوها إلى الإدارة العامة للدائرة ، تحال إلى الهيئة العلمية بعد عد كلماتها . ويقوم رئيس الهيئة في أول الأمر بفحص المادة وتقييمها . وبإمكانه أن يقرر قبول المادة أو رفضها أو إعادتها إلى مؤلفها للتصحيح ، أو إحالتها إلى المختصين لتنقيحها تنقيحاً علمياً . وإذا تغيرت المادة تغييراً جذرياً في مرحلة التنقيح والفحص فإنه يتم إعادتها إلى مؤلفها لإبداء رأيه في التغييرات الجديدة .. ويتم إرسال المادة إلى هيئة الفحص بعد موافقة رئيس الهيئة العلمية على ذلك .

٤ - **الفحص** : يقوم المختص في هيئة الفحص والتنقيح بمراجعة المادة مراجعة علمية ، وينظر إلى شكلها وصياغتها وإمكانية نشرها في الدائرة . وإذا لزم الأمر قام بالتصحيحات اللازمة . كما أنه يقوم بتوثيق المصادر والمراجع ومدى استفادة الباحث منها في إعداد المادة . ثم تمر المادة بوحدة المراقبة الداخلية ، لإجراء المقابلة بين المواد المتشابهة ، أو المتناقضة المرتبطة بعضها ببعض .

٥ - **التنقيح الفني** : وتمر المادة فيه بمراحل عديدة ابتداءً من التصحيح الإملائي واللغوي وانتهاءً بالترتيب المنطقي في الصياغة والتنظيم .

٦ - **رقابة النشر** : بعد عرض المادة على هيئة الفحص والتنقيح للقراءة الأخيرة تجهز المادة فيتم تسليمها إلى إدارة النشر .

٧ - **تصميم الصفحات والإعداد للطبع** : تقوم خدمات التنظيم بتصميم الصفحة التي تصل إلى إدارة النشر ، وذلك بتعيين أشكال حجم الحروف التي تستخدم في طباعة المواد . وإذا تطلب الأمر توضيح المادة أكثر بالرسوم التوضيحية والخرائط والصور ، وتثبت كل ذلك في أماكنه وتصحح ثم يتم تصويرها ، وتكون جاهزة للطبع .

إمكانات الدائرة التقنية

تتكون الإدارة العامة للدائرة من مجموعة عمائر . فيها أيضاً مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي . وقد عملت ملحقات بهذه المباني لكي تستطيع الدائرة من ممارسة أعمالها العلمية بما يتناسب مع حجمها ، وأهدافها البعيدة .

١ - **المكتبة** : وهي مكتبة ضخمة . وقد تم تأسيسها مع بداية الأعمال التمهيدية للدائرة . ويزيد عدد الكتب فيها على ٢١,٠٠٠ مجلد ، ٣٠٠٠ منها دوريات . وهي تحاول جاهدة توفير الكتب العربية بشكل خاص ، وتوجد بها أحدث الطبعات من هذه المؤلفات العربية . والجدير بالذكر أن كاتب هذه السطور وجد فيها كتباً لم يطلع عليها في العالم العربي من خلال ما شاهده من مكتبات .

٢ - **قسم التوثيق** : وهي أوعية المعلومات التي أعدت لجمع المواد العلمية للدائرة . وقد قامت بتمشيط ومسح أكثر من ١,٥٠٠ كتاب و ٥٠٠ دورية صادرة خارج تركيا. ووضعت ما جمعت منها في ١٠,٠٠٠ ظرف من الظروف الخاصة بالمواد . ويزيد عدد الدوريات التي تم الوقوف عليها أكثر من ١,٥٠٠ دورية . وقد انتهى مسح كتاب «Index Islamicus» للقسم الذي يستغرق ما بين ١٩٠٥ – ١٩٨٩م ، ويستمر مسح القسم الذي يتناول فترة ١٦٦٥ – ١٩٠٥م .

٣ - **الحاسب الآلي** : تستفيد الدائرة من إمكانات الحاسب الآلي في كثير من أعمالها . وقد سجلت المعلومات المختلفة المتعلقة بجمع المواد الموسوعية

والمصادر الأساسية والمعلومات التمهيدية لها ، وإدخال الكتب الموجودة بالمكتبة وأوعية المعلومات ، ووحدة التصوير ، إلى جانب أمور المحاسبة المالية والإدارية . وذلك كله في إطار برامج متطورة ، أعدت بشكل خاص لهذه الأغراض . وكذلك سجلت فيه أسماء ٢,٠٠٠ عالم مسلم ، ٣٠٠ منهم من خارج تركيا ، كما سجلت جميع الأعمال المتعلقة بالمواد لمن قام بإعدادها . وتقوم وحدة المتابعة بمتابعة أعمالها مستعينة بالحاسب الآلي . ويتم فيه أيضًا تسجيل مضمون ومصادر المواد المحررة التي وصلت إلى الدائرة . وذلك للاستفادة منها أثناء أعمال التنقيح والمقابلة والفهرسة .

وإلى جانب كل ذلك تستمر أعمال تسجيل محتوى مكتبة كلية الإلهيات بجامعة مرمرة بإستانبول ، وجامعة دوكوز أيلول ، ومكتبة السليمانية ، ومكتبة معهد الشرقيات، ومكتبة معهد البحوث الإسلامية بجامعة إستانبول ، ومكتبة نور عثمانية ، ومكتبة عاطف أفندي ، ومكتبة جامعة إستانبول ، ومكتبة حاجي سليم آغا ، ومكتبة متحف ديوان أدبياتي ، ومكتبة بايزيد ، ومكتبة ملّت .. وغيرها من المكتبات الموجودة بمدينة إستانبول .

٤ – **التصوير** : ومهمة هذه الوحدة تأمين ما يلزم للمادة من الصور والرسوم والخرائط والمخطوطات ؛ وقد تجمع لديها ما يقرب من ٢٠,٠٠٠ صورة شفافة ، ومثلها من الصور غير الملونة ، ولها إمكانات تقنية لكل ما تحتاج إليه الدائرة .

٥ – **التنظيم** : للدائرة آلات تنظيم حديثة مرتبطة بالحاسب الآلي .

بعض الخصائص الشكلية للدائرة

تطبع الدائرة على ورق ممتاز (٧٥ جرامًا) وأربعة ألوان بالأفست . ويتكون كل مجلد من ٢٧ ملزمة ، و٥٦٠ صفحة تقريبًا .

ويبدأ تقديم عناوين المواد بجمل تعريفية ، وتكتب بعض العناوين بالحروف العربية حسب الحاجة . كما تزود المواد بالصور والرسوم والخرائط والمخططات . وقد تم اختيار الحروف التي تسهل قراءتها على القارئ . واستخدمت أحجام طباعية مختلفة للمواد والمراجع وأسماء المؤلفين وكذلك الكتابات البيانية تحت الرسوم التوضيحية .

تسويق الدائرة وبيعها

قامت إدارة النشر والتوزيع بوقف الديانة التركي بإجراء الدعايات والأعمال اللازمة للبيع والتوزيع على نطاق واسع ، وتسجيل المشتركين وإرسال المجلدات إليهم تباعًا . وهي تتعاون مع إحدى شركات التوزيع الكبرى . وتعد دوائر الديانة والإفتاء في كافة المدن والأقضية التركية ممثلة للوقف في تسجيل المشتركين ، وهي حلقة الوصل فيما بينهما .

خاتمة

تهدف هذه الدائرة إلى تحقيق أرقى مستوى ممكن في النواحي العلمية والشكلية والفنية ، وأن تكون أفضل كتاب صدر في تركيا حتى الآن في مجال تخصصه . ويرجى لها دور بارز في الإسهام بتربية الجيل تربية إسلامية صحيحة وفي تذليل الطريق للباحثين والدارسين ، لاجتياز الصعوبات التي تعترضهم في إعداد بحوثهم العلمية .

وللدائرة هدف بعيد هو القيام بترجمتها إلى اللغة العربية بشكل خاص . وهناك عدد من المواد جاهز من الآن ، وهي المواد التي يكتبها العلماء من العالم العربي .

الجداول (القوائم) المساعدة

في تصنيف ديوي العشري [ت د ع] والتصنيف العشري العالمي [ت ع ع]

دراسة مقارنة

القسم الأول : الجداول المساعدة في (ت د ع)

إعداد : يونس أحمد الخاروف

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة الجداول المساعدة في كل من تصنيف ديوي العشري من خلال طبعته العشرين الصادرة عام ١٩٨٩م (١) ، والتصنيف العشري العالمي من خلال الطبعة الدولية المتوسطة الصادرة باللغة الإنجليزية عام ١٩٨٥م (١)، وينقسم هذا البحث إلى ثلاثة أقسام رئيسة ، يتم معالجة كل قسم منها بشكل منفصل . فالقسم الأول يسلط الضوء على الجداول المساعدة في تصنيف ديوي العشري ، ويبرز الملامح العامة لهذه الجداول والخصائص المميزة لكل جدول منها أما القسم الثاني فيسلط الضوء على الجداول المساعدة في التصنيف العشري العالمي ، ويبرز الملامح العامة والخاصة لهذه الجداول ووظيفة كل منها . أما القسم الثالث والأخير فيمثل الدراسة المقارنة بين الجداول المساعدة في (ت د ع) و (ت ع ع) .

أولاً : الملامح والخصائص العامة :

تميزت الطبعات الأخيرة من تصنيف ديوي العشري ، وخاصة الطبعة العشرون الصادرة عام ١٩٨٩م بوجود الجداول السبعة المساعدة التي يطلق عليها - كنوع من التمييز - المصطلح «Tables» ، بينما يطلق على الجداول الرئيسة اسم «Scheduels» . وقد وضعت هذه الجداول لمساعدة المصنف في التعبير بشكل أفضل عن الوجوه والأشكال والجوانب المختلفة للموضوع ، وفي توسيع أرقام التصنيف في الجداول الرئيسة . وهناك مجموعة من الملاحظات العامة التي ينبغي على المصنف أخذها بعين الحسبان قبل استخدام هذه الجداول :

١ - أنها تضم رموزًا لا تستخدم بمفردها ؛ بل تضاف إلى أرقام التصنيف الواردة في الجداول الرئيسة ، وهذا هو السبب في وضع الشرطة (-) إلى جانب رموز هذه الجداول .

٢ - أنها تنقسم من حيث استخدامها وإضافة رموزها إلى الأقسام العشرة الرئيسة في ت د ع إلى فئتين :

أ - فئة تستخدم مع جميع الأقسام بناء على تعليمات محددة أو بدون تعليمات ترد في هذه الأقسام ، وهذه الجداول هي :

- الجدول المساعد رقم (١) التقسيمات الموحدة أو الفروع المقننة .
- الجدول المساعد رقم (٢) المناطق الجغرافية .
- الجدول المساعد رقم (٥) الجماعات العرقية والوطنية والجنسية .
- الجدول المساعد رقم (٦) اللغات الفردية .
- الجدول المساعد رقم (٧) الأشخاص .

ب - فئة لا تستخدم إلا مع أقسام محددة وبناء على تعليمات معينة ترد في هذه الأقسام ، وهذه الجداول هي :

- الجدول المساعد رقم (٣) تقسيمات الأدب (الأشكال الأدبية) الذي لا يستخدم إلا مع قسم الأدب (٨٠٠ - ٨٩٩) .

- الجدول المساعد رقم (٤) تقسيمات اللغات (الأشكال اللغوية المقننة) الذي لا يستخدم إلا مع قسم اللغات (٤٠٠ - ٤٩٩) .

٣ - أن هذه الجداول تسير أيضًا على مبدأ التقسيم العشري ، فكل جدول مساعد ينقسم إلى عشرة أقسام رئيسة ، ينقسم كل واحد منها بدوره إلى عشرة فروع أصغر وهكذا . ويمكن لعملية التقسيم العشري أن تستمر في هذه الجداول بحيث يتم تفريع كل رمز إلى فروع أصغر حسب الحاجة .

٤ - أن بعض هذه الجداول يمكن إضافة رموزه إلى أرقام التصنيف في الجداول الرئيسة بناء على تعليمات ترد في هذه الجداول أو بدون تعليمات كما هو الحال بالنسبة للجدولين المساعدين الأول والثاني . إلا أن الجداول الأخرى (٣ - ٧) لا تضاف برموزها إلى أرقام التصنيف في الجداول الرئيسة إلا بناء على تعليمات محددة في الجداول الرئيسة ، وفي حالات معينة لا يجد فيه المصنف مثل هذه التعليمات يسمح له بالإضافة من الجداول (٥ ، ٧) شريطة أن يستخدم رموزًا معينة من الجدول المساعد رقم (١) هي (089) و (088) و (024) .

ثانيًا : الجداول السبعة المساعدة وملامحها الخاصة :

١/٢ الجدول المساعد رقم (١) التقسيمات الموحدة أو الفروع المقننة

(Tl : Standard Subdivisions) يضم هذا الجدول رموزًا تستخدم في التعبير عن :

أ - الشكل الذي يتخذه الموضوع مثل المعاجم ، والموسوعات ، والدوريات ، والأدلة ، والموجزات ، والأفلام ... إلخ .

ب - وجه الموضوع أو الأسلوب أو الطريقة التي يعالج من خلالها الموضوع مثل الأسس الفلسفية أو النفسية للموضوع ، نظريات الموضوع ، تاريخ الموضوع ، طرق تدريس الموضوع ... إلخ .

ج - المعالجة التاريخية والجغرافية والتراجمية للموضوع .

أما التقسيمات الموحدة لهذا الجدول فهي (الملخص فقط) :

01 - فلسفة ونظريات الموضوع .

02 - المنوعات والمتفرقات مثل الموجزات والأدلة والأجهزة، والمعدات والمعالجة السمعية والبصرية للموضوع.

03 - المعاجم والموسوعات والمواد المرتبة هجائيًا .

04 - موضوعات خاصة (٢)

05 - المطبوعات المسلسلة كالدوريات والكتب السنوية .

06 - المنظمات والإدارة .

07 - التعليمات والبحث والموضوعات ذات الصلة .

08 - تاريخ ووصف الموضوع تبعًا لعلاقته بفئات من الأشخاص .

09 - المعالجة التاريخية والجغرافية وتراجم الأشخاص .

وعند إضافة رموز هذا الجدول إلى أرقام التصنيف في الجداول الرئيسة قد يجد المصنف في بعض الأحيان تعليمات وإرشادات توجهه في عملية الإضافة والتركيب ، وفي أحيان أخرى لا يجد مثل هذه التعليمات . وعندما لا يجد المصنف أية تعليمات تبين له كيفية إضافة التقسيمات الموحدة فإنه يلتزم بإضافة التقسيم الموحد (أي رمزه) كما هو . أما التعليمات التي يجدها المصنف تحت أرقام التصنيف في الجداول الرئيسة فتتخذ عدة أشكال منها :

أ - ورود تعليمات محددة تطلب من المصنف إضافة أحد رموز الجدول المساعد رقم (١) إلى رقم التصنيف الذي ترد تحته . فمثلاً تحت الرقم 001.4 البحث يجد المصنف العبارة التالية : "صنف البحث في موضوع معين مع ذلك الموضوع بإضافة الرمز 072 - من الجدول المساعد رقم (١) ، مثال البحث في اللغة الإنجليزية 420.72 (وهنا نلاحظ أن صفر التقسيم الموحد 072 - قد حذف عند إضافته إلى الرقم 420) .

ب - ورود التقسيمات الموحدة الرئيسة بشكل مفصل تحت رموز بعض الأقسام الرئيسة مثل الفلسفه 100 والعلوم الطبيعية 500 والعلوم التطبيقية 600 والفنون 700 والتاريخ 900 ، مثال ذلك تحت الرمز

900 ترد الأمثلة التالية :

901 فلسفة ونظريات التاريخ ؛ 902 منوعات التاريخ العام .

903 معاجم وموسوعات التاريخ العام ؛ 904 الوقائع التاريخية .

905 الدوريات التاريخية ؛ 906 المنظمات التاريخية .

907 التعليم والبحث في مجال التاريخ ؛ 908 التاريخ تبعًا لعلاقته بالأشخاص .

909 تاريخ العالم العام وحضارته .

ج - ورود بعض التقسيمات الموحدة مركبة وجاهزة تحت رموز تصنيف معينة في الجداول الرئيسة ، وتشكل هذه التقسيمات «أساسًا» يعتمد عليه المصنف في إضافة التقسيمات الموحدة الأخرى إلى الرقم نفسه ، فمثلاً تحت الرقم 610 العلوم الطبية ، يجد المصنف التقسيمات الموحدة التالية :

610.28 التقنيات والإجراءات والأجهزة والمعدات الطبية .

610.6 المنظمات والإدارة والمهن الطبية .

610.7 التعليم والبحث والتمريض .

وقياسًا على هذه النماذج يكون رقم تصنيف المعاجم الطبية 610.3 ، والدوريات الطبية 610.5 ، وتاريخ الطب 610.9 (يلاحظ هنا حذف صفر التقسيم الموحد) .

د - ورود تعليمات مختصرة متعددة الأشكال تبين للمصنف كيفية إضافة رموز التقسيمات الموحدة الرئيسة وفروعها ومن هذه التعليمات المختصره :

١ - 9.-1. التقسيمات الموحدة .

وهذه تعني أن باستطاعة المصنف أن يضيف أي تقسيم موحد من الجدول الأول إلى رقم التصنيف الذي ترد تحته (فقط) بعد أن يحذف منه الصفر ، فمثلاً ترد تحت الرقم 300 العلوم الاجتماعية التعليمات المختصرة - 1. 9. التقسيمات الموحدة . وبناء على هذه التعليمات يكون رقم تصنيف معجم في العلوم الاجتماعية 300.3 ، ودورية في العلوم الاجتماعية 300.5 ، وهكذا .

٢ - 09. - 01. التقسيمات الموحدة .

وهذه تعني أن باستطاعة المصنف إضافة أي تقسيم موحد إلى رقم التصنيف الذي ترد تحته (فقط) دون أن يحذف منه الصفر ، فمثلاً تحت الرمز 301 علم الاجتماع يجد المصنف التعليمات 09. - 01. التقسيمات الموحدة . وبناء على هذه التعليمات يكون رقم تصنيف معجم في علم الاجتماع 301.03 ، ودورية في علم الاجتماع 301.05.

٣ - 009. - 001. التقسيمات الموحدة .

وهذه تعني إضافة التقسيم الموحد إلى رقم التصنيف في الجداول الرئيسة بعد إضافة صفر آخر له . فمثلاً تحت الرقم 611 التشريح البشري ترد 009. - 001. التقسيمات الموحدة . فيكون رقم معجم للتشريح البشري 611.003 ، ودورية في التشريح البشري 611.005 . وهكذا .

٤ - 0009. - 0001. التقسيمات الموحدة .

وهذه تعني إضافة التقسيم الموحد إلى رقم التصنيف في الجداول الرئيسة بعد إضافة صفرين آخرين له . فمثلاً تحت الرقم 351 إدارة الحكومات المركزية ترد 0009.-0001. التقسيمات الموحدة . فيكون رقم تصنيف معجم في الإدارة الحكومية المركزية 351.0003، ودورية في الإدارة الحكومية المركزية 351.0005 ، وهكذا .

٢/٢ الجدول المساعد رقم (٢) المناطق الجغرافية . الأماكن .

ويضم هذا الجدول رموزًا تسمح للمصنف بالتعبير عن المعالجة الجغرافية للموضوع . ويتيح الجدول المجال لثلاثة أنواع من المعالجة الجغرافية وهي :

أ - المعالجة الجغرافية العامة غير المحددة بقارة أو بقطر أو بمدينة معينة ، أي العالم بشكل عام ومناطقه النباتية والمناخية والاقتصادية وغير ذلك . ويستخدم الرمز 1- وفروعه في هذا الجدول للتعبير عن المعالجة الجغرافية العامة .

ب - المعالجة الجغرافية المحددة بأقطار ومناطق وحضارات في العالم القديم كالدولة الأشورية ، والحضارة اليونانية ، وبلاد الرافدين ... إلخ . ويعبر الرمز 3 - وفروعه عن هذه المناطق .

ج - المعالجة الجغرافية المحددة بقارات وأقطار وأماكن في العالم الحديث كقارة آسيا و أوربا ، وكالهند وبريطانيا ، وكنيودلهي ولندن . وتعبر الرموز 9 - 4 وفروعها عن هذه المناطق .

ويتألف الجدول رقم (٢) من تسعة أقسام رئيسة ، يتفرع كل قسم منها بطريقة عشرية إلى فروع أصغر تبعًا لطبيعة كل قسم ، وهذه الأقسام هي (الملخص فقط) :

1 – العالم : المناطق والجهات والأماكن بشكل عام .
2 – الأشخاص بغض النظر عن المناطق والجهات والأماكن
3 – العالم القديم .
4 – أوربا ودولها .
5 – آسيا ودولها .
6 – أفريقيا ودولها .
7 – أمريكا الشمالية ودولها .
8 – أمريكا الجنوبية ودولها .
9 – مناطق العالم الأخرى والعوالم غير الأرضية وجزر المحيط الهادي .

وعند إضافة رموز الجدول المساعد رقم (٢) إلى أرقام تصنيف الجداول الرئيسة يجد المصنف في بعض الأحيان تعليمات تبين له كيفية الإضافة وغالبًا ما تزود هذه التعليمات بأمثلة تطبيقية . أما عندما لا يجد المصنف مثل هذه التعليمات ، فإن عليه أن يضيف إلى رقم تصنيف الموضوع التقسيم الموحد (09 -) من الجدول الأول (وهو خاص بالمعالجة الجغرافية) ، ثم يتجه بعد ذلك إلى الجدول المساعد رقم (٢) لاستخراج رمز المكان المطلوب ومن ثم إضافته إلى 09- ليكون بذلك رقمًا مركبًا يمثل الموضوع ومعالجته الجغرافية . فمثلاً تحت رقم التصنيف 385 السكك الحديدية لا يجد المصنف أية تعليمات للمعالجة الجغرافية ، فإذا كان يريد تصنيف موضوع السكك الحديدية في فرنسا فإن عليه أولاً أن يضيف 09 إلى 385 ليصبح 385.09 ، وبعد ذلك يستخرج من الجدول الثاني رقم فرنسا 44- ويضيفه إلى الناتج فيصبح 385.0944 فيكون بذلك رقمًا مركبًا لموضوع السكك الحديدية في فرنسا .

أما بالنسبة للتعليمات التي توجه المصنف في كيفية إضافة رموز المناطق الجغرافية من الجدول المساعد رقم (٢) ، فإنها ترد على عدة أشكال منها :

أ – التعليمات التي تسمح للمصنف بإضافة جميع رموز الجدول المساعد رقم (٢) إلى رموز التصنيف التي ترد تحتها في الجداول الرئيسة ، وعادة ما ترد هذه التعليمات بالصيغة التالية :

أضف لرمز الأساس ... الرموز 1-9 من الجدول الثاني ، مثال ...

ومن الأمثلة على هذه التعليمات ، ما يرد تحت الرقم 551.69 الطقس في أماكن محددة :

أضف لرمز الأساس 551.69 الرموز 1-9 من الجدول الثاني :

مثال مناخ المناطق الصحراوية 551.69154 (حيث يمثل 154 – رمز المناطق الصحراوية في الجدول الثاني)

ب – التعليمات التي تسمح للمصنف بإضافة رموز أماكن العالم القديم والوسيط والحديث فقط من الجدول الثاني إلى أرقام التصنيف في الجداول الرئيسة ، وعادة ما ترد هذه التعليمات بالصيغة التالية :

أضف لرمز الأساس ... الرموز 3-9 من الجدول الثاني ، مثال ...

ومن الأمثلة عليها في الجداول الرئيسة ما ورد تحت الرقم 349 القانون في الدول والأقطار المختلفة :

أضف لرمز الأساس 349 الرموز 3-9 من الجدول الثاني ، مثال القوانين في مصر القديمة 349.32 (حيث يمثل الرمز 32- مصر القديمة في الجدول الثاني)

كما تسمح التعليمات السابقة بإضافة رمز أية دولة في العالم الحديث إلى الرمز 349 ، وبذلك يكون رمز القوانين في مصر الحديثة 349.62 (حيث يمثل 62- رمز مصر الحديثة في الجدول الثاني)

ج – التعليمات التي تسمح للمصنف بإضافة رموز القارات والدول والمدن والأماكن في العالم الحديث من الجدول الثاني إلى رموز التصنيف التي ترد تحتها في الجداول الرئيسة ، وعادة ما ترد هذه التعليمات بالصيغة التالية :

أضف لرمز الأساس ... الرموز 4-9 من الجدول الثاني ، مثال ...

ومن الأمثلة على هذه التعليمات في الجداول الرئيسة، ما ورد تحت الرمز 368.9 التأمين في قارات ودول وأماكن محددة :

أضف لرمز الأساس 368.9 الرموز 4-9 من الجدول الثاني ، مثال : التأمين في الولايات المتحدة 368.973 (حيث يمثل 73- رمز الولايات المتحدة في الجدول الثاني) .

وهناك ملاحظة أساسية تتعلق بالجدول المساعد رقم (٢) وهي أن هذا الجدول مبني أساسًا على قسم التاريخ في تصنيف ديوي ، وأن رمز المكان للقارة أو الدولة أو

المدينة هو نفسه رقم تصنيف هذه القارة أو الدولة أو المدينة محتوفًا منه الرقم 9. والمثال التالي يوضح ذلك :

تاريخ الدولة	رمزها المكاني
951 الصين	-51
962 مصر	-62
973 الولايات المتحدة	-73

٣/٢ الجدول المساعد رقم (٣) تقسيمات الأدب .

يضم هذا الجدول رموزًا لتقسيمات أدبية موحدة كالشعر والمسرحية والقصة ، كما يضم رموزًا لفروع هذه التقسيمات كالشعر المسرحي والشعر القصصي والمسرحية الكوميدية .... إلخ .

ويشتمل الجدول أيضًا على تقسيمات تعكس أساليب ومفاهيم أدبية معينة كالواقعية والرمزية ، وتعالج موضوعات معينة أو أشخاصًا وأمكنة وأزمنة وأحداثًا مختلفة .

وعلى هذا الأساس ينقسم الجدول (٣) إلى ثلاثة جداول فرعية هي :

١ – الجدول ٣/أ (3A) ويضم التقسيمات الموحدة للأدب :

1 – الشعر . 5 – الخطب .
2 – المسرحية . 6 – الرسائل الأدبية .
3 – القصة . 7 – الأهاجي والفكاهات والنوادر.
4 – المقالات الأدبية . 8 – المنوعات الأدبية .

٢ – الجدول ٣/ب (3B) ويضم تفريعات التقسيمات الموحدة السابقة ، فالشعر على سبيل المثال ينقسم إلى :

101 – الشعر المسرحي (الدرامي) .
102 – الشعر القصصي . 104 – الشعر الغنائي .
103 – الشعر الملحمي . 105 – الشعر التعليمي.
107 – الشعر الهجائي والفكاهي .
108 – الشعر الصوفي وشعر المناسبات .

٣ – الجدول ٣/ج (3C) ويضم تقسيمات الأدب التي تعكس أساليب ومفاهيم معينة كالواقعية والرومانسية ، أو التي تعكس عناصر معينه كالوصف والسرد والحوار أو التي تعالج موضوعات معينة كالمكان والزمان والأشخاص أو التي تركز على موضوعات محددة كالدين والفلسفة ، أو التي تتعلق بالأدب الموجه لأنواع وفئات معينة من الأشخاص والجماعات .

أما تقسيمات الجدول ٣/ج (3C) فهي :

1 – الأدب الذي يعكس أساليب ومفاهيم ومشاعر معينة .
2 – الأدب الذي يعكس عناصر معينة .
3 – الأدب الذي يعالج موضوعات معينة .
4 – الأدب الذي يركز على الموضوعات (الموضوعات كأدب).
8 – أدب الجماعات العرقية والوطنية والجنسية .
9 – أدب فئات أخرى من الأشخاص أو الموجه إليها .

ومن الملاحظات الأساسية على هذا الجدول :

أ – أن رموزه تضاف فقط إلى أرقام التصنيف في قسم الأدب 800/899 ولا تستخدم مع الأقسام الأخرى .

ب – أن هذه الرموز لا تضاف إلا بناء على تعليمات ترد تحت أرقام التصنيف في قسم الأدب ، وخاصة تلك المميزة بالنجمة الواحدة (*) أو النجمتين (**) .

٤/٢ الجدول المساعد رقم (٤) تقسيمات اللغات.

ويضم هذا الجدول رموزًا للتقسيمات اللغوية الموحدة كالمعاجم والنحو واللهجات العامية . وتضاف رموز هذه التقسيمات إلى أرقام التصنيف في قسم اللغات فقط 400/499 وبناء على تعليمات محددة ترد تحت هذه الأرقام وخاصة تلك المميزة بعلامة النجمة (*) .

والتقسيمات اللغوية الموحدة (الرئيسة) في هذا الجدول هي :

1 – الكتابة والأصوات . 5 – النحو والصرف .
2 – الاشتقاق وفقه اللغة . 7 – اللهجات العامية .
3 – معاجم اللغة . 8 – التطبيقات اللغوية .

وتضيف الترجمة العربية المختصرة للطبعة العشرين (٤) إلى هذه التقسيمات للغة العربية :

4 – البلاغة . 6 – العروض والقوافي .

ويتفرع كل تقسيم لغوي من تلك التقسيمات إلى فروع أخرى بطريقة عشرية ، فالكتابه والأصوات تتفرع إلى :

11 – نظم الكتابة .
15 – الأصوات .
152 – التهجئة والنطق .
16 – مقاطع الحروف ومخارجها .

٥/٢ الجدول المساعد رقم (٥) الجماعات العرقية والوطنية والجنسية .

يضم هذا الجدول رموزًا للجماعات التي تنتمي إلى جنس أو عرق أو قومية معينة . وقد قسم الجدول بطريقة

عشرية أيضًا حيث أعطيت الأجناس الرئيسة الرموز 03-046 بينما أعطيت الجماعات العرقية والوطنية الرموز 1-9 ، كما هو موضح أدناه :

03-046 الأجناس الرئيسة .

1 – الأمريكيون الشماليون (٥) .

2 – البريطانيون والإنجليز (الأنجلو – ساكسونيون) .

3 – الشعوب الجرمانية . 6 – الأسبان والبرتغاليون .

4 – الفرنسيون . 7 – شعوب إيطالية أخرى .

5 – الإيطاليون والرومانيون . 8 – اليونانيون .

9 – جماعات عرقية ووطنية وقومية أخرى .

ويتم استخدام هذا الجدول بطريقتين :

الأولى : بناء على التعليمات الواردة في الجداول الرئيسة تحت أرقام تصنيف الموضوعات التي تتطلب معالجة عرقية أو وطنية وغالبًا ما ترد هذه التعليمات بالصيغة التالية :

أضف لرمز الأساس ... الرموز 99-03 من الجدول الخامس ، مثال ...

ومن الأمثلة على ذلك ، ما ورد تحت الرقم 305.8 الجماعات الجنسية والعرقية والقومية :

أضف لرمز الأساس 305.8 الرموز 99-03 من الجدول الخامس ، مثال الجماعات الصينية 305.8951 (حيث يمثل الرمز 51- رمز الصين في الجدول الخامس) .

الثانية : بدون تعليمات محددة في الجداول الرئيسة وهذا يتطلب من المصنف استخدام التقسيم الموحد 089- الذي يمثل معالجة الموضوع تبعًا لعلاقته بجماعات جنسية أو عرقية أو وطنية معينة . فإذا أراد المصنف أن يعالج موضوع الأزياء عند الرومان القدماء فإنه لن يجد تحت الرقم 391 الذي يعالج موضوع الأزياء تعليمات تسمح له بالإضافة من الجدول الخامس ، وهنا يتوجب عليه إضافة 089- إلى 391 ليصبح 391.089 ثم يقوم باستخراج رمز الرومان القدماء من الجدول الخامس وهو 71- ، ويضيفه إلى الرقم السابق ليصبح 391.08971 .

٦/٢ الجدول المساعد رقم (٦) اللغات .

ويضم هذا الجدول رموزًا لجميع اللغات الواردة في قسم اللغات ، وهذا يعني أن رمز اللغة يعتمد اعتمادًا كليًا على رقم تصنيفها في قسم اللغات 499-400 . فإذا كان رقم تصنيف اللغة الألمانية 430 فإن رمزها يكون 3 ، حيث يتم حذف الرقم 4 الذي يرمز لقسم اللغات ، كما يحذف الصفر لعدم أهميته . أما رمز اللغة الروسية فهو 917- ؛ لأن رقم تصنيفها هو 491.7 .

أما تقسيمات الجدول السادس الرئيسة ، فهي :

1 – اللغة العربية (٦) . 6 – اللغة الإسبانية والبرتغالية.

2 – اللغة الإنجليزية . 7 – اللغة اللاتينية .

3 – اللغة الألمانية . 8 – اللغة اليونانية .

4 – اللغة الفرنسية . 9 – اللغات الأخرى .

5 – اللغة الإيطالية .

ولا تضاف رموز هذا الجدول إلى أرقام التصنيف في الجداول الرئيسة إلا بناء على تعليمات محددة ترد تحت هذه الأرقام ، وغالبًا ما ترد بالصيغة التالية :

أضف لرمز الأساس ... 9-2 من الجدول السادس مثال ...

ومن الأمثلة عليها ما ورد تحت الرقم 745.674 زخرفة الكتب والمخطوطات حسب اللغة . حيث ترد تحت هذا الرقم عبارة :

أضف لرمز الأساس 745.674 الرموز 9-2 من الجدول السادس مثال : 745.67421 زخرفة المخطوطات الإنجليزية .

٧/٢ الجدول المساعد رقم (٧) الأشخاص .

ويضم هذا الجدول رموزًا للأشخاص أو الأفراد ، سواء كانوا أفرادًا ذوي خصائص غير مهنية كالذكور والإناث ، كالأطفال والمراهقين أو ذوي خصائص مهنية ، كالعاملين في حقل الفلسفة أو السياسة أو الفن ... إلخ .

وينقسم هذا الجدول بناء على ذلك إلى قسمين :

الأول : يختص بالأفراد ذوي الخصائص غير المهنية .

والثاني : يختص بالأفراد ذوي الخصائص المهنية .

وفيما يلي ملخص للجدول السابع .

09- 01- الأفراد أو الأشخاص حسب الخصائص غير المهنية .

1 – الأشخاص العاملون في حقل الفلسفة .

2 – الأشخاص العاملون في حقل الديانات .

3 – الأشخاص العاملون في حقل العلوم الاجتماعية .

4 – الأشخاص العاملون في حقل اللغات .

5 – الأشخاص العاملون في حقل العلوم الطبيعية والرياضيات .

6 – الأشخاص العاملون في حقل العلوم التطبيقية .
7 – الأشخاص العاملون في حقل الفنون .
8 – الأشخاص العاملون في حقل الأدب .
9 – الأشخاص العاملون في حقل التاريخ والجغرافيا .

من خلال الملخص السابق يتضح لنا أن تقسيم الجدول السابع يعتمد أساسًا على الأقسام العشرة الرئيسة في تصنيف ديوي العشري فالرمز 1 – المخصص للعاملين في حقل الفلسفة يمثل أصل الفلسفة 100 - وهكذا بالنسبة لباقي الرموز .

كما أن كل رمز من هذه الرموز يتفرع بدوره إلى فروع أصغر تمثل العاملين في الحقول التي تتفرع من الرموز الرئيسة ، فالعاملون في حقل التربية رمزهم 31- والعاملون في حقل الهندسة الإلكترونية رمزهم - 621.381 – ، وهكذا .

ويتم إضافة رموز هذا الجدول إلى أرقام التصنيف في الجداول الرئيسة بطريقتين :

الأولى : وتتم بناء على التعليمات الواردة تحت أرقام التصنيف في الجداول الرئيسة ، والتي غالبًا ما ترد بصيغة :

أضف لرمز الأساس ... الرموز 99-09 من الجدول السابع ، مثال ...

ومن الأمثلة عليها ما ورد تحت الرقم 390.4 العادات والتقاليد لأصحاب المهن والوظائف :

أضف لرمز الأساس 390.4 الرموز 99-09 من الجدول السابع ، مثال عادات المحامين 390.434 (حيث يمثل الرمز 34- المشتغلين بالقانون في الجدول السابع) .

والثانية : وتتم بدون تعليمات واردة في الجداول الرئيسة وهذه تنقسم بدورها إلى قسمين :

أ – الإضافة من الجدول السابع بدون تعليمات ، ولكن باستخدام التقسيم الموحد 088- من الجدول الأول ، ويمثل معالجة الموضوع تبعًا لعلاقته بفئات من الأشخاص العاملين في وظائف ومهن معينة .

فتحت الرقم 738 الفنون الخزفية لا يجد المصنف تعليمات تسمح له بالإضافة من الجدول السابع . فاذا أراد أن يصنف كتابًا يعالج فنون الخزف عند طلبة المرحلة الثانوية ، فعليه أولاً أن يضيف التقسيم الموحد 088- إلى الرقم 738 ليصبح 738.688 ثم يقوم باستخراج رمز طلبة المرحلة الثانوية (التربية والتعليم) 373- من الجدول السابع ويضيفه إلى الرقم السابق ليصبح 738.088373 .

ب – الإضافة من الجدول السابع باستخدام التقسيم الموحد 024- من الجدول الأول ويمثل الأعمال الموجهة لفئة معينة من المستخدمين . فتحت الرقم 513 الحساب لا يجد المصنف تعليمات تسمح له بالإضافة من الجدول السابع ، فإذا أراد أن يصنف كتابًا عن الحساب لنجاري البناء فعليه أن يضيف 024- إلى الرقم 513 ليصبح 513.024 ، ومن ثم يقوم بإضافة رمز نجاري البناء من الجدول السابع 694- فيصبح الرقم كاملاً 513.024694 .

المراجع والهوامش

1 - Dewey , Melvil . Dewey Decimal Classification and relative index : 20 th edition . - Albany (N.Y) : Forest press , 1989 .
4v .

2 - Universal Decimal Classification : International Medium edition . - London : British Standards Institution , 1985 .
BS 1000M Part . 1 Systematic Tables , 1985 .

٣ – ليس لهذا التقسيم الموحد دلالة محددة كما هو الحال بالنسبة للتقسيمات الموحدة الأخرى . وتتضح هذه الدلالة تحت بعض الموضوعات فقط ، بمعنى أن المصنف لا يستطيع استخدامه كتقسيم موحد من تلقاء نفسه للدلالة على الموضوعات الخاصة؛ بل يستخدمه كما هو وبدلالته الخاصة للموضوعات التي يرد تحتها .

٤ – ديوي ، ملفل . تصنيف ديوي العشري والكشاف النسبي : الطبعة العشرون : ترجمة عربية معدلة ومختصرة للجداول الرئيسة والمساعدة والكشاف النسبي / تعريب وتعديل يونس أحمد الخاروف وقاسم الخالدي . – اربد : قدسية للنشر ، ١٩٩٠م . جزآن .

٥ – استخدم الرمز 1- في الترجمة العربية للطبعة العشرين من (ت د ع) المشار إليها في الرقم (٤) سابقًا للدلالة على العرب والجنس العربي .

٦ – استخدم الرمز 1- في الترجمة العربية للطبعة العشرين من (ت د ع) للدلالة على اللغة العربية في الجدول السادس وليتطابق مع رقم تصنيف اللغة العربية 410 في الترجمة نفسها .

(مُوقِد الأذهان وموقظ الوسنان)

تأليف : جمال الدين أبي محمد عبدالله بن هشام

تحقيق : وليد محمد السراقبي

سوريا - حمص - كلية الآداب - قسم اللغة العربية

أولاً - المؤلف

هو أبو محمد عبدالله بن يوسف بن أحمد ابن هشام الأنصاري ، ولد سنة ثمان وسبع مئة للهجرة ، وتوفي سنة إحدى وستين وثمان مئة وهو أحد أئمة العربية المشهود لهم بالتبحر في علومها ، حتى إنه عدّ أنحى من سيبويه .

ترك ابن هشام آثاراً كثيرة هي أشهر من أن يشار إليها ، وقد طبع كثير منها ، وما زال بعضها مخطوطاً ينتظر الأيادي التي تنتشله من كهوف النسيان .

ثانياً - المخطوطة

ورسالتنا هذه أثر من آثار ابن هشام التي لم تمتد إليها - فيما نعلم - يد بالتحقيق والنشر . وهي تقع في تسع ورقات مكتوبة بخط نسخيٍّ جميل معجم ، ولكنه خالٍ من الشكل ، وقد ملئت الهوامش بالتعليقات والفوائد الإعرابية غير ذات الصلة بنص الرسالة . وهي من محفوظات المكتبة الظاهرية - عمرها الله - برقم (١٠٥٤٥) نحو . وفي آخرها ذكر لاسم الناسخ وتاريخ النسخ دون تحديد مكانه .

حملت الورقة الأولى منها العبارة الآتية : (ألغاز العلاّمة ابن هشام) ، وعند العودة إلى نسختيّ من كتاب (ألغاز ابن هشام) ، أولاهما مطبوعة طبعة حجرية في القاهرة سنة (١٣٠٤هـ) وثانيتهما مطبوعة في دمشق سنة (١٩٨٥م) ، بتحقيق أسعد خضير ، وهي نسخة ليس بينها وبين التحقيق العلمي أدنى نسب ، ظهر لي أن كتاب (الألغاز) المذكور غير كتابنا هذا ثم إنّ ابن هشام قد نص على اسم كتابه هذا فقال : «... وسمّيته موقد الأذهان وموقظ الوسنان ...» .

وقد نقل الدكتور مازن المبارك في تحقيقه لرسالة ابن هشام (المباحث المرضيَّة المتعلِّقة بـ «مَنْ» الشرطية ص١٥) أن سركيس في معجم المطبوعات العربية (ص٢٧٥) ذكر أن كتاب (موقد الأذهان ...) قد طبع في مطبعة الحرمين سنة ١٣٢٢هـ ، وطبع مع شذور الذهب في المطبعة الأزهرية سنة ١٢٧٩هـ ، وفي مطبعة محمد مصطفى سنة ١٢٩٩هـ ، وأردف قائلاً : «... ولم أره» . ونقل في الحاشية عن مروان عطيّة أن الكتاب طبع بهامش (حاشية على ألغاز ابن هشام) في القاهرة سنة ١٣٠٤هـ .

وما قاله الأستاذ عطيّة مجانب للصواب ، فالكتاب الذي يتحدث عنه هو كتاب الألغاز نفسه ، ومعه كتاب الألغاز للشيخ خالد الأزهري . وقد وقع في الوهم نفسه رشيد العبيدي عندما ظنّ أنّ ابن هشام سمّى كتابه (الألغاز) : «موقد الأذهان وموقظ الوسنان» . وأكبر الظن أن الذي أوقعهم في الوهم بضعة الأبيات الملغزة التي ذكرها ابن هشام في كلا الكتابين .

ثالثاً - النص

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام الأوحد ، حجّة العرب وترجمان الأدب جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن أحمد ابن هشام النحويّ ، رحمه الله ، ونفعنا به : أمّا بعد حمد الله الفاتح عند الإعواز ، المانح بالإيجاز ، جاعل علم العربية في العلوم كالطراز ، فبه تفك مقفلات الألغاز ، ويتّضح ما في التنزيل من الإيجاز ووجه الإعجاز ، وصلواته على خاتم أنبيائه الذي أسكت بفصاحته الخطباء والشعراء والرجّاز ، وعلى آله وصحبه الذين مَن ائتمّ بهم فقد فاز :

قد جمعت في هذه الأوراق النيِّرة شذرة (١) من الألغاز النحويَّة ، ونبذة من النكت الأدبيَّة ، جعلتها لاستخراج الأخابي عونًا (٢) ، وعلى حلِّ ما لم أذكره من ذلك ميزانًا ، فالشيء يعرف بمثله ، والوابل (٣) يستدلّ عليه بطلِّه (٤) ، والعذر في اختصاره أني جمعته فيما بين صلاتَيْن ، وبمقدار ما ينظم الشاعر بيتًا أو بيتين ، والله أسأل أن يرزقه من الحضرة الشريفة حظًّا ، وأن يرزقه من النظر الكريم لحظًا ، ورتبته على أربعة فصول :

الأول : [٢/و] في الأخابي المعنوية .

الثاني : في الأخابي اللفظيَّة .

الثالث : في الإشارات الخفيَّة .

الرابع : في التصحيفات اللوذعيَّة .

وسميته : (موقد الأذهان وموقظ الوسنان) ، وبالله أعتضد ، وعليه أعتمد .

اعلم أن الفن النحويَّ قسمان : أحدهما ما يطلب به تفسير المعنى ، والآخر ما يطلب به تفسير وجه الإعراب .

الفصل الأول
(فيما يراد به تفسير المعنى)

وذلك كقول الحريري (٥) : «وما العامل الذي يتصل آخره بأوَّله ، ويعمل معكوسُه مثل عمله ؟ (٦) » .

وتفسيره (ياء) النداء في قولك : يا عبدَالله ، فإنه عامل النصب في المنادى وهو حرفان وآخره متصل بأوّله ، ومعكوسه وهو (أيْ) يعمل في النداء عمله ، قال الشاعر (٧) :

ألم تسمعي أيْ عبدُ في رونق الضحى
بكاءَ حماماتٍ لهنَّ هديرُ

واعلم أن تسمية (يا) و (أي) عاملين تجوّز وارتكاب (٨) لمذهب ضعيف وإلا فالحق أن العامل الفعل المقدّر .

وكقوله : «وما منصوب أبدًا على الظرف لا يخفضه سوى حرف (٩) ؟ » .

وجوابه : لفظة (عند) . تقول : جلست عندَه ، وأتيت من عنده لا يكون منصوبًا إلا على الظرفية ، أو مخفوضًا بـ (مِنْ) خاصة . فأما قول العوام (١٠) : سرت إلى عنده فخطأ .

فإن قيل : لدنْ وقبل وبعد . بمنزلة (عندَ) في ذلك ، فما وجه تخصيصك إياها ؟

قلت : (لَدُنْ) مبنيةٌ في أكثر اللغات ، فلا يظهر فيها نصبٌ ولا خفض ، و (قبل) و (بعد) يكونان مبنيّين كثيرًا ، وذلك إذا قطعًا عن الإضافة لفظًا (١١) ، وإنما ينبغي (١٢) الإلغاز والتمثيل بما يكون الحكمُ فيه ظاهرًا .

وكقوله : «أين تلبس الذكرانُ براقع النِّسوان ، وتبرز ربَّات الجمال بعمائم الرجال ؟ (١٣) »

وجوابُه باب العدد من الثلاثة إلى العشرة ، تكتب (١٤) فيه التاء مع (١٥) المذكرّ ، وتحذف مع (١٦) المؤنث ، قال تعالى (١٧) : ﴿ **آيتك ألا تكلِّم الناس ثلاثة أيام** ﴾، وقال سبحانه وتعالى (١٨) : ﴿ **آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ سويًا** ﴾ ، وقال - جلَّت كلمته - مشيرًا إلى الليالي : ﴿ **وليالٍ عشر** ﴾ (١٩) ، وكذلك ما بين الثمانية والعشرة ، قال - جلت كلمته - : ﴿ **سبع ليالٍ وثمانية أيام** ﴾ (٢٠) . ومن ذلك قول ابن عنين (٢١) :

ياعلمـاء القريـض إنـي
أعجزني للقريض كشفُ
فعبِّرونـي عن اسم طير
النصف ظرف والنصف حرفُ

وجوابه الطير المسمَّى بـ (الوَرَاشين) (٢٢) .

وكقوله أبي محمد علي بن حزم الظاهري (٢٣) ، وهو ما سئلت (٢٤) عنه قديمًا :

تجنَّب صديقًا مثل (ما) واحذر الذي
يكون كعمرو بين عرب وأعجم
فإنَّ صديق السوء يزري وشاهدي
(كما شرقت صدر القناة من الدم) (٢٥)

وجوابه بأنه يريد بالصديق الذي كعمرو المُكثِرُ بما ليس له ، فإنَّ عَمْرًا قد أخذ الواو في الخط في الرفع والجر وليست داخلةً في هجائه ، ومن ثمّ نسب الشاعر إلحاقها للظلم فقال (٢٦) :

أيُّها المدَّعي سلَيْمى سفاهًا (٢٧)
لست منها ولا قلامة ظفرِ
إنما أنتَ من سلَيْمى كواوٍ
ألحقت في الهجاء ظلمًا بعمرو

وأما المشار إليه بـ (ما) فهو الصديق الناقص ، وذلك على أن يريد (ما) الموصولة ، فإنها تفتقر إلى صلة وعائد ، و (ما) الاستفهامية فإنها تنقص حرفًا إذا دخل عليها الجار نحو : ﴿ **بمَ يرجع المرسلون ؟** ﴾ (٢٨) ، ﴿ **فيمَ أنت**

من ذكراها ﴾ (٢٩) . وأمّا الشاهد الذي أشار إليه فهو قوله (٣٠) :

وتشرَقُ بالقول الذي قد أذعته
كما شرقت صدرُ القناة من الدم

وهو من أبيات كتاب سيبويه . وتقرير الشاهد منه أن الفعل يلحقه التاء إذا كان فاعله مؤنثًا ، نحو : (قامت هند) ولا يجوز ذلك إذا كان مذكرًا ، ولكنه لما أضافه إلى القناة سرى منها التأنيث إليه . وقريب من هذا المعنى والاستشهاد قولهم (٣١) :

عليك بأرباب الصدور فمن غدا
مضافاً لأرباب الصدور تصدّرا
وإيّاك أن ترضى بصحبة ناقص
فتنحطّ قدراً من علاك وتحقرا
فرفعُ (أبو من) ثم خفضُ (مزمّل)
يحقّق قولي مغرياً ومحذّرا

أما قوله : (فرفع أبو من) ، فإنه مشير إلى قولهم : (علمت زيدًا أبو من) هو برفع (الأب) مع أنّ أفعال القلوب والظنّ إنما يمتنع عملها فيما بعدها إذا كان يستوجب صدر الكلام (٣٢) ، تقول : (علمت زيدًا قائمًا) فلا يجوز الرفع و﴿ لنعلم أيُّ الحزبين أحصى ﴾ (٣٣) لا يجوز إلا الرفع لأن الاستفهام له صدر الكلام ، فيمتنع أن يعمل ما قبله فيما بعده لأن ذلك يخرجه عن الصدريّة .

وأما قوله : (ثم خفض مزمل) ، فإنه يشير إلى قول امرئ القيس (٣٤) :

كأنّ ثبيراً في عرانين وبله
كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مزمّلِ

[٤/و] فإنّ (مزمّلاً) صفة لـ (كبير أناس) ، وهو مرفوع ، ولكنه لمّا جاور المخفوض خفض على الجوار (٣٥) ، كقول أبي الطيّب الجّزار (٣٦) :

ما اسم شيء يُعْرب بالرفع والنصـ
ـب وإن كان متقنًا في البناءِ
علـمٌ مفـردٌ ومـذ وضعـوه
رفعوه عمداً لأجل النداءِ
أنثوه ومنه قد سمع التذ
كير ، فانظر تناقض الأشياءِ
وهو ظرف لا فاتني منه ظرفٌ
ليجلى عن هذه العمياءِ

وجوابه (المُزْنَة) (٣٧) . وهذا اللغز مما لا يُعاب على النحوي عدم حله بخلاف ما قبله ، ما عدا شعر ابن عنين ، فإنه مثل شعر الجزّار ، ولو فتحنا هذا الباب لاتسعت أمثلته جداً ، ولو شاء العبد أن يكتب فيه مجلّدًا لقدر .

الفصل الثاني
(في الألغاز اللفظيّة)

وهي التي يراد بها تفسير الإعراب وتوجيهه لابيان المعنى . وقد ذكرت من أمثلة ذلك اثنَيْ عشر مثالاً في أبيات متفرقة :

البيت الأول ، قال الشاعر (٣٨) :

جاك سلمانَ أبوها شمّاً
فقد غدا سيدَها الحارث

جا : فعل ماض ، كسلمان جار ومجرور متعلق به وعلامة الجر الفتحة [٤/ظ] لأنه لا ينصرف ، وإنما أفردت (الكاف) في الخط ليتأتى (٣٨) الإلغاز . أبوها : فاعل جاء ، والضمير لامرأه عُرفت من السياق (٣٩) . شمّاً : فعل أمر ، من شام البرق يشيمه ، ونونه للتوكيد ، كتبت ألفًا على القياس ، سيّدَها : نصب بـ (شم) ، كما تقول : انظر سيّدَها ، والحارث : فاعل (غدا) .

البيت الثاني ، قال الشاعر (٤٠) :

لقد قال عبدَالله شرَّ مقالةٍ
كفى بك يا عبدَالعزيزُ حسيبُها

عبدَالله : تثنية (عبد) مضافين إلى اسمه تعالى وحقّه أن يكتب (عبدا الله) ، و (عبدُ) رخّم (عَبْدة) ، قال الشاعر (٤١) :

ألم تسمعي أيْ عبدَ في رونق الضحى
بكاء حماماتٍ لهنّ هديرُ

تقديره أيْ عبد ، و (أي) حرف النداء ، و (عبد) منادى مرخّم ، وقوله : (العزيز حسيبُها) مبتدأ أو خبر .

البيت الثالث ، قال الشاعر (٤٢) :

لم يَزْدني عن الصلاة ضلالاً
في حياتي ولا اتبعت الغواةُ

(الغواة) : فاعل يَزْدني . (ضلالاً) : مفعول لأجله ؛ أي : لم يزدني الغواة لأجل الضلال ، أو مصدر ؛ لأن (لم يزدني عن الصلاة الغواة) مثل : (قعدت جلوسًا) .

[البيت] (٤٣) الرابع ، قال الشاعر (٤٤) :

[٥/و] ولست بطاوٍ خشيةَ الفقر مسغباً
[أضنّ] (٤٥) بما تحويه (٤٦) مني الأضالعا

(الأضالع) : مفعول (طاوٍ) ، وفاعل (تحويه) ضمير الأضالع ؛ لأنه في نية التقديم . ومثل البيت في المعنى (٤٧) :

ولست بخابئٍ لغدٍ طعاماً
حذارَ غدٍ لكل غدٍ طعامُ

البيت الخامس ، قال الشاعر (٤٨) :

يا ابن زيدٌ قد خانَ كل صديقٍ
عنده من حمامه أفراخا

الأصل (يا ابني) فحذف ياء المتكلّم ، كما تقول : يا غلام . وقوله : (زيد قد خان) جملة اسمية ، و (كل) : فعل أمر من أكل ، واللام الثانية المدغم فيها لام جر داخلة على الصديق ، و (أفراخا) : مفعول كلْ .

البيت السادس ، قال الشاعر (٤٩) :

إنما أمُّ خالدٌ يوم جاءت
خالةَ الرهبنى من عمرٍ وزيدا

(أُمّ) : فعل ماض مبني من أَمّه إذا قصده لما لم يُسمّ فاعل ، ويحتمل أن يكون من (أمّه) إذا شجّه ، ومنه المأمومة . و (خالد) : مفعول لما لم يسمَّ فاعله على الوجهين ، و (خالةَ) : أصله (خالتان) [٥/ظ] خالة فحذفت النون للإضافة ، والألف لالتقاء الساكنين ، و (مِنْ) فعل أمر من (مانَ يمين) إذا كذب و (عمرو) : منادى بتقدير : يا عمروُ ، و (زيدا) مفعول (مِنْ) ، كما تقول : كذبَ زيداً ، أو (زيدا) مصدر لا اسم فنصبه على المفعول المطلق لأن (مَيْن) زيادة في الحديث ، فكأنه قال : زيادة .

البيت السابع ، قوله (٥٠) :

وردنا ماءَ مكةَ فاستقينا
من البئر التي حفر الأميرا

فـ (الأمير) مفعول (استقينا) ، كقولك : استقينا الله فأسقانا ، أو بمعنى رفعناه من البئر كأنه وقع فيها ؛ أي البئر التي حفرها فاستقوه منها .

البيت الثامن ، قال الشاعر (٥١) :

نعى النعاةُ أميرَ المؤمنين لنا
يا خير من حج بيتَ الله واعتمرا
فالشمس طالعة ليست بكاسفةٍ
تبكي عليك نجومَ الليل والقمرا
حُمِّلت أمراً عظيماً فاصطبرت له
وقمت فيه بأمر الله يا عمرا

(نجومَ) : مفعول (كاسفة) ؛ أي : الشمس لحزنها وتغيّر لونها لم تكسف النجوم والقمر ؛ أي لم تغطهما بنورها فهما [٦/و] ظاهران معها . وقوله : (تبكي عليك) : جملة حاليّة أو خبر ثان للشمس ، وقوله : (يا عمرا) مندوب حذفت منه هاء السكت .

البيت التاسع ، قال الشاعر (٥٢) :

إنّ فيها أخيكَ وابن زيادٍ
وعليها أبيك والمختارا

الأصل : إن فيها أخي كوى ابن زياد وعليها أبي كوى المختارا فـ (ابنَ) و (المختارا) مفعولان لِـ (كوى) ماضي يكوي ، ويجوز في (أخيك) وجه ثانٍ ، وهو أن يكون أصله (أخوين) وهو جمع (أخٍ) وياؤه علامة النصب ، وحذفت النون للإضافة .

البيت العاشر ، قال الشاعر (٥٣) :

فِى الناس قوماً يرون الغدر شيمتَهُم
ومنهم كاذباً في القول لهُاذا

(فِ) : فعل أمر من وفى يفي ، و (قومًا) : مفعوله ، و (يرون) : جملة خبر الناس ، و (الغدرُ شيمتهُم) : مبتدأ وخبر ، و (مِنْ) : فعل أمر من (مَان يمين) إذا كذب ، والفاعل مستتر ، والهاء والميم مفعوله ، و (كاذبًا) : حال مؤكدة .

البيت الحادي عشر ، قال الشاعر (٥٤) :

لقد طاف عبدَاالله بالبيت سبعة
فسل عن عبيدُ الله ثم أبا بكر

[٦/ظ] (عبدَاالله) : تثنية (عبد) ، فأصله (عبدا الله) ، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين ، و (سلعن الرجلُ) إذا أتى (سلعًا) وهو موضع (٥٥) . ويقال : السلعة : سرعة المشي ، قال : طاف عبداالله بالبيت الحرام وسلعنْ عبيدُ ، وهذا القول أصح ، وإنما سكّن النون للضرورة ، و (أبا) : فعل ماض ، و (بكرٌ) : فاعل .

[البيت] الثاني عشر ، قال الشاعر (٥٧) :

أيْ ، علمَ تزكو به النفس أولى
من سباقٍ في حلبة (٥٨) الجهّالِ

فالتقدير (يا أيوبُ) فحذف حرف النداء ، ورخّم المنادى بحذف آخره ، ولحق الآخر ما قبله لأنه زائد .

الفصل الثالث
(في الإشارات الخفيّة)

التي لا يعلمها إلا العالمون، ولا يتنبّه لموقعها إلا المخلَصون، من ذلك أن رجلاً سأل رئيسًا حاجة فكتب إليه يعتذر: لولا أن عليَّ في هذا الأمر مشقّة لفعلته، فردَّ عليه كتابًا فيه: (لولا المشقّة)، ولم يزد على ذلك، فلما ورد عليه قضى حاجته فسئل عن ذلك، فقال إنه يشير إلى قول أبي الطيب (٥٩):

لولا المشقّةُ ساد الناسُ كلهم
الجود يعدم والإقدام (٦٠) قتّالُ

[٧/و] ومن ذلك أن شخصًا كتب إلى صديق له يحذره الدخول إلى بلده لأجل قوم كانوا بها كانوا يبغون له الغوائل، وينصبون لقتله الحبائل، وخاف أن يُظفَر بكتابه، فكتب إليه كتابًا يسلم عليه، فيه: (إنّ) شاء الله تعالى، وشدَّد النون، فلما وصل إليه الكتاب فهم الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿ إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ﴾ (٦١) فردَّ عليه في كتاب ضمنَّه لفظة (إنّا) وكتبها بخط متميّز في الشكل عن بقية الكلمات، ففهم منها: ﴿ إنّا لن ندخلها ما داموا فيها ﴾ (٦٢).

ومن ذلك أن بعض الملوك أنعم على بعض الشعراء وقلبه إلى أهله مسرورًا مع عبدَيْن يحرسانه وأمرهما أن يأتيا بأمارة منه دالة على سلامته، فلما توسّطا به الطريق همَّا بقتله، فاتفق معهما على أن يعطيهما مامعه وحلّفاه ألا يكتب للملك بذلك، ولا يرسل إليه فحلف لهما، فقال: إذا اجتمعتما به فقولا له أمارة سلامته قول أبي الطيب (٦٣):

بأبي الشموسُ الجانحاتُ غواربا
اللابساتُ من الحرير جلاببا

[٧/ظ] فلما رجعا وذكرا له ذلك قبض عليهما، فسئل عن ذلك فقيل: إن هذا البيت لا شاهد فيه، فتأملت القصيدة فإذا فيها (٦٤):

أظمتني الدنيا فلما جئتها
مستسقيًا مطرتْ عليَّ مصائبا
كيف الرجاءُ من الخطوب (٦٥) تخلّصًا
من بعد ما أنشبن فيَّ مخالبا

فقرّرهما فاقرّا عما فعلا، وردَّ إليه المال.

ومن ذلك حكاية الشريف المرتضى (٦٦) في: (لك يا منازلُ في القلوب منازلُ) (٦٧) وهي مشهورة (٦٨)، واتفق نظيرها؛ وهو أني أنشدت يومًا بيتًا للطرماح (٦٩) استشهدت به على نوع نحوي، فقلت: ما أحسن القصيدة التي أنشدها أبو تمام (٧٠) له في الحماسة (٧١)، ففهم ماأردت. والمشار إليه في القصيدة قوله (٧٢):

لقد زادني حبًا لنفسي أنني
بغيض إلى كل امرئ غير طائل

ومن ذلك أن رجلاً كان يساير المنصور (٧٣)، وكان لا يتكلم إلا إذا سئل، وإذا أجاب لا يزيد على الجواب، فبينما هما راكبان [٨/و] إذ مرّا ببيت عاتكة، فقال المنصور: هذا بيت من؟ فقال: هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الشاعر (٧٤):

يا بيت عاتكة الذي أتعزّلُ (٧٥)
حذر العدا وبه الفؤاد موكّلُ

فقال له: أخذت ما رسمنا به، فقال: لا، فأمر أن يعطاه، فسئل عن ذلك فقال: إنَّ هذا رجل لا يتكلّم إلا بحكمة. وقد زاد على الجواب بالاستشهاد فعلمت أنه يشير إلى قول الشاعر (٧٦):

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم
مَذِقُ الحديث يقول ما لا يفعلُ

الفصل الرابع
(في التصحيفات اللوذعيّة)

قيل: إن أول من تكلم في ذلك علي بن أبي طالب -كرَّم الله وجهه- فقال: «كل عنب الكرم يغطيه»، أراد «كل عيب الكَرَمُ يغطيه».، وكتب بعضهم إلى صديق له يخبره أن الوشاة وشوا به ما صورته (بنياك نم)، فلما ورد عليه وقع في نفسه أنه الذي وشى به، فقال له: صحفه واقلبه فهو جوابك، فإذا هو (منك أتيت). وسئل الحسن بن وهب (٧٧): ما تصحيف (كلني فبعني بحبتين)؟ فقال: كل شيء منك في عيني حسن.

[٨/ظ] وذكر في مجلس التصحيف، فادّعى معرفته، فقيل له: ما تصحيف (نصحت فخنتني)؟ فقال: تصحيف حسن، فاتُّهم في سرعة الجواب، فقال له شاعر من بلنسية (٧٨): ما تصحيف (بلنسية)؟ فقال: أربعة أشهر. فقال شاعر: صدق ظني، إنك تنتحل (٧٩) ما تقول،

وأيُّ نسبة بين (بلنسية) وأربعة أشهر ، فقال (٨٠) :

عليَّ نحتُ القوافي من معادنها
وما عليَّ إذا لم تفهم البقرُ

فتنبهوا بعد انصرافه فإذا أربعة أشهر ثلثُ سنة ، فخجلوا منه .

وكتب وزير (٨١) ابن عباد (٨٢) إليه :

وإذا صفا لك من زمانك واحد
فاحرص عليه ، وأين ذاك الواحدُ !

فوقّع في الكتاب : صحف تعرف ، فلما قرأه صار مسرورًا ؛لأن تصحيف (أين ذاك الواحد) أنت ذاك الواحد.

ومن ملح ابن عباد هذا مع وزرائه بأشبيلية (٨٣) ، فأجازوا بالموضع الذي يباع في الجير (٨٤) والجبس ، فألفوا هناك جارية من أحسن الناس وجهًا ، وأكثرهم بذاءة (٨٥) وفحشًا ، فأقبل علي بن عباد وقال : الجيارين ؟ ؛ فقال : نعم ، والجباسين ، [٩/و] فلم يعلم الحاضرون ما أراد . فسألوا ابن عباد فقال : إنه قال : الجيازين (٨٦) ، وقلت : الخناسين (٨٧) ، فأين هذه الأذهان الشريفة من رجل له ابنٌ يُسمَّى (حسنًا) سافر فطال الغَيبة ، فاستفتح المصحف يتفاءل له بالقدوم ، فخرج له ﴿ وحسن مآب ﴾ (٨٨) فترك التيامن بهذه اللفظة لمآب الفتى سالمًا وقال : (وحسنٌ مات)، فاستدعى أمه وأخبرها بموته، فرفعت صوتها بالبكاء وتسامع الناس ذلك . فلما كان من الغد أقبل الفتى في أغبط حال وأبهج منظر ، فسئل (٨٩) أبوه بما تأوله من المصحف فأخبرهم فاستحمق وصار مثلاً.

وهذا آخر ما أردناه في هذه الأوراق ، والعذر في إيجازه قد سبق ، والوفاء بما شرطناه من الاختصار أحق.

كتبه عن مدد قاصر ، فانظر إليه نظر السائر :

وإن تجدْ عيباً فسامح فما
زلتَ مقيلاً عثرة العاثرِ
ومنه خطي راح في خَجْلةٍ
يقول قول البائر الحائر
جئت سقيماً وضعيف الهوى
مولاي يا مولاي كن جابري

كتبه الفقير محمد مصباح بن محمد البربير (٩٠)
١٢ش سنة ١٢٧٩ هجرية .

الحواشي

١ – الشنترة : القطعة .
٢ – العوان : العَوْن .
٣ – الوابل : المطر الشديد الضخم القطر .
٤ – الطلّ : المطر الصغير القطر والدائم ، وهو أرسخ المطر ندىً .
٥ – الحريري هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أديب كبير ، مولده عام (٤٤٦) هـ ووفاته عام (٥١٦) هـ ، من أهم آثاره : المقامات ، ودرّة الغواص في أوهام الخوّاص ، وملحة الإعراب .
٦ – انظر مقامات الحريري / ١٧١ .
٧ – الشاعر هو كثيّر عزّة ، واسمه كثيّر بن الأسود بن عامر الخزاعي ، أبو صخر : شاعر مشهور . وفد على عبدالملك بن مروان فازدرى منظره ، ولما عرف أدبه رفع مجلسه . والبيت في ديوانه ٢٣١/١ ، وفي مغني اللبيب برقم ١٢١ ، ص١٠٦ .
٨ – في المخطوط (تجوّزًا وارتكابًا) .
٩ – في المخطوط : (ما منصوب أبدًا على الظرفية ، لا يخفض سوى حرف واحد ؟) وما أثبته من المقامات / ٢٠٦ ، وهو كذلك في الأشباه والنظائر ٥٨٨/٢ .
١٠ – في الأشباه والنظائر ٥٨٨/٢ : (العامة) .
١١ – ليس في الأشباه .
١٢ – في الأشباه (تبيَّن) ولا وجه لها .
١٣ – انظر مقامات الحريري ٢٠٦ ، وشرح الشريشي عليها /٢٠ ، والأشباه ٥٨٨/٢ .
١٤ – في الأشباه ٥٨٩/٢ (تثبت) مع تقديم لفظة (التاء) على الجار والمجرور .
١٥ – في الأشباه ، ٥٨٩/٢ (في) بدلاً من (مع) .
١٦ – في الأشباه ٥٨٩/٢ (في) بدلاً من (مع) .
١٧ – الآية ٤١ من سورة آل عمران .
١٨ – الآية ١٠ من سورة مريم .
١٩ – الآية ٢ من سورة الفجر .
٢٠ – الآية ٧ من سورة الحاقّة .
٢١ – هو محمد بن نصر الله بن مكارم ، أعظم شعراء عصره ، ولد عام ٥٤٩هـ ، وتوفي عام ٦٣٠ هـ في دمشق ، وكان هجّاء قلّ من سلم من شرّه في دمشق ، حتى السلطان صلاح الدين والملك العادل . نفاه صلاح الدين ثم عاد إلى دمشق بعد وفاة صلاح الدين ، فمدح الملك العادل وتقرّب منه . له ديوان شعر طبع بتحقيق المرحوم خليل مردم بك . والبيتان في ديوانه ١٥١/ وفيه : «يا أبناء الزمان ..... فخبّروني .....» .

٢٢ – الوَرْشان : طائر يشبه الحمامة وجمعه ورْشان ، بكسر الواو وتسكين الراء ، مثل كِرْوان جمع كَرَوان على غير قياس . وفي المثل : بعِلَّة الوَرْشان يأكل رُطَبَ المُشان ، والجمع الوراشين .
٢٣ – هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، عالم الأندلس في عصره ، وأحد أئمة الإسلام ، كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهب يقال لهم «الحزْميَّة» مولده في قرطبة ٣٨٤هـ ، ووفاته عام ٤٥٦هـ .
٢٤ – في المخطوطة (سئلته) .
٢٥ – عجز بيت سيأتي تخريجه .
٢٦ – لم أقف على قائلهما .
٢٧ – في المخطوطة (شفاها) ولا معنى لها هنا .
٢٨ – الآية ٣٥ من سورة النمل .
٢٩ – الآية ٤٣ من سورة النازعات .
٣٠ – هو الأعشى الشاعر المشهور ، والبيت في ديوانه /١٧٣ ، واللسان (شرق) وكتاب سيبويه ٢٥/١ ، والإفصاح /٢١٧ .
٣١ – الأبيات لأمين الدين المحلي ، وقد شرحها عبدالفتاح بن مصطفى الأديب المحمودي اللاذقي الخلوتي (ت ١٩٠٣) والرسالة مخطوطة في المكتبة الظاهرية تحت رقم ٤٣٣٥ ، وعنوانها (تحبير السطور في أرباب الصدور) .
٣٢ – انظر في المسألة أوضح المسالك ، لابن هشام ٦٢/٢ .
٣٣ – الآية ١٨ من سورة الكهف .
٣٤ – هو امرؤ القيس بن حجر الكندي ، والبيت من معلَّقته المشهورة وهو في ديوانه /٢٥ ، وفي شرح المعلقات العشر /٨٩ ، ومغني اللبيب برقم ١١٥٩ والإفصاح /٣١٨ ، ثبير : جبل . العرانين : الأوائل . الوابل : ما عَظُم من القطر . البجاد : كساء مخطَّط من أكسية الأعراب ، من وبر الإبل وصوف الغنم . مزمّل : ملتفّ .
٣٥ – انظر مغني اللبيب ٨٩٤ – ٨٩٥ .
٣٦ – هو يحيى بن عبدالعظيم بن يحيى بن محمد ، أبو الحسين الجزار ، شاعر مصري ظريف ، كان جزَّارًا بالفسطاط ، أقبل على الأدب فأوصله شعره إلى السلاطين ، مولده عام ٦٠١هـ ، ووفاته عام ٦٧٩هـ .
٣٧ – لم أعرف قائله ، وهو في الإفصاح /١٢٤ والرواية فيه : «جاءك ...» ، وهو ألغاز ابن هشام /٥٤ ، وفي الأشباه والنظائر ٥٨٩/٢ .
٣٨ – في المخطوطة (لنيابتي) .
٣٩ – في المخطوطة (السباق) .
٤٠ – الإفصاح /١٠١ ، وألغاز ابن هشام /٢٧ ، وحاشية الغزي على ألغاز ابن هشام /١٥ .
٤١ – سبق تخريجه في الحاشية رقم ٧ .
٤٢ – البيت في الإفصاح /١٢١ .
٤٣ – زيادة يقتضيها السياق .
٤٤ – الإفصاح /٢٧٨ .
٤٥ – مابين معقوفين من الإفصاح /٢٧٨ .
٤٦ – في المخطوطة (نحوية) .
٤٧ – البيت في الإفصاح /٢٧٩ ، والرواية فيه : «... حذار غد ...» .
٤٨ – الإفصاح /١٥١ .
٤٩ – الإفصاح /١٦١ ، وروايته هناك : «بغلة الزينبي من قصر زيدا» .
٥٠ – الإفصاح /١٩٤ .
٥١ – الشاعر هو جرير الخطفي ، الشاعر الأموي المشهور ، والأبيات في رثاء الخليفة عمر بن عبد العزيز ، والأبيات في ديوانه ٧٣٦/٢ ، ورواية الأول فيه : «تنعى ...» ، ورواية الثاني : «فالشمس كاسفة ليست بطالعة ...» وقُدِّم فيه الثالث على الثاني . والأبيات في الإفصاح /١٩٢ ، وفي ألغاز ابن هشام /٤٨ ، وحاشية الغزي عليها /٢٢ ، وشرح شواهد المغني .
٥٢ – الإفصاح /٢٠٧ ، وحاشية الغزي على ألغاز ابن هشام /٢٢ .
٥٣ – الإفصاح /٢٢٤ .
٥٤ – الإفصاح /١٨٥ ، وألغاز ابن هشام /٤٧ ، وحاشية الغزي عليها /٢٢ ، وقال العلامة الشيخ أحمد الغزي في حاشيته معلقًا على هذا البيت : ويروى هذا البيت بغير مصراعه الثاني ، وهو :

لقد طاف عبدالله بي البيتَ سبعة
وحجَّ مُنى الناسُ الكرامُ الأفاضلُ

٥٥ – سَلْع : جبل قرب المدينة المنوَّرة .
٥٦ – لم أجد هذا المعنى فيما بين يدي من معاجم .
٥٧ – لم أعثر على البيت ولا على القائل .
٥٨ – في المخطوط (حلبة) وأظن الصواب ما أثبت .
٥٩ – أبو الطيب هو أحمد بن الحسين ، المتنبي ، الشاعر العباسي المشهور ، مولده عام ٣٠٣هـ ووفاته ٣٥٤هـ ، والبيت في ديوانه بشرح البرقوقي ٤٠٦/٣ .
٦٠ – في المخطوطة (والأموال) ، وقد صححت في الحاشية .
٦١ – الآية ٢٠/ القصص .
٦٢ – الآية ٢٤/ المائدة .
٦٣ – ديوانه ٢٥٠/١ .
٦٤ – ديوانه ٢٥٢/١ .
٦٥ – في المخطوط (المنون) وصححت في الحاشية .
٦٦ – الشريف المرتضى هو علي بن الحسين ، مولده في بغداد عام ٣٥٥هـ ووفاته عام ٤٣٦هـ ، له كتاب (غرر الفوائد ودرر القلائد) طبع بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم .
٦٧ – صدر بيت لأبي الطيب ، وهو في ديوانه .
٦٨ – جاء في الهامش المخطوطة : قوله «مشهورة» ، وهو أن بعضهم ذمَّ المتنبيَّ في مجلس بأنه ليس من الشعراء البلغاء ، وانتقص شعره ، فأجابه بعضهم بأن أبا الطيب لو لم يكن له إلا قصيدته التي أولها :

لك يا منازل في القلوب منازلُ

لكفى . والذي أراده من القصيدة المذكورة قوله :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأني كاملُ

٦٩ – هو الطرماح بن حكيم ، شاعر إسلامي فحل ، ولد ونشأ بالشام ، وانتقل إلى الكوفة توفي عام ١٢٥هـ .

٧٠ – هو حبيب بن أوس الطائي ، الشاعر العباسي المشهور ، مولده عام ١٨٨هـ في قرية جاسم من أعمال حوران في جنوب سورية ، ووفاته ٢٣١هـ .

٧١ – لأبي تمام حماستان ، الكبرى وهي بشرح التبريزي والمرزوقي والصغرى وتسمى (الوحشيات) وقد نشرها العلامة المرحوم عبدالعزيز الميمني الراجكوتي ، وصدرت عن دار المعارف في القاهرة .

٧٢ – الحماسة ١٢٢/١ .

٧٣ – المنصور هو عبدالله بن محمد بن علي بن العباس ، أبو جعفر، ثاني الخلفاء العباسيين ، ولد عام ٩٥هـ وتوفي عام ١٤٥هـ .

٧٤ – الشاعر هو عبد الله بن محمد ، الملقّب بالأحوص لضيق في مؤخر عينيه ، كان معاصرًا لجرير والفرزدق ، توفي ١٠٥هـ ، والبيت في ديوانه /٢٠٧ .

٧٥ – في المخطوطة (أتغزّل) .

٧٦ – البيت للأحوص أيضًا ، وهو في ديوانه /٢١٤ .

٧٧ – الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي ، كان معاصرًا لأبي تمام ، وله معه أخبار ، توفي سنة ٢٥٠هـ .

٧٨ – في المخطوطة (بلنسية) ، وبلنسة : مدينة مشهورة بالأندلس ، وتُعرف بمدينة التراب .

٧٩ – تنتجل : من نجلَ الشيء إذا ضربه برجله فتدحرج .

٨٠ – البيت للبحتري ، وهو في ديوانه ٩٥٥/٢ ، والرواية فيه : «... من مقاطعها وما عليَّ لها أن تفهم ...» ، وهو في الموازنة للآمدي ٢٥٩/٢ كما في المخطوطة ، ونسب إلى المخيَّم الراسبي أحد شعراء دولة الرشيد .

٨١ – وزير المعتمد بن عبّاد هو : محمد بن عمار المهري الأندلسي ، شاعر ، هجاء ، يلقّب بـ (ذي الوزارتين) استنابه المعتمد على (مرسية) فعصى بها وتملكها .

٨٢ – هو محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي ، صاحب إشبيلية و قرطبة و ما حولها ، كان فصيحًا وشاعرًا وكاتبًا مترسِّلاً .

٨٣ – في المخطوطة (إشبيلة) . وإشبيلية : مدينة من مدن الأندلس الكبرى ، وتسمى (حمص) أيضًا ، وفيها كان بنو عباد .

٨٤ – الجير : الجص .

٨٥ – في المخطوطة (بذاة) .

٨٦ – الجيازين : لم أقف على معناها ، وربما أريدها بها مجرد التصحيف .

٨٧ – النخّاسين : بائعو العبيد .

٨٨ – الآية ٢٩ / الرعد .

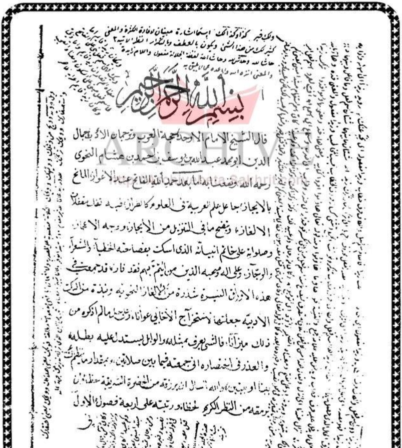
٨٩ – في المخطوطة (فسال) .

٩٠ – هو محمد بن مصباح بن محمد بن أحمد البربير ، متأدِّب .

المصادر المعتمدة في التحقيق

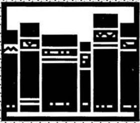
– القرآن الكريم .
– الأشباه والنظائر : السيوطي ، تحقيق د.عبدالإله نبهان وزملائه ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٨٥م .
– الأعلام : الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩م .
– الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب : لأبي نصر الفارقي ، تحقيق سعيد الأفغاني ، ط٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٠م .
– ألغاز ابن هشام : ابن هشام ، تحقيق أسعد خضير ، دار الحكمة دمشق ١٩٨٥م .
– أوضح المسالك : ابن هشام ، شرح محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٩م .
– حاشية على ألغاز ابن هشام : أحمد سيف الغزي ، ط١ ، المطبعة الإعلامية بمصر ، ١٣٠٤هـ .
– حماسة أبي تمام : شرح الخطيب التبريزي ، عالم الكتب ، بيروت.
– ديوان ابن عنين : تحقيق خليل مردم بك ، طبعة مصوَّرة ، دار صادر ، بيروت .
– ديوان أبي الطيب المتنبي : بشرح البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
– ديوان الأحوص : جمعه وحققه عادل سليمان جمال ، الهيئة المصرية للتأليف والنشر ، ١٩٧٠م .
– ديوان الأعشى : تحقيق د.محمد محمد حسين ، ط٧ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٣م .
– ديوان امرئ القيس : تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ١٩٦٩م .
– ديوان البحتري : تحقيق حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، ١٩٧٧م .
– ديوان جرير : تحقيق د.نعمان أمين طه ، دار المعارف ، ١٩٦٨م .
– ديوان الطرماح : تحقيق د.عزة حسن ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٦٨م .
– ديوان كثير عزة : تحقيق د. إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت، ١٩٧١م .
– شرح شواهد المغني : السيوطي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .
– شرح المعلقات العشر : للخطيب التبريزي ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، ط٢ دار الأصمعي ، حلب ، ١٩٧٣م .
– شرح مقامات الحريري : للشريشي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٩م .

- فهرس مخطوطات الظاهرية : (قسم الأدب) ، ج١ ، وضعه رياض عبدالحميد مراد ، ورياسين محمد السواس ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٨٢م .
- فهرس مخطوطات الظاهرية : (النحو) ، وضعته أسماء الحمصي، مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٧٣م .
- الكتاب : سيبويه ، تحقيق المرحوم عبدالسلام هارون ، عالم الكتب بيروت .
- لسان العرب : ابن منظور ، تحقيق عبدالله علي الكبير وزميله ، دار المعارف ، القاهرة .
- المباحث المرضيَّة المتعلقة بـ (مَنْ) الشرطية : ابن هشام الأنصاري تحقيق د. مازن المبارك ، ط١ ، دار ابن كثير ، دمشق، ١٩٨٧م .
- معجم البلدان : ياقوت الحموي ، دار صادر ، بيروت .
- معجم شواهد العربية : المرحوم عبدالسلام هارون ، ط١ ، مكتبة الخانجي بمصر ، ١٩٧٢م .
- معجم المطبوعات العربية والمعرَّبه : سركيس ، مصر ، ١٩٢٨ .
- مغني اللبيب : ابن هشام الأنصاري ، تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمدالله ، راجعه : الأستاذ سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، ١٩٧٩م .
- مقامات الحريري ، دار صادر ، بيروت .
- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري : لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، ١٩٧٢م.
- الوحشيَّات : (الحماسة الصغرى) ، لأبي تمام ، تحقيق المرحوم عبدالعزيز الميمني الراجكوتي ، دار المعارف ، ١٩٧٠م .


بسم الله الرحمن الرحيم
قال الشيخ الامام الاوحد لحجة العرب وترجمان الادب جمال الدين ابو محمد عبد الله بن يوسف بن احمد بن هشام النحوي رحمه الله ونفعنا به اما بعد حمد الله الفاتح عند الاعواز المانح بالايجاز جاعل علم العربية في العلوم كالقرآن ... الالغاز ويفضح ما في التنزيل من الايجاز ووجه الاعجاز وصلواته على خاتم انبيائه الذي اسكت بفصاحته الخطباء والشعراء والرجاز وعلى اله وصحبه الذين من ائتم بهم نفد فاز فقد جمعت في هذه الاوراق اليسيرة شذرة من الالغاز النحوية ونبذة من النكت الادبية جعلتها لاستخراج الاحاجي عوانا ... مالم اذكره من ذلك ميزانا فالشيء يعرف بمثله والوابل يستدل عليه بطله والعذر في اختصاره انى جمعته فيما بين صلاتين ... بيتا او بيتين والله تعالى اسال ان يرزقه من الحضرة الشريفة حظا ... من النظر الكريم لحظا ورتبته على اربعة فصول الاول

كتب قرأتها

مجمع اللغة العربية في خمسين عامًا ١٩٣٤ - ١٩٨٤ لشوقي ضيف



عبد العزيز الرفاعي - عضو المجمع

مجمع اللغة العربية في القاهرة ، أو المجمع اللغوي ، كما اعتدنا أن نطلق عليه ؛ كم ظلمناه ؛ وكم سخر منه الساخرون ؛ وكم جهلنا قدره ، وتجاهلنا أعماله ؛ وكم أهملته الصحافة ، وغفل عنه الغافلون ! وما أبرئ نفسي !، وكان لجهلي بأعمال هذا المجمع ، وغيره من المجامع المماثلة ، أثره الكبير في الأحكام الخاطئة التي ترسبت في ذهني ، بالإضافة إلى تلك التشويهات الصحفية ، التي تضافرت مع ذلك الجهل .

ولقد ظللت على جهلي ذلك ، حتى أتيح لي أن أشهد عن كثب بعض نشاط مجمع اللغة العربية في القاهرة ، فإذا أنا أمام أعمال كبيرة ينجزها في صمت أو فيما يشبه الصمت ، فعجبت بل دهشت ، وأدركت مدى خطئي في حق هذا المجمع ، ومدى الظلم الذي لحقه من ظالميه ، أو من الذين جهلوا قدره مثلما جهلت .

وعندما قُيِّض لي أن أجتمع بأولئك الرجال النخبة الذين ضمتهم بعض جلسات المجمع ، أو بعض مؤتمراته ، أدركت أنني أمام صفوة مختارة ، من رجال العلم والأدب والفكر ، هم في مجملهم شوامخ وقمم في مكانتهم العلمية والفكرية ، وفي اجتهاداتهم في البحث وتعمقهم في فنونهم، وفي تضافرهم لخدمة أهدافهم الجليلة ، وفي إدراكهم للمهمة العظيمة التي أُلقيت عليهم ، وهي مهمة يشرئب إليها التاريخ ، وتحاسبهم عليها الأجيال ، مع ما لمستُه في جلِّهم من وهن العظم ، وضعف الجَلَد ، وتضاؤل الاحتمال، إلا أنهم شُعُل ذهنية متوقدة ، حماسهم أكبر من قواهم ، وتحفّزهم أعظم من طاقاتهم الجسدية .

ولقد عدتُ باللوم على نفسي ، إذ قصّرتُ في إدراك هذه الجهود الكبيرة التي بذلتها أجيال المجمع ، على مدى السنين التي مضت عليه منذ إنشائه ؛ كما لمت أمثالي من الذين جهلوا مثلي هذه الجهود العظيمة التي بذلها هؤلاء الرجال الأفذاذ . وكان لومي أكبر ، للصحافة ، وخاصة منها صحافة الفكر والرأي ، لإهمالها الإشادة بأعمال المجمع ، وإغفال إبرازها الإبراز اللائق بها ؛ وكأني بكتابها إن فعلوا شيئًا من ذلك إنما فعلوه على استحياء ، كأنما يخشون سخرية الساخرين من دعاة العامية أو مَنْ قاربهم من الذين اعتقدوا أن المجامع حجر عثرة في سبيل تطوير اللغة ، ذلك التطوير الذي يحلم به كل من طوى نفسه على نية سيئة تجاه لغته الأصلية ، وأسسها وقواعدها وارتباطها بتراثها وتاريخها .

وليس معنى هذه الكلمة المخلصة أن أعفي المجامع ذاتها من أية تبعة لتلك الأفكار الخاطئة التي أحاطت بها ، ولكني أدرك أن تاريخ المجامع ، ارتبط على نحو ما ، بالتاريخ السياسي العام ، الذي قد يرى أحيانًا ، تحجيم مهمة المجامع ، أو عدم الإيمان بجدواها ، أو الرغبة في التقليل من شأنها ، أو الإشفاق من أن تأخذ دورًا ملموسًا في الحياة الفكرية ، أو ... ، أو ...

وإذا كنت قد لمست عن كثب ، طرفًا من نشاط مجمع اللغة في القاهرة ، فكشف عن هذا الاطلاع ، غمة الجهل به، فقد دفعني ذلك إلى التطلع في تاريخ المجمع ، أو بالحري إلى تاريخ نشاطه عبر عمره منذ إنشائه ، وذلك حفزني إلى أن أقرأ ، بعناية واهتمام ، كتابًا أصدره

المجمع نفسه ، بمناسبة عيده الخمسيني بعنوان : (مجمع اللغة العربية في خمسين عامًا ، ١٩٣٤ - ١٩٨٤) كتبه الدكتور (شوقي ضيف) ، وهو حالياً نائب رئيس المجمع .

والدكتور (شوقي ضيف) شخصية أدبية فكرية مرموقة، غني عن التعريف بشهرته المستفيضة ، كاتبًا ، ومدرسًا ، وعالمًا ، ومؤلفًا ، وعَلَمًا بارزًا لا في مصر وحدها، بل في العالم العربي ، الذي يقدر مكانته وعلمه وبحوثه ومؤلفاته .

وكتابه ، الذي أتحدث عنه اليوم ، ليس كتاب دعاية ، يعتمد الأسلوب الإنشائي ، أو إلقاء الأضواء البراقة ، أو التهويل الصحفي ، أو اختيار الأسلوب الأخاذ ، بل هو يعتمد حديثًا رصينًا جاداً مقرونًا بالأرقام والإحصاءات ، معتمدًا على التواريخ ووصف الإنجازات في حجمها الحقيقي المجرد .

تحدث المؤلف في مستهله عن تاريخ المجامع الفرنسية ثم العربية ؛ مجمع دمشق ، ومجمع بغداد ، وعمّان ، ثم اتحاد المجامع العربية .

ثم فصّل الحديث عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وإنتاجه وقراراته ، ومصطلحاته ، والمعاجم التي أخرجها ، وجهوده في تفسير النحو والكتابة ، وإحياء التراث ، وجوائزه ومسابقاته .

لقد قرأت الكتاب مستصحبًا روح التطلع والاستشفاف لجهود المجمع عبر هذه السنوات الخمسين من عمره الطويل إن شاء الله . فوجدت فيه سجلاً حافلاً لأعماله التي ظلت في الظل ، ولفّتها عتمة ، مقصودة أو غير مقصودة ، ووجدت أن من واجب أي مُتطلّع مثلي إلى معرفة حقيقة جهوده أن يقرأ هذا الكتاب ، ليقف على الحقائق واضحةً جلية .

أما مطالعاتي عنه ، فهي التي أقدمها فيما يلي :

١ - من الطريف أن تبدأ فكرة إنشاء أول مجمع لغوي في مصر ، في منتدى فكري ، كان يجتمع في دار آل البكري ، بالخرنفش بالقاهرة ، حيث وجدتْ طائفة من أدباء مصر ومفكريها أن من الخير أن يتكوّن مجمع لغوي يُعنى بضبط مفردات العربية ، وتنقيتها من الشوائب ، وصيانتها من اللحن ، ويضع معجمًا لغوياً حديثًا ، وقد تكوّنَ فعلاً سنة ١٨٩٢م ، أي منذ مئة سنة، وكان يضم أعلام العصر بينهم الشيخ محمد عبده ، والشيخ الشنقيطي ، غير أنه توقف بعد سبع جلسات (ص ١٩) .

ولكن المؤلف لم يحدثنا ، عن صفة هذا المجمع ، وهل كان أهلياً بجهود أولئك الصفوة الذاتية ، أم كان ذا صبغة رسمية ؟

٢ - إن هذا المجمع وضع بضع عشرة كلمة عربية ، للتداول لم يكتب لها البقاء ، إلا القليل منها ، من ذلك كلمة المعطف . للبالطو ، وكلمة الشرطة بدلاً من (البوليس) (ص ١٩) .

فهي كلمة قديمة مأخوذة من العلامات الشريطية، التي كانت تميز هؤلاء الرجال .

٣ - في (ص ٣٢) ذكرٌ لأمناء المجمع ، وقف بهم المؤلف عند الأستاذ (عبدالسلام هارون) ، وجدير بالإضافة ، أن بعد وفاة الأستاذ هارون (يرحمه الله) ، أصبح الأمين العام هو الدكتور (شوقي ضيف) المؤلف ذاته.

٤ - في (ص ٣٣) استعرض المؤلف أفواج أعضاء المجمع، وهم من أفذاذ الرجال .. ولم يبق منهم ، فيما يبدو لي ، إلا الرئيس الحالي للمجمع الدكتور (إبراهيم مدكور) ، أمد الله في حياته ، وهو رجل متزن ، إلى علمه الواسع وفضله ، وحسن إدارته .

٥ - رجل آخر يعدُّ من قدماء أعضاء المجمع ، ومن أفذاذه هو أستاذنا العلامة الجليل الشيخ (حمد الجاسر) أمد الله في عمره ، ومتعه بالصحة الوافرة .. فقد اختير عضوًا سنة ١٩٥٨م ، أي قبل ما ينوف على ثلاثين عامًا ، ولا يزال من أبرز رجال المجمع العاملين.

٦ - في (ص ٣٥) ذكر المؤلف أن الأعضاء المستشرقين الذي كانوا بالمجمع تحولوا إلى أعضاء مراسلين .. وكان بودي أن يجلو هذه النقطة ، ليذكر للتاريخ لماذا هذا التحويل ؟ فقد وقفت عنده متسائلاً ؟

٧ - وجدير بالذكر أن من أقدم أعضاء المجمع الأستاذ (حسين محفوظ) من العراق ، وهو رجل جليل القدر والعلم . حفظه الله .

٨ - مما لفت نظري ، وهذا أمر مهم تاريخياً ؛ أن المؤلف الفاضل أشار في (ص ٤٦) إلى لجنة المعجم الوسيط، فذكر الأستاذ (عبدالسلام هارون) يرحمه

الله ، ولم يذكر بقية أسماء أعضاء اللجنة . والمعروف أن المعجم الوسيط ، صادف نجاحًا وهو جدير بالتنويه ؛ وإن من المهم في نظري ، معرفة تطور العمل في هذا المعجم ، والجهود التي تضافرت لإخراجه .

٩ - مما استوقف نظري أيضًا ، (ص ٤٨) أن جاء ذكر الأستاذ الدكتور (محمد عبدالمنعم خفاجي) ، الذي عمل في لجنة الألفاظ والأساليب خبيرًا ؛ إن هذا الرجل معروف في الساحة الأدبية ، بنشاطه الأدبي والفكري ، وإنتاجه الغزير وإنه لجدير ، أن يأخذ مكانه بين أعضاء المجمع .

١٠- في (ص ٧٤) حدثنا المؤلف الجليل عن مجلة المجمع ، وذكر أنها توقفت عن الصدور من سنة ١٩٣٧ لمدة طالت إلى أحد عشر عامًا ؛ وهو توقف طويل لافت للنظر ، ولكنه أغضى عن ذكر أسباب هذا التوقف ، ويخيل إلي أن هذا الحدث أمسى في ذمة التاريخ ؛ فليت أستاذنا الفاضل ذكر أسبابه .

١١- من المعلومات المفيدة ، التي حرص المؤلف اللوزعي على إبرازها ، حديثه في (ص ٨٠) عن الباب الرابع من أبواب مجلة المجمع ، الذي يضم تراجم رجال المجمع ، منذ إنشائه حتى اليوم وذكر على سبيل المثال تراجم . حسين والي ، وأحمد الإسكندري ، والمستشرق الإيطالي نلينو ، وعبدالحميد بدوي ، وإبراهيم عبدالقادر المازني ... وغيرهم . وكلها بأقلام رجال من المجمع نفسه ، ولا ينبئك مثل خبير .

١٢- من الأبواب المهمة جداً ، التي عرض لها هذا الكتاب القيم ، باب الألفاظ والأساليب (ص ٩٦ وما بعدها) ، حيث شمل حديثه بعض فتاوى المجمع في الألفاظ ، التي يذهب بعض الباحثين إلى تخطئتها ، بينما رأى المجمع إقرارها ، من ذلك على سبيل المثال : إجازة استعمال (سواء) مع (أو) ، واستعمال التقييم بمعنى بيان القيمة فرقًا بينها وبين تقويم الشيء بمعنى تعديله وإجازة (تبرير) بمعنى (تسويغ) ، وكلمة (رئيسي) بياء النسبة .. إلخ ؛ وهذه القرارات مهمة جدًا ، لأولئك الكتّاب الغُيُر الذين يعترضون على هذه الاستعمالات ، ولو رضوا بلغة الفتاوى اللغوية لأراحوا واستراحوا ؛ ويمكن الرجوع إلى هذه القرارات في الكتاب الذي أصدره المجمع باسم (في أصول اللغة) .

١٣- من الطريف أن أعرف ، لدى حديث المؤلف عن (المجمع واللهجات) معلومة وردت في (ص ١١١) ، تقول إن المستشرق (ليتمان) قدم في الدورة السابعة عشرة للمجمع ، بحثًا عن الأدب الشعبي ، تحدث فيه عن الأدب الشعبي المصري واشتماله على حكايات وأمثال وألغاز ، ونداءات الباعة والمسحراتية ... إلخ ، وهذا الحديث ذكرني بمحاولة كنتُ بدأتُها منذ سنوات خلت ، في مجلة (المنهل) عن (نداءات الباعة) في مكة المكرمة ، حيث نشأتُ ، وقد نشرتُ منها حلقات ، ثم انصرفت عن مواصلتها ؛ وبودي لو أجد فرصة لموالاتها ؛ وعندي أن الاهتمام بهذه المأثورات الشعبية، لا يتعارض مطلقًا مع تعزيز الفصحى ، ولا الغيرة عليها ، ما لم يتجاوز هذا الاهتمام دائرته إلى احتضان العامية ، أو الدعوة إليها ، أو تشجيعها ، أما النظرة إلى الأدب الشعبي ، كظاهرة موجودة ترفد تاريخ الشعوب ، وتوثقه وتخدمه ، فهو أمر مطلوب ؛ ومن هذه النظرة يأتي اهتمام المجمع بالأدب الشعبي ، وباللهجات .

١٤- هل وضع المجمع حقًا لفظة (الشاطر والمشطور وبينهما كامخ) لكلمة السانويتش .. ؟ لقد وضّح لنا المؤلف الحصيف (ص ١٣٩) أن هذا المصطلح الطويل ، إنما هو مجرد فرية أطلقها بعض المشنِّعين على المجمع ، فصحة الكلمة التي وضعها المجمع هي (المشطور) ؛ وأقول : إن العرب القدامى استعملوا كلمة (الشطيرة) لهذا الغرض نفسه الذي نستعمل من أجله كلمة السندويتش تقريبًا ، وهي تُغني .

١٥- لاحظت في (ص ١٣٩) أن المؤلف أورد نماذج من الكلمات التي أقرها المجمع ، مقابل بعض ألفاظ الحضارة الغربية ، ولفت نظري أن بعض الألفاظ الغربية ، إنما هي عربية الأصل ، فهي بضاعتنا ردت إلينا مثل كلمة Table للمائدة والخوان فهي عربية أصلها (طبلية) وهي المائدة أو الخوان المستدير الذي كان يلتف حوله أجدادنا عند الطعام .. وهي تشبه (الطبل) في استدارها ولهذا أسموها (طبلية) ..

وكذلك أطلقوها تجاوزًا على الصينية .

وكذلك كلمة (كوب) فهي من الألفاظ القرآنية . وردت في أربعة مواضع من القرآن الكريم منها قوله تعالى : ﴿ وأكواب موضوعة ﴾ سورة الغاشية .

١٦- خصص المؤلف العلاّمة الفصل السادس من كتابه القيم للحديث عن المعاجم (ص١٤١ وما بعدها) .

وعندي أن كلمة (معجم) لا تقتصر على الكتاب المرتب هجائيًا، إذ قد يتبادر إلى الذهن الترتيب الهجائي المقرر اليوم، بينما المعاجم القديمة ، لم تلتزم هذا الترتيب ؛ بل اعتمد بعضها على الترتيب الحلقي ، أو غيره ، مما اختاره الرواد الأول الذين وضعوا معاجم اللغة ، وهذا مافصله المؤلف في (ص ١٤٢) .

١٧- وفي حديثه عن (المجمع والمعجم) حدثنا المؤلف الفاضل (ص ١٤٦) عن اللجنات التي تألفت لمساعدة المستعرب(فيشر) في طبع معجمه ، ولوضع المعجم الوسيط ، ولكنه لم يسم أعضاء هذه اللجنات ، وهذا أمر مهم للتارخين المجمعي والمعجمي . وكذلك الشأن في أمر الباحث الذي عرض في الجزء الثالث من المجلة إلى بعض الاصطلاحات اليونانية في اللغة العربية كي تتحول إلى مواد في المعجم الكبير ، (ص ١٤٧) ولكنه لم يسمه ، وليته فعل ذلك ، للسبب نفسه .

١٨- من أبرز إنجازات المجمع كتاب (معجم ألفاظ القرآن)، وهو إن لم يكن الأول من نوعه ، إلا أن عمل المجمع جاء مميزًا ، وقد تحدث عنه الدكتور شوقي في (ص ١٤٨) وذكر خطته الأساسية ، ومن العجب أن يستبعد من هذه الخطة هدف مهم ، هو الكلام على الكلمات اللغوية التي تشمل الأسماء الجغرافية والتاريخية والمصطلحات وكذلك الأعلام التاريخية والجغرافية .

وإني لآمل أن يتمكن المجمع من إخراج الكتاب في طبعة جديدة تحقق هذا المطلب الجليل .

وقد حدثنا المؤلف في (ص ١٤٩) عن اللجنة التي تكونت لإعداد هذا المعجم ، وكنت أرجو أن أعرف تاريخ تكوينها .

١٩- ويبدو لي أن (المعجم الوسيط) كان أكثر أعمال المجمع نجاحًا وشيوعًا ، وقد شق طريقه معجمًا معتمدًا ، متقنًا ؛ وقد تحدث المؤلف عن هذا المعجم في (ص ١٦٠) . وجاء في حديثه أنه كان من المخطط له أن يضم ملحقًا بالمشهور من الأعلام (حتى تتم الفائدة ويعم به النفع) ، ولكن هذا الهدف المهم لم يتحقق ؛ وجاءت طبعات المعجم المتكررة بدونه وظل (المنجد) متميزًا بهذه المزية ، وهنا ظاهرة جديرة بالالتفات والاهتمام ، فإن المنجد الذي حقق هذه الفكرة ، ملحقة بمعجمه اللغوي ، حول تواريخ الأعلام إلى التاريخ الميلادي ، ومن المعلوم أن التاريخ الهجري هو التاريخ المعتمد عبر أربعة عشر قرنًا ، وكذلك فعلت بعض الموسوعات التي لم تحفل بالتاريخ الهجري ، كأنه لم يكن تاريخ هذه الأمة التي أنجبت الكثرة الكاثرة من الأعلام ؛ ولم يشذ من هذا التعريب التاريخي ، إلا موسوعة الأعلام للزركلي ، الذي اعتمد التاريخ الهجري ، انسياقًا مع طبيعة التاريخ ذاته ، ولم يغفل في الوقت نفسه التاريخ الميلادي .

وأعتقد أنه قد آن الأوان للمجمع أن ينفذ ذلك الملحق المقترح ، كما أعتقد أن من الأهمية بمكان أن يهتم في المعجم الوسيط بالصور الملونة والخرائط ، والرسوم التوضيحية ، ليأخذ المكان الأول بين معاجم العصر .

٢٠- وكان حديث المؤلف في الفصل الثامن (ص ١٨٤ وما بعدها) عن إحياء التراث وتشجيع الإنتاج الأدبي .

وقد ذكر أن (مصر) عُنيت قديمًا ، أشد العناية ، بوضع دوائر معارف كبرى ، تجمع شتات التراث ، وضرب لذلك أمثلة معروفة ، ولا مشاحة في مكانة مصر الأدبية ، سواء في القديم أو الجديد ، فذلك أمر مشهود لها به ، ولكن الاهتمام بوضع تلك الموسوعات الكبرى ، كان جهدًا مشتركًا ، اشتركت فيه عواصم العالم الإسلامي ، كأنما كانت تتضافر على تحقيق هذا الغرض النبيل ، والاضطلاع بأعبائه الكبيرة .

وبعد ؛ فهذا أهم ما دونت من مطالعات عن هذا الكتاب المهم ، الذي لابد منه لمن أراد أن يقف على نشاط المجمع اللغوي بمصر خلال خمسين سنة من حياته الحافلة ولا شك أن مؤلفه الباحث الكبير قد أسدى به خدمة تاريخية جلّى ، ينبغي أن تظل محل التقدير العميق .

إعراب القرآن الكريم وبيانه لمحيي الدين درويش

عبدالكريم الحبيب
كلية الآداب – جامعة البعث – حمص – سورية

الدرويش ، محي الدين /إعراب القرآن الكريم وبيانه .– دمشق : دار الرشيد ؛ حمص : دار الإرشاد ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ٣٠ جزءاً .

لقد شرّف الله عز وجل هذه الأمة بنبوّة الرسول الكريم ﷺ ، وأتمّ نعمته عليها عندما أمدّ رسوله ﷺ بمعجزته البيانية التي سحرت ألباب أئمة الفصاحة والكلام شعراً ونثراً ، حتى وقفوا عاجزين أمامه ، يحيرون جواباً ، لإعجازه وإحكام آياته «حتى استوت الفصاحة واشتهرت البلاغة آية للنبوّة وحجة على الخلق ، وإعجازاً بالقرآن للمتعاطين»[1] .

والقرآن الكريم فاجأ العرب بلغته وائتلاف بيانه نحواً ودلالةً وتصويراً حتى ليضلُّ في رمل ساحله نطوس اللغويين، ويغرق دون عُبابه فكر البلاغيين ؛ لأنه مستجمع حُسْن اللغة ، وموحِّد لهجات العرب ، ومُزيل الاختلافات اللغوية ؛ كما أنه جذّر اللغة القرشية وأعطاها ديموميتها واستمرارها «لأن لغة قريش أفصح اللغات وأعذبها فقد صُقِلَتْ بحياة الحضر وبكثرة الاختلاط بالقبائل العربية نظراً لمكانة قريش الدينية والتجارية»[2] ، وقد جعل الله عز وجل الكتاب المنزل على نبيّه منشوراً «ليكون أظهر برهاناً ولفضله على الشعر الذي من عادة صاحبه أن يكون قادراً على ما يحبّه من الكلام وتحدى جميع الناس به من شاعر وغيره فأعجزهم ذلك»[3] ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾[4] (صدق الله العظيم) وكما أن القرآن أعجز الشعراء وليس بشعر فكذلك أعجز الخطباء وليس بخطبة ، والمترسِّلين وليس بترسّل ، وإعجازه الشعراء أشد برهاناً ألا ترى العرب كيف نسبوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم إلى الشعر لما غُلبوا وتبيّن عجزهم فقالوا هو شاعر لما في قلوبهم من هيبة الشعر وفخامته وأنه يقع منه ما لا يلحق ، كما قال ابن رشيق[5] .

فكما أعجز الخطباء والشعراء فقد أعجز اللغويين أيضاً قديماً وحديثاً ، وكم تهيّبوا من خوض بحار سحره وخضمّ بلاغته ، وعادوا بمراكب العجز ، متّشحين بثوب الإكبار والإجلال لهذا الكتاب العظيم . غير أن الأديب الذي يحمل في طيّ جوانحه رسالة إنسانية تحتّم عليه أن يُدلي بدلوه ليستقي غفران الذنوب بأدائه الأمانة ، ويمحو عن كاهله غبار التقصير أمام الأجيال . يبقى ذلك الأديب دائباً على البحث والتحصيل ، رافداً تراث الإنسانية بما يفيضه فكره وبحثه . ومن هنا أكبّ علماء العربية قديماً وحديثاً على النظر في كتاب الله ، وفضّ ما يمنح التوفيق إليه من أسرار بلاغية ونحوية وفقهية وكلامية تفسيرية . ومن خلال نظرة تاريخية بسيطة للكتب التي ألفها العلماء حول القرآن تبيّن لنا أنهم لم يكونوا ينظرون نظرة شمولية إلى كتاب الله الكريم ، وإنما كانوا يتناولون ما هو في مجال اختصاصهم واهتمامهم ؛ فالنحوي نظر إلى إعرابه ، واللغوي إلى لغته وتركيبه واشتقاق ألفاظه ومصطلحه ، والبلاغي نظر إلى إعجازه وبلاغته وتآلف الإعراب مع اللغة . وغير ذلك . ولن أستفيض في هذه المسألة ، بل سآخذ الجانب الذي أنا بصدده وهو جانب الإعراب والبيان القرآني ؛ لأن أيّ باحث محقّق يعجز عن حصر المؤلفات ، قديمها وحديثها ومازال مخطوطاً منها ، التي كان موضوعها كتاب الله عز وجل .

نظرة فيما ألف من كتب حول إعراب القرآن الكريم

إن نظرة بسيطة يلقيها الباحث تبيّن له أن إعراب القرآن كان مثار اهتمام النحاة ، وأستطيع أن أذكر بشكل سريع وتاريخي أهم تلك الكتب وهي : الإعراب المنسوب للزجاج (توفي ٣١١هـ) ، وإعراب القرآن للنحاس (توفي ٣٣٨هـ) ، وإعراب ثلاثين سورة لابن خالويه (توفي ٣٧٠هـ)، ومشكل إعراب القرآن لمكي (توفي ٤٣٧هـ) ، والبيان في غريب إعراب القرآن للكمال الأنباري (توفي ٥٧٧هـ) ، وإعراب القرآن للعكبري (توفي ٦١٦هـ) ، وإعراب القرآن للسفاقسي (توفي ٧٤٢هـ) ، وإعراب القرآن للسمين الحلبي (توفي ٧٥٦هـ) . والكتابان الأخيران ما زالا مخطوطين لم ينشرا وهما جيّدان اطّلعت عليهما وقد يفوقان بعض ما تقدمهما .

كتب التفسير والبيان

وهي كثيرة أستطيع أن أذكر بعضها مرتبًا تاريخيًا وفق صدوره ، فمنها :

تفسير ابن عباس (توفي ٦٨هـ) ، ومعاني القرآن للفرّاء (توفي ٢٠٧هـ) وهو ثلاثة أجزاء ، ومعاني القرآن للأخفش الأوسط (توفي ٢١٥هـ) ، وتفسير الطبري (توفي ٣١٠هـ) ، وتفسير البغوي (توفي ٥١٦هـ) ويقع في أربعة مجلدات ، وتفسير الطبرسي (توفي ٥٤٨هـ) وهو ستة أجزاء ، وتفسير الفخر الرازي (توفي ٦٠٦هـ) ويقع في ستة وعشرين جزءًا ، وتفسير البيضاوي (توفي ٦٨٥هـ) ، وتفسير النسفي (توفي ٧١٠هـ) في ثلاثة أجزاء ، وتفسير الخازن (توفي ٧٤١هـ)، وتفسير ابن كثير (توفي ٧٧٤هـ) ، وتفسير الثعالبي (توفي ٨٧٥هـ) في أربعة مجلدات ، والدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي (توفي ٩١١هـ) في ثمانية أجزاء ، وروح المعاني للآلوسي (توفي ١٢٧٠هـ) ، والتحرير والتنوير لابن عاشور (توفي ١٢٨٤هـ) في ثلاثين جزءًا ، وتفسير المراغي توفيَ (١٩٥٢م) في ثلاثين جزءًا أيضًا ، والمصحف المفسَّر لفريد وجدي (توفي ١٩٥٣م) ، وتفسير الشنقيطي توفي (١٩٧٣م) ويقع في تسعة أجزاء وقد اعتمد على تفسير القرآن بالقرآن وأخيرًا التفسير الحديث لعزة دروزة (توفي ١٩٨٤م) وقد اعتمد ترتيب النزول أساسًا لتفسيره .

ولن أستعرض الكتب التي تحدثت عن مجاز القرآن وإعجازه والنزول والنسخ والقراءات والرسم والنقط وغير ذلك، مما اختص به كتاب الله عز وجل ؛ لأنها كثيرة وذات مناحي متعددة . غير أني أستطيع أن أقول إن كتب التفسير السابقة – وقد اطلعت عليها – قد اعتمد بعضها على بعض الإعراب ومناقشة بعض المسائل النحوية ، كما اعتمد على إيضاحات بيانية معينة وأخصّ القرطبي والبيضاوي والزمخشري في كتبهم ، لكنّ تلك الكتب تبقى في إطار التفسير وهو الطابع الغالب عمومًا . وهذا هو الشيء الذي دعاني إلى دراسة كتاب أستاذنا المرحوم محي الدين درويش ؛ لأنه حاول أن يجمع الحُسْنيين معًا الإعراب والبيان ومن هنا أوجبت لنفسي هذا التوقف العلمي عند الكتاب .

وصف الكتاب ومخططه

لقد بدأ الأستاذ الدرويش جمع المعلومات (أي مادة كتابه) في الخمسينات تقريبًا ، بعد أن عكف على قراءة القرآن الكريم وما دار حوله من تفاسير ودراسات ، والمعروف عن الأستاذ الدرويش أنه ذو نوقية انتقائية متفرّدة حيث كان يعمل بالتدريس ، وكان جزئيًا في أحكامه العامة عندما توافق ذوقه ، وأذكر عندما شرع بتدوين مؤلّفه الضخم بشّرنا به ، وأنه سيكون ذخيرة للباحثين عن إعراب القرآن وبيانه وكم وَعَدنا به وبفصوله ، وكان يتحدّث لنا عن سبب تأليفه دائمًا أنه التقى مستشرقًا ، وتحدّث معه عن أسرار عربيتنا العظيمة الخالدة وقال المستشرق قولته «لماذا ورد في القرآن ﴿ واشتعل الرأس شيبًا ﴾ الآية الكريمة ، ولم يرد مثلاً «شِبْتُ» اختصارًا ، وكان يورد

الأستاذ الدرويش كيف ناقشه مناقشة حامية وأن البيان الإلهي في هذه الآية له دلالته المعنوية والتوصيلية للقارئ، وكيف شرَع بالاستشهادات الغزيرة وهذه مزيته الفريدة بصوته الأجش وبريق عينيه الجميل. وكنا بعد تخرّجنا وانتقالنا إلى الجامعة نسأله عنه فيقول ينتظر النور وقد انتهيت من مراجعته. وأخيراً، صدر الكتاب في حياة مؤلفه وكم قرّت عيناه عندما شاهد بِكْرَ فكره ينتقل من يد إلى يد غير أن صدوره جاء على مدار سنوات عدة حيث يقع الكتاب في ثلاثين جزءاً صدر الأول منه ١٩٨٠م في نيسان (أبريل)، الموافق جمادى الأولى ١٤٠٠هـ. عن دار الإرشاد بحمص بالتعاون مع دار الرشيد في دمشق أيضاً.

ومخطط الكتاب يعتمد على منهج محدّد حيث كان يورد الآية مضبوطة وفق الرسم العثماني ثم يورد اللغة في الآية، والمناحي اللغوية التي اعتمد الأستاذ الدرويش في إيرادها هي المعنى الدلالي والاصطلاحي ثم وزن بعض الكلمات دون الالتفات إلى معناه اللغوي إن رأى أنّ معناه الاصطلاحي يفي بالمطلوب، مثلاً يقول في التعوّذ: (أعوذ بالله من الشيطان) (الشيطان) (الرجيم) إما أن يكون على وزن فَعْلان من شاط يشيط بقلب آدم أي مال به وأهلكه، وإما أن يكون على وزن فيعال من شطن أي بَعُدَ كأنه بَعُدَ عن الخير أو بَعُدَ غوره في الشر (٦)، وبعد أن يورد المنحى اللغوي لما هو ضروري من الكلمات، ينتقل إلى الإعراب وهو إعراب لطيف حاول اختصاره قدْر إمكانه، وأحياناً يضمّن الإعراب خطرات لغوية مما سأتحدث عنه في ملاحظاتي على الكتاب. وكان يعرب المفردات والجمل محيطاً بدقائق الإعراب كإيراد الأوجه المختلفة لإعراب الكلمة إن وُجِدَ لها مثل ذلك، ولم يكن يرجح وجهاً على آخر (٧)، وكتعليق الجار والمجرور أيضاً أو الظروف. وبعد أن يستوفي الإعراب ينتقل إلى البلاغة فيذكر الوجوه البلاغية المتعددة للآية، ثم يُنهي حديثه بفصل خاص للفوائد، وهي فوائد فريدة في بابها اعتمد في إيرادها على الترقيم والتبويب مستخدماً الأحرف الأبجدية. وفائدة قد تكون لغوية، أو فقهية، أو نحوية، أو صرفية، أو كلامية، وهذه الفوائد في حقيقة ذاتها تعدّ مرجعاً جَمّ الفوائد يريح الباحث والطالب معاً من ناحية. وتعبّر عن موسوعية علم الأستاذ المؤلف - رحمه الله - وسعة اطلاعه وحُسْن الاختيار والانتقاء كما ذكرت. ثم بعد ذلك يورد الآيات الكريمة وفق ورودها في السّور غير ملتزم بعدد الآيات وإنما يكون ذلك وفق طول الآيات وقصرها، أو حسبما يريد الأستاذ المؤلف. وهكذا حتى ينتهي من السورة ثم يبدأ بسورة أخرى، وكان يهتم بإيراد نوع نزول السورة فيشير بعد عنوانها هل هي مكية أم مدنية وما عدد آياتها.

نقد الكتاب والملاحظات التي تؤخذ عليه

أعترف باديْ ذي بدءٍ أن ملاحظاتي هذه قد قلت بعضها للأستاذ المؤلف - رحمه الله - عندما قدّم إليّ الجزء الأول من الكتاب، وتحدّثنا طويلاً فيها وبعد اقتناعه قال، مداعباً - وكذلك روحه - أنت تريد أن أحيا ثلاثين سنة أخرى حتى أستدرك هذه الملاحظات. وخاصة فيما يتعلق بالتوثيق العلمي واضطراب المنهج فيما سأشير إليه هنا. وملاحظاتي هذه متممّة لفائدة الكتاب التي ترجى إن شاء الله.

١ - لقد افتقر الكتاب إلى الطابع التحقيقي والتوثيق الذي يسود في الكتب ذات المنهج العلمي، وأستطيع أن أقرّر ذلك في الكتاب عامة بدءاً من المقدمة، فقد كانت مقتضبة جداً لا تتعدى خمسة عشر سطراً يقرر فيها ظهور الكتاب بعد طول احتجابه، وأنه هو يتحدّث عن نفسه وكم عدد أجزائه، وفيما أرى أن الأستاذ المؤلف اقتضب وطبعه الإطناب فلو وضع خطبة للكتاب لأكمل الفائدة؛ لأن خطبة الكتاب توضّح كثيراً من جوانبه وتعرض خطته ومنهجه.

٢ - ومما يُسجّل على المؤلف - رحمه الله - أنه لم يكن يعبأ بالتحقيق فلم يذكر مصادر مادته وكثيرة هي

مصادره . فعندما يستشهد شعراً يقول : قال أبو الطيب أو فلان .. دون أن يذكر موضع الشاهد في الديوان وهذا في الكتاب عامة ، ولم يقتصر ذلك على الشعر فقط ؛ بل عندما كان يورد أقوال الأئمة أيضاً في مسألة لغوية أو بلاغية ، ولم يكن يشير إلى موضع أخذه ، وأحياناً يذكر اسم الكتاب دون الإشارة إلى الصفحة أو تحديدها مما يوقع باللّبس أحياناً ، فابن قتيبة له أكثر من كتاب والطبري أيضاً فلا يمكن معرفة موضع الاستشهاد . ولم يكن يحتاج المؤلّف إلى كثير عناء في ذلك ؛ بل إنه من السهل جداً تدوين اسم الكتاب ورقم الصفحة عند كتابة المادة العلمية منه . وبهذا الشكل يحتاج إلى إعادة تحقيق من أجل تخريج الأقوال من مصادرها وإعادة الآراء إلى أصحابها وتوضيح بعض المشكلات ، وحبّذا لو فعل ذلك بعض أبنائه ، أو بعض تلاميذه .

٣ - لم يعتنِ الأستاذ المؤلف بتبويب المادة العلمية في الكتاب مما أخلّ بالمنهج في مواضع كثيرة ، فهو مثلاً عندما يذكر اللغة بالنسبة لبعض الألفاظ ويستوفيها في الفقرة المخصصة للغة ، يعود فيذكر اللغة لألفاظ ثانية أثناء إعرابها وكان من حق ذلك أن يذكر في باب اللغة (٨) ، ولم يكتف بذلك ؛ بل كان يتحدّث ويطنب ويورد الأحاديث والأخبار فيما يتعلق باللغة ضمن الإعراب مما يشتت ذهن القارئ ، ويخلّ بالمنهج العلمي للكتاب (٩) .

٤ - أهمل الأستاذ المؤلف قضية القراءات وهي مسألة مهمة جداً نحوياً ولغةً ، وحبذا لو أفرد بعد كل آية فيها قراءة معينة فصلاً يتحدث عن تلك القراءة وقارئها وأصول قراءته والأثر اللغوي في ذلك ، غير أنه كان يذكر القراءة أحياناً ضمن الإعراب ، أو ضمن اللغة أو ضمن الفوائد . مما يبعثر الاهتمام . وهو إذا ذكر القراءة كان يكتفي بقوله وتقرأ كذا (١٠) ، وفيها قراءة أخرى (١١) دون أن يذكر عمّن تلك القراءة أو المصدر الذي اعتمد عليه .

٥ - كان يهمل أحياناً ، ودون مبرر ، مخطّط بحثه ومنهج ترتيب مادته فأحياناً يغفل قضية اللغة وهناك ما يُبحث في مجالها (١٢) ، وأحياناً يغفل قضية الفوائد وهناك ما يُسجّل(١٣) معتمداً على الإعراب ذاكراً ذلك ضمنه أحياناً (١٤) ، وأحياناً لا يذكر البلاغة ولذكرها موجب (١٥) .

٦ - كان يستطرد في مناقشة بعض القضايا دون أن يتدخل فيدلي بدلوه ؛ بل يكتفي بأن يورد عنوان مناقشة لابد منها (١٦) دون أن يشير إلى توثيق مأخذه كما تدل الإحالة ، وهو إن أعطى رأيه في مسألة لم يكن يعتمد على قاعدة شرعية فقهية ؛ بل على قياس ذهني يجريه هو كما فعل في المناقشة التي دارت حول قوله تعالى ﴿ وعلى الذين يطيقونه ﴾ (١٧) وكان ينعت الفقهاء بألفاظ منها مثلاً : «الزمخشري متردّد (١٨) ، أبو حيان يخطئ القائلين» (١٩) .

٧ - لم يضبط رواية الشعر ، ولا أدري هل هو من المطبعة أم من المؤلف وكان يختل الوزن أحياناً كما في بيت عمرو بن كلثوم : (إذا ما الملك ...) حيث أورد البيت بإسقاط (ما) وبها يختل الوزن (٢٠) ، وكان يورد شيئاً من الشعر حشواً لا يتطلبه المقام وليس مسوّغاً أن يورده لندرته ، مثلاً كما فعل بقصيدة أبي نواس فبعد أن تعرّض لبعضها أثناء البلاغة وعد أن يوردها في باب الفوائد وأوردها (٢١) ، وقال أثبتها خلافاً لما وردت عليه في الدواوين دون أن يشير كيف وردت في الدواوين . ومن أي مصدر أخذها .

٨ - كان يورد آراء بعض الأدباء ومناقشاتهم للغة القرآن دون مبرر لوجود ذلك مما شكّل خللاً في بنية الكتاب، كما فعل ذلك عندما تعرض لرأي طه حسين في لغة القرآن (٢٢) .

٩ - وقعت أخطاء كثيرة قد تكون من الطباعة وعدم معاودة النسخ ، ولكن لا يغفر ذلك أن تبقى ضمن هذا الكتاب الضخم ، ذلك أن المؤلف - رحمه الله - لم يشهد تمام الكتاب مطبوعاً .

خاتمة

تلك ملاحظات يسيرة سمحت النفس بنشرها ، إن شاء الله ، وأبقيته صونًا للمحبة التي كانت بيني وبين المؤلف . ووفاءً له . وإني لأقرّر أن هذا الكتاب يشكل موسوعة أدبية فقهية لغوية بلاغية لما احتواه من تلك الأمور واقتضته استطرادات المؤلف ، ولا شك أنه يحتل مكان الصدارة بين كتب إعراب القرآن الحديثة والقيمة . وإني أناشد بعض الخلصاء أن يحاولوا صنع الفهارس العلمية له وإلحاقها به حتى تتم الفائدة منه . والحمدلله رب العالمين.

حواشي البحث وإحالاته

١ – العمدة ١ / ٧٥ .
٢ – دراسات قرآنية ٢٣ .
٣ – العمدة ١ / ٧٥ .
٤ – سورة الإسراء الآية ٨٨ .
٥ – العمدة ١ / ٧٥ .
٦ – إعراب القرآن ١ / ٧ .
٧ – إعراب القرآن : انظر مثلاً ١/١٤ ، و ٢٣ ، ٢٧ وغير ذلك كثير .
٨ – انظر على سبيل المثال لا الحصر : ٧/١ بعد أن تحدث عن اللغة في أعوذ والشيطان ، والرجيم ، عاد فذكر في الإعراب : أعوذ: فقال بعد إعرابها وهو فعل معتل أجوف ؛ لأن عين الفعل واو ، والأصل أعْوُذ على وزن أفعل فاستثقلت الضمة على الواو فنقلت إلى العين فصارت أعوذ وهذه علّة ما كان من هذا الباب ... ثم يتابع الإعراب .
وانظر مثلاً ١ / ١٤ . و ١٧٨ وفي أغلب الكتاب .
٩ – انظر ١/١٥ و٥٧ و ٨٠ . و ٢/١٠٥ و ٣/٤٩١ وفي مواضع أخرى كثيرة .
١٠ و١١ – انظر ٣/٤٧١ و ٤٨٥ . وغير ذلك كثير .
١٢ – انظر ١ / ٩٨ ، و ١ / ١٠٤ .
١٣ – ٢ / ٣٠٧ .
١٤ – في كثير من مواضع الكتاب نضيق بالإشارة إليها .
١٥ – انظر ٢/٣١٨ .
١٦ – انظر مثلاً ٢ / ٢٦٥ .
١٧ – سورة البقرة الآية ١٨٤ .
١٨ و ١٩ – انظر ٢/٢٦٦ .
٢٠ – ١ / ٩٩ .
٢١ – ١٣ / ١٠٤ .
٢٢ – ١٣ / ١٤٤

مراجع البحث ومصادره

١ – القرآن الكريم
٢ – إعراب القرآن الكريم وبيانه ، محي الدين الدرويش ، دار الإرشاد . حمص .
٣ – تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، ترجمة عبدالحليم النجار، دار المعارف ، مصر .
٤ – تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت .
٥ – دراسات قرآنية ، عدنان زرزور ، دار الفكر ، دمشق .
٦ – ديوان عمرو بن كلثوم ، تحقيق علي أبي زيد ، دار المسيرة .
٧ – الكشاف ، جار الله الزمخشري ، دار المعرفة .
٨ – محاضرات في تفسير القرآن الكريم ، نورالدين العتر ، جامعة دمشق .
٩ – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، فؤاد عبدالباقي ، دار الجيل .

تاج التراجم في طبقات الحنفية لابن قطلوبغا

تحقيق إبراهيم صالح

عدنان محمد آل طعمة
دمشق - سورية

ابن قطلوبغا ، قاسم / تاج التراجم في طبقات الحنفية تحقيق إبراهيم صالح .- دمشق : دار المأمون ؛ دبي : مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، ٤٠ + ٤١٨ص .

صدر كتاب تاج التراجم في طبقات الحنفية الشيخ قاسم بن قطْلُوبُغا الذي ولد في المحرم سنة اثنين وثمان مئة بالقاهرة كما صرَّح هو لتلميذه ، وفقد أباهُ صغيرًا ورعته أمُّه بعد ذلك ، ودخل الكتاب طالبًا العلم واللغة والأدب وكانت ميولهُ الدينية غالبة عليه : فحفظ القرآن الكريم ، وقرأ الكتب على شيخهِ عزالدين بن جماعة ، ومع ذلك فقد كان يعمل ويدرس ويتفقَّه .

لقد امتهن الخياطة حتى يحفظ ماء وجهه من ذل السؤال ، ولم يكد يأخذ بتلابيب العلم حتى اشتاقت نفسه للرِّحلة في طلب العلم ؛ وفي رحلته هذه زار الإسكندرية ، ودمشق والقدس ، ومكة والمدينة ، ووقف عند علماء هذه المدن ولازَمَهُمْ وأخذ عليهم ، وأصبح علمًا من الأعلام المعروفين ، وبالتالي فإن الأستاذ إبراهيم صالح تابع سيرة ابن قطْلُوبُغا من خلال مصادره خاصة روايات تلامذته ؛ وهي مادة جيدة لمعرفة الحياة التعليمية في القرن التاسع بكلّ ظروفها وملابساتها .

تناول المحقق في تقديمهِ للكتاب تاريخ الترك ووجودهم في دولة الإسلام ودورهم الفعّال في كلِّ ما يتعلق بتاريخ الأمة الإسلامية في السياسة والحياة الاجتماعية والثقافية ، وفي هذه المقدمة مَهّد فيها الدخول إلى حياة المؤلف الشيخ زين الدين بن قُطْلُوبُغا (الفحل الميمون) ، وقد ضبط المحقق اسمه وأعطانا تفسيرًا لهذه اللَّفظة كما أعطانا تفاسير أخرى لأسماء تركية مثل أوغلي بمعنى سبط كما هو الحال لسبط بن الجوزي ، وقال : إن ابن قُطْلُوبُغا كان يسكن الأشرفية وأنَّ جُدّه عبدالله هو أول من سكن مصر . لقد عاش المؤلف حتى طعن في السن ، وتوفي سنة ٨٧٩هـ وعنده سبع وسبعون عامًا .

أما بالنسبة لتحقيق الكتاب فقد اعتمد المحقق على نسختي الرِّياض والظاهرية .

١ - أولها كتبت في ذي الحجة سنة ستٍ وستين وثمان مئة ، وهي محفوظة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرِّياض تحت رقم ٣٥٧٢ وتقع في ٤٩ ورقة .

٢ - أما الثانية فقد كتبت في زمن المؤلف أيضًا وقوبلت على نسخةٍ مقروءة على المصنّف ورقمها ٩٦٢٥ تقع في ٣٧ ورقة ، ثم أورد نماذج للمخطوطتين ، ونموذج لخطّ ابن قُطْلوبغا إجازة منه لأحد تلامذته .

أما النّص فقد جاء في ٣٠٩ صفحات يتضمن ٣٤٨ ترجمة ثمَّ ألحقَ بها تراجمَ أخرى وجدها في نسخة الرياض ممَّا لا توجد في نسخة الظاهرية . وألحقَ بالكتاب فهارس علمية للآيات والأحاديث والشعر والكتب ، وهي قائمة طويلة وثرّة ، ثم فهرسًا للمترجم لهم يتبعه فهرس للأماكن ، وأخيرًا المصادر التي اعتمد عليها المحقق ، وعددها ١٠٥ كتب ، ووضع لكلِّ ترجمة رقمًا ، يتبعه في الحاشية الرقم نفسه وله مراجع التخريج للعلم المذكور أعلاه ، والكتاب حلقة من الحلقات المتصلة بطبقات الحنفية وسدّ مكانه في مكتبتنا العربية والإسلامية .

السفارة السياسية وأدبها في العصر الجاهلي
محمد علي دقة

رباح الأسود – سورية

دقة ، محمد علي / السفارة السياسية وأدبها في العصر الجاهلي .- ط ٢ .- دمشق ، دار إحياء التراث العربي ، وزارة الثقافة ، ١٩٨٩م .

صدر هذا الكتاب في طبعتين ، الأولى عن دار إحياء التراث العربي بوزارة الثقافة السورية سنة ١٩٨٤م ، والثانية في دمشق ١٩٨٩م . وقد تناول المؤلف فيه جانباً واسعاً من جوانب الحياة السياسية العربية قبل الإسلام، ورسم صورة لموقف العربي الجاهلي من مسائل السياسة وقضاياها ، كما أبرز الصلة بين الأدب والسياسة في ذلك العصر ، إذ كان للأدب أثر كبير في مجريات الأحداث السياسية والحربية التي شهدتها جزيرة العرب .

ولا يرى المؤلف في تناوله الحياة السياسية القديمة انصرافاً عن الحاضر العربي ، بل خلاف ذلك ، فهو يرى أن دراسة التراث دراسة علمية تعمق فهمنا لجوانب الواقع على نحو يساعدنا على استشراف آفاق المستقبل ورسم ملامحه ، إذ يقدم لكتابه بالقول : **«لعل التاريخ متواصل لا انقطاع فيه ، وأحداث الماضي لا تنطفئ ولا تموت بل تنطمر في الحاضر ، ومن رحم الحاضر يولد المستقبل . ويتواصل تراث الأمة ، فيظل حياً في ذهنها ، يسهم في تكوين فكرها وصنع مستقبلها»**. كما يرى في البحث في مواقف الأجداد من قضايا السياسة ومشكلاتها إغناء لتجربة الأحفاد ورفداً لها ، يقول في مقدمته : **«والعصر الجاهلي يمثل الخطوط الأولى في قسمات الوجه العربي ، والعودة إليه ، وإن بعد العهد به ، عودة إلى الأصل والجذور . وقد يقال إنه لا يعنينا الآن مشكلات عاشها مجتمع رعوي قبلي قبل بضع مئات وألف من السنين . غير أن ما تجدر ملاحظته هو أن تناولنا التراث لا يعنى بالبحث في مشكلات الجاهلية وقضاياها ، عنايته بالبحث في مواقف أولئك الجاهليين من مشكلاتهم وقضاياهم . علنا نغني معرفتنا ونرفد تجربتنا بتجارب الأجداد»** .

وقد جعل المؤلف دراسته لهذا الجانب التاريخي والأدبي من حياة العرب في مدخل وثلاثة فصول . فعرض في المدخل لطبيعة السفارة وأثرها في الحياة السياسية الجاهلية ، وعرّف بالسفير وصفاته وعلو مقامه ومعاملة العرب للسفراء .

وتحدث في الفصل الأول عن سفارات العرب داخل

الجزيرة ، فتوزعت تلك السفارات في أغراض منها :

سعي السفراء في تعزيز قبائلهم عن طريق شد الأحلاف وتوثيق المواثيق ، والوقوف بين يدي الملوك في الحكومات ، يبينون ما يراه قومهم حقاً ، ويدفعون ما يرونه جوراً من خصمهم وتعدياً ، ويستميلون الملوك بمديحهم . وسار أشراف الأقوام ووجوهها إلى مجالس المفاخرة يتفاخرون بمآثر القبائل ، وكثرة العدد ، وعز القبيل ، واتصال الرياسة ، وكرم المحتد والفعال . كما سعى السفراء من الحكماء والعلماء في أقوامهم يقيمون ميلهم ويسعون في رشدهم ، عندما تضل حلوم القوم وتطيش سهامهم ، أو يحضون قومهم للثورة بالظلم والضيم .

ومن تلك الأغراض سعي السفراء في فك الأسارى والسبايا ، إذ كانت تتعرض القبائل لحملات المناذرة والغساسنة الذين يرمون إلى إخضاع القبائل وتوطيد سلطانهم عليها ، لذلك سار الشعراء السفراء إلى الملوك يعلنون الولاء والطاعة ويمدحون ويستعطفون لفك الأسراء وإطلاق السبايا .

وكان السعي في السلم من الأغراض التي سار فيها السفراء ، فقد كان ثمة عوامل تاريخية وبواعث اقتصادية وسياسية دفعت العرب إلى الاحتراب والتغاور ، ومع ذلك كرهوا اللجاج في الحروب وسعى سفراؤهم لإطفاء نار الفتن ودفع الشر ، وتلافي القرحة ، وإقرار الأمن . ونجحوا في سعيهم عندما كانت دوافع النزاع غير قوية ، وجذور الخلاف غير عميقة .

وأنهى المؤلف هذا الفصل بالحديث عن وفود القبائل على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد جاءت تعلن ولاءها ودخولها في الدين الجديد ، فكانت هذه الوفود خاتمة السعي السياسي في الجاهلية ، إذ أشرقت الجزيرة بنور الإسلام ، فكان فجر عصر جديد .

وكان الحديث في الفصل الثاني عن سفارات العرب خارج الجزيرة ، وتوزعت هذه السفارات بين الفرس والروم والأحباش . ولاحظ المؤلف أن الفرس والروم اصطنعوا المناذرة والغساسنة لحماية ثغورهم من غارات القبائل العربية وحماية تجارتهم المارة في أرض العرب ، فأمدوهم بالعون ومنحوهم الألقاب والعطايا . وأدرك الأمراء الأقوياء من الغساسنة والمناذرة الدور الخطير الذي يقومون به ، فأرغموا حلفاءهم من الروم والفرس على رفع أعطياتهم وزيادة امتيازاتهم ، وفرض الأتاوي لهم ، إذا ما ظهروا على خصومهم ، وكان لبعضهم مكانة كبيرة لدى أباطرة الروم وأكاسرة الفرس .

واستخدمت الإمبراطوريتان العظيمتان الدين وسيلة لتسرب نفوذهما إلى جزيرة العرب ورعاية مصالحهما فيها، فشجع الروم النصرانية ، وسعى الفرس إلى تأييد اليهودية، واقتتل العرب في هذه العقائد .

وكانت قريش سيدة التجارة العربية ، سارت قوافلها إلى الشام واليمن وفارس لذلك حرصت على الحياد تجاه الصراع بين الفرس والروم ، وسعى سفراؤها إلى عقد الصلات وإبرام المعاهدات التجارية مع الفرس والروم والأحباش .

ودفعت السنون الشديدة سفراء القبائل البدوية إلى الوفادة على أكاسرة الفرس ، يلتمسون الأذن بدخول ريف العراق ، والتربع فيه ، فأذنوا لهم حيناً ومنعوهم أحياناً .

ولوحظ أن التكوين القومي أخذ في الظهور في وعي الناس في أواخر العصر الجاهلي ، وتبلور ذلك الشعور في فجر الإسلام ، فتوحدت قبائل العرب تحت راية الدين الحنيف .

وتناول المؤلف في الفصل الثالث الخصائص السياسية والفنية للسفارة . فرأينا في الخصائص السياسية أن السفراء العرب اتسموا بفهم عميق لقضايا السياسة الرئيسة في عصرهم ، إذ نفذوا إلى جوهر العلاقة بين السلم والقوة ، وعرفوا أسباب بناء الأقوام وبقائها ، وأسباب هلاك الأمم وفنائها ، وغلبت على سفاراتهم الكياسة، والدهاء ، وسعة الحيلة ، وحسن التأتي للأمور ، وصدق النظر في العواقب .

وقدم المؤلف في الخصائص الفنية دراسة تاريخية نقدية لنشوء شعر السفارة وتطوره ثم تواريه . وعرض لقضية الوحدة في القصيدة الجاهلية ، فقدم دراسة نصية لعدد من قصائد السفارة ، خلص فيها إلى وحدة الجو النفسي في القصيدة ، وإلى تماسك بنائها الفني ، واستخدم الأغراض المختلفة في إغناء الغرض الأساسي .

وبعد ؛ فكتاب السفارة السياسية دراسة جادة رصينة لظاهرة تاريخية سياسية أدبية ، جلت حقيقة الحياة الجاهلية ، وصورت العلاقات الاجتماعية والسياسية في تبدلها وتغيرها ، فضلاً عن احتواء الكتاب على مادة غزيرة لدراسة الجوانب العقلية والروحية والنفسية للإنسان العربي، وهو يعيش مرحلة تاريخية خصيبة اتسمت بالاضطراب والفوضى ، وانتهت بانهيار النظام القبلي ونشوء الأمة ببزوغ فجر الإسلام .

اقرأ في الأعداد القادمة

* الدراسات

– من قضايا الحرف : التصنيف والتصحيف .... أحمد السواحلي

– الرئاسة في قبيلة زهران.................. إبراهيم الزيد

– Discussions on orentalism in Contemporary Saudi Arabia .... قاسم السامرائي

– دور السريان في نقل التراث الفلسفي والعلمي اليوناني إلى العربية .... محمد خير البقاعي

– سلوك المدرسين الباحثين التونسيين في العلوم .... عبدالمجيد بوعزة

– التقنية المعلوماتية المستخدمة في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية .... محمد إبراهيم السويل

* نصوص تراثية محققة

– رسالة في (أي) لعثمان النجدي .... حسان فلاح أوغلي

– الخاطريات لأبي الفتح عثمان ...... عبدالفتاح السيد سليم

* الببليوجرافيات

– الأدب الشعبي – قائمة مختارة .... عبدالحميد حسانين حسن

* الكشافات

– كشاف بالمقالات في الدوريات السعودية المتخصصة في المكتبات والمعلومات ١٣٩٠ – ١٤١٠ .... عبدالحميد حسانين حسن

* المراجعات

– كتاب الإملاء المختصر في شرح غريب السير للخشني .... عبدالإله نبهان

– الديباج لأبي عبيدة .... محمد أحمد الدالي

– معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير .... شوقي أبوخليل

– كتاب الملل والنحل............ أحمد شحلان

* اعلام المؤلفين العرب

– البغدادي – حياته ومؤلفاته .... محمود فجال

* النشر العلمي في أفريقيا

– نماذج من إصدارات الجامعات الأفريقية في التسعينات

* أخبار ثقافية

* الرسائل الجامعية

* كتب صدرت حديثًا

اللغة العربية الفصحى

جدة اللغات الهندية الأوربية وأصل الكلام

تأليف: تحية عبدالعزيز إسماعيل

عرض ودراسة : يحيى الكيلاني

(القسم الثاني)

Ismail , T.A / Classic Arabic as The Ancestor of Indo - European Languages and Origin of Speech . - Cairo : AL Ahram Press , 1989 .

٢١ - «أوصاني خليلي : قل الحق ولو كان مراً» ابو ذر الغفاري

الكاتبة تمتلك آلة لغوية أجنبية راقية جدًا ، ويخيل إلي بعد أن قرأت لها باللغتين أن الكتابة بالإنجليزية أسهل عليها من الكتابة بالعربية . وتتمتع المؤلفة أيضًا بحس لغوي رهيف نادر يسمح لها باكتشاف العلاقات بين الكلمات المختلفة بسهولة ويسر ، والحق أنّ المناقشات اللغوية والصرفية والنحوية التي جاءت بها تدل على أن بضاعتها من هذا العلم ليست كبيرة ، وهذا لا يعيبها مطلقًا . كل أفراد جيلنا يعرفون الكاتب العربي الكبير الذي كان يعرض مقالاته وكتبه على صديق له أزهري ، قبل أن يطبعها ويخرجها للناس . إن ذلك لم ينقص من قيمة أدبه ، ولا من مكانته بين الناس . ومات الأديب الكبير وربما مات صديقه أيضًا ، ولم يعرف اسمه معظم قراء هذا الأديب الكبير . إن الاستعانة بمتخصص ليس ضعفًا بل هو قوة .

٢٢ - الوجه الآخر للحقيقة

* اللغات المهاجرة فقدت الرمزية الصوتية .
* اللاتينية المهاجرة فقدت ثلاثة عشر ساكنًا .
* الانجلق المهاجرة فقدت تسعة سواكن .
* المصرية القديمة فقدت بضعة عشر ساكنًا .
* اللغات المهاجرة فقدت الأوزان .

عشرات الحقائق المختلفة ساقتها لنا المؤلفة من غير أدنى وقفة للتفسير أو التعليل .

لماذا يهجر الابن الآلة التي استعملها أبوه سواء أكانت هذه الآلة مادية أم معنوية ؟

إذا نسي الولد كلمة يعرفها أبوه أو جدّه فلماذا ينسى حرفا استعمله كل منهما ؟

هذه أسئلة لا يمكن المرور بها مرور الكرام في دراسة كالتي بدأتها المؤلفة ، ولكنها فعلت ذلك من غير أدنى نظرة في التحليل أو التعليل .

إن التسليم بهذه الحقائق يقتضي منا الاعتراف بأن اللغة العربية كانت قبل خمسة عشر ألف سنة على الأقل لغة كاملة الأصوات والمخارج والحركات والأوزان والرموز ،

---

* إلى القارئ الكريم : استعملت هذين الاختزالين لكثرة تكرارهما في هذه الدراسة : الإنجليزية القديمة : الانجلق ؛ الإنجليزية الحديثة : الإنجلح .

وهذا أمر إذا لم يرفضه العقل حمية وتعصبًا ، فإننا لا نملك دليلاً واحدًا على صحته مهما كان صغيرًا .

إذا عدنا إلى الحقائق التي ذكرتها المؤلفة وحولناها إلى أسئلة ، فإننا لن نجد جوابًا شافيًا ؛ بل إن التسليم بما جاء فيها يقتضي منا افتراض حدوث كوارث اجتماعية واقتصادية ولغوية لا يتسع لها عقل بشر ، ولا يوجد دليل عقلي واحد يؤيدها ، إن القنبلة الذرية لم تجعل أهل هيروشيما ينسون حرفًا واحدًا من حروف أبجديتهم !!

وإذا افترضنا أن ذلك كان بسبب احتكاك القبائل المهاجرة مع شعوب أخرى ، كانت لغتها أقوى من لغة هذه القبائل وأرغمتها على هذا الفقدان ، فستفقد فرضية المؤلفة قيمتها التي جاءت هذه الدراسة للبرهان عليها : وهي أن اللغة العربية أصل الكلام . ثم إن هذا الافتراض يمكن أن يرد عليه بطريقة أخرى ، المنتصر عسكريًا وحضاريًا هو الذي تنتصر لغته .

أين يحتمل أن يكون الخطأ إذن ؟

لم يبق إلا أن يكون الخطأ في فرضية المؤلفة نفسها ، هل يعقل أن تكون اللغة العربية بهذا النضج المدهش في تلك المرحلة الموغلة في القدم من عصور ما قبل التاريخ ؟

والآن سنعيد طرح المشكلة على شكل سؤال : هل ما ذكرته المؤلفة هي حالة خسارة وفقدان أو حالة هجرة في مرحلة من مراحل تطور اللغة ؟ .

كل قوم حملوا معهم من اللغة بمقدار ما كان موجودًا وقت هجرتهم ، وهذا المقدار نفسه الذي حملوه معهم خضع للتغيير والتبديل بسبب تغير البيئة والمناخ والظروف الاقتصادية ... إلخ .

هذا الافتراض يعلل لنا سبب تغير مقدار الخسارات بين لغة وأخرى .

لست أدعي بأني طرحت حلا ، ولكني أطرح سؤالا جوابه عند المختصين ، وهو سؤال يجعل فرضية المؤلفة أقرب للتطبيق والتعليل .

٢٣ - لمحات

المؤلفة بذلت جهدًا كبيرًا مضنيًا في تتبع أصول الكلمات والأسماء والأفعال وتغيراتها ، وإذا أحس القارئ أحيانًا بشيء من التعسف في التعليل ، كالدورة التي أخذتها مثلا كلمة grand father عن كلمة جد العربية (راجع ص١٤) ، لو أنصف القارئ لوجد أنه تعسف لا يستطيع إلا أن يحترمه حتى ولو اختلف معه ؛ لأنه يقدم لك الدليل الذي إذا لم يستطع أن يبرهن لك أنه مقنع ، فإنك لا تستطيع أن تقيم الدليل على أنه غير مقنع أو غير صحيح !

ولا تنس أن الحديث يدور عن أمر حصل قبل سبعة آلاف سنة أو عشرة آلاف ، ولا شك أن التطورات التي أصابت الكلمات ليست هينة . إن الاقتراب من الحقيقة أو مجرد تخمينها يعد في مثل هذه الحالة عملاً عظيمًا ، ولا يطمع الباحث في تطابقات كما يتطابق مثلثان في الهندسة.

قالت المؤلفة في الصفحة (٢٨٩) في الملحق العربي من كتابها إن ٨٠٪ من أفعال اللغة السكسونية و ٧٥٪ من أفعال اللغة اللاتينية من أصل عربي . ولو أخذت المؤلفة ٤٠٪ لكان ذلك كافيًا .

المطلوب أن نقيم دليلاً علميًا على الصلة القديمة بين هذه اللغات ، وأن ثلاثين أو أربعين بالمئة كاف لإقامة هذا الدليل ، ونترك الكلمات الصعبة التي أصابها تبديل عظيم لتكون موضع نقاش بين العلماء في مجالسهم الخاصة . أهدف من وراء ذلك إلى توسيع قطاع القراء الذين يخاطبهم الكتاب . الكتاب مخصص لمخاطبة العقل الغربي ، هذا صحيح ، ولكن هذا لا يمنع أن يقرأ في الشرق ؛ بل إنه طبع في مصر ، ووزع في مصر ، أي طبع ووزع بين الذين لم يكتب لمخاطبتهم . ولكن الأهم من ذلك أنه حتى في العالم الغربي فإن المختصين باللاتينية والانجلق قلة ، والمختصين بالدراسات اللغوية المقارنة أكثر قلة ، أي أن الكتاب في النهاية لن يخاطب إلا بضع عشرة مئة من الرجال أو بضعا وعشرين ، ومن الظلم الفادح أن تقتصر هذه الدراسة المجهدة على هذا العدد القليل من القراء .

لقد أثبتت الكاتبة في أكثر من موضع من كتابها أنها قادرة على نقل الأفكار العلمية الجافة بأسلوب رائق ومشوق ، يرضي العالم ويشد القارئ العادي ، راجع ما كتبته عن أنواع الحياة المختلفة ، وما كتبته عن «اللجة للرجال» ، وما كتبته عن تتبع كلمة عربية يحتمل أنها انتقلت إلى الانجلق ، وما كتبته عن الحياة البحرية للقبائل الهندية والأوربية ، وما كتبته عن الجهات الأربع ، وما كتبته عن اللغة المصرية القديمة ... إلخ ، لو حافظت المؤلفة على هذا الأسلوب لجاءت بأمتع دراسة لغوية مقارنة يمكن أن

تقع عليها عين قارئ عربي أو غربي .

لقد قلت رأيي ، ولكني أحترم رأي المؤلفة وطريقتها ، وإني ليحضرني بقايا ما أذكره من قول ابن رشيق القيرواني : ما فعلت أمرًا ثم عدت إليه بعد مدة إلا قلت ، لو فعلت كذا لكان أحسن ، ولو بدلت كذا بكذا لكان يستحسن ، ويخيل إلي أن ذلك من طبيعة النقص الذي جبل عليه البشر.

٣٤ - ملاحظات عامة

إلى هنا نرى بأننا وفينا الكتاب حقه ، وصار بوسعنا أن نناقش المؤلفة في بعض الأخطاء والملاحظات التي وردت في كتابها ، ونقول سلفًا إن هذه الملاحظات هي على سبيل المثال وليست على سبيل الحصر ، ونقول سلفًا أيضًا إن هذه الملاحظات هي بالدرجة الأولى على ما يتعلق باللغة العربية ، أما ما يتعلق باللغة الإنجليزية القديمة واللاتينية وبقية اللغات القديمة الأخرى فلا أملك المراجع ولا المقدرة العلمية التي تسمح باكتشاف ما فيها من أخطاء إن وجدت ولعله من الإنصاف أن نلفت انتباه القارئ إلى أن هذا الكتاب موجه أصلاً إلى القارئ الغربي ، ولذلك قد تجد فيه شروحات بسيطة لا يحتاج إليها القارئ العربي .

(١) الكتاب فيه قدر من الأخطاء المطبعية لا يسمح بمثله ولا بمقداره في كتاب علمي من هذا النوع . وسنشير إلى بعض هذه الأخطاء حيث تتعلق بموضوع المناقشة .

(٢) جرت العادة في المؤلفات الإنجليزية أن الكلمات والمصطلحات التي تتكرر كثيرًا توضع لها في بداية الكتاب أو نهايته قائمة توضح اختزالات واختصارات هذه الكلمات وقد وضعت المؤلفة في بداية كتابها قائمة بثلاثين اختزالاً مثال : Old English اختزالها O.H ، وجرت العادة أيضًا أن يختزل الكاتب كلمة طويلة تتكرر أكثر من مرة في مقطع أو صفحة واحدة ، وليست واردة في قائمة الاختزالات مثلا : كلمة demonstration يمكن اختزالها كما يلي *dem ، ولكن لا بد في هذه الحالة من شرطين :

الأول : أن تكون الكلمة مذكورة بكاملها في المقطع مرة واحدة على الأقل .

الثاني : أن توضع بعد الاختزال نقطة أو إشارة تنبه القارئ إليه .

ولكن المؤلفة كثيرًا ما عمدت إلى الاختزال في غير قائمة المصطلحات ، بدون إشارة ، وبدون أن تكون الكلمة مذكورة سابقًا في النص . وإذا كانت بعض هذه الاختزالات يمكن تتبعها بسهولة من سياق النص ، كما في الصفحة ٨٨ مثلاً ، إذ وضعت def art ، وهي تعني definite article ، فإنها استعملته أحيانًا أخرى بحيث لا يمكن للقارئ أن يحدد المعنى الذي تريده إلا بصعوبة ، وأحيانًا بصعوبة بالغة .

(٣) في الصفحة ٨٨ نفسها ، قارنت المؤلفة بين تركيب جملة في اللاتينية والإنجليزية الحديثة والعربية والإنجليزية القديمة : Laen ya-Siyh a-diyc al-yawm

أ - العربية : لن يصيح الديك اليوم .

ب - اللاتينية : Non contabit hodie gallus

ج - الانجلق : Ne craewwp the hana to-dag

د - الانجلع : the rooster will not crow today

وقالت إن تركيب الجملة هو نفسه في العربية والإنجليزية القديمة (الانجلق) ، ما عدا أن العربية عرفت الظرف (اليوم) بأداة التعريف ، بينما اكتفت الانجلق بوضع الأداة To قبله ، وقالت إن تركيب الجملة كما يلي : neg + V + NP + NP as adv إن الاختزالات في هذا المقطع من النوع الذي يسهل على القارئ متابعته ، واختزالها NP يعني noun propre ، أي اسم علم أو اسم معرفة ، والمقصود به هنا المعرفة . إن القضية ليست في هذا ، ولكن في طريقة تحليلها للجملة : نفي + فعل + اسم معرف + ظرف معرف .

إن تحليل تركيب الجملة السابقة يجب أن يكون كما يلي : نفي + الفعل + الفاعل معرفا + الظرف معرفا .

(٤) في الصفحة ٨٨ ، وفي المثال السابق بالذات :

أ - كتبت (لن) كما يلي : laen

ب - كتبت يصيح كما يلي : ya-Siyh

ج - كتبت (لم) كما يلي : lam

إن مقدار الفتحة هنا متساو في الكلمات الثلاث ، وبخاصة في (لم ، لن) ، ومع ذلك فقد رسمت الفتحة بطريقتين مختلفتين ، ثم عادت المؤلفة في الصفحة ٨٧ السطر ٢١ ورسمت (لم) بهذه الصورة (laem) .

إن هذه الاختلافات تجعل القارئ يشعر بأن الكتاب لم يراجع جيدًا ، وأن المؤلفة ليست لديها خطة ثابتة لرسم الكلمات العربية بالرموز اللاتينية . سنكتفي بإيراد هذه الملاحظة التي تتكرر عشرات المرات ، ولن نعود إليها ، إلا إذا كانت توجد إضافات مهمة على الفكرة .

(٥) قالت المؤلفة في ص٨٨ (الفصل ٧ – فقرة ١٢) في سياق تحليلها لـ (ما) النافية : «إنها أقوى حروف النفي في العربية ، وفيها الميم أشد الحروف الخيشومية ثقلاً ، وفيها الألف أكثرها انخفاضًا ، وأقل الأصوات حركة ، وهي تستعمل للنفي البات القاطع ... إلخ» ؛ وأنا لا أعارض المؤلفة فيما ذهبت إليه ، ولكن أذكرها بمعنى النفي القاطع الذي ذكرته عن (لن) في المثال الأسبق في الصفحة نفسها . كنا ونحن أطفال إذا قولنا بنفي قاطع يقولون لنا: نون ولم يقولوا لنا (ميم) ، أي أن النون مخصصة للرفض القاطع في إحدى اللهجات على الأقل . أنا لا أعارض المؤلفة ، ولكني أذكر هذه القصة لتأييد رأيها في حمل الحروف المفردة لمعان معينة .

إذا أخذنا بهذا الاحتمال ، فإن حروف النفي في الإنجليزية القديمة (na-no-ne) ، ومركباتها لم تتعرض لتبديل خشن مع الميم في (ما) العربية ؛ بل هي متساوية تمامًا مع إحدى اللهجات العربية على الأقل .

(٦) في الصفحة ٩٠ السطر السادس ، وفي سياق حديثها عن فعل الأمر العربي ، قالت : in direct commend the infectional affix comes before the verb to show to whom such a command should go .

إن كلمة (affix) يمكن أن تعني «لاحقة» في آخر الكلمة ، ويمكن أن تعني «سابقة» في أول الكلمة (راجع أكسفورد والقاموس العصري) ، وقد كان جديرًا بالمؤلفة ، وهي الضليعة باللغة الإنجليزية أن تختار كلمة أخرى ليست من كلمات الأضداد التي تحتمل وجهين ، ومع ذلك سنناقش معنى الجملة في الاحتمالين :

أ – إذا اعتبرنا كلمة (affix) بمعنى سابقة ، تصبح ترجمة الجملة كما يلي : في الأمر المباشر تأتي السابقة قبل الفعل ، لتبين الجهة التي يتوجه إليها الأمر .

في اللغة العربية ليس عندنا سابقة أمرية غير لام الأمر وهي تدخل على المضارع وتعطيه معنى الأمر ، وهي لا تحدد مخاطبًا معينًا ؛ بل تستعمل لكل حالات المخاطب.

ب – إذا اعتبرنا كلمة (affix) بمعنى لاحقة تصبح ترجمة الجملة كما يلي : «في الأمر المباشر تأتي اللاحقة قبل الفعل لتبين الجهة التي يتوجه لها مثل هذا الأمر» .

هذا الكلام غير صحيح عندنا في العربية ، واللاحقة النحوية التي تحدد الجهة التي يتوجه إليها الأمر هي عندنا ضمير متصل يأتي في آخر الفعل وليس قبله : اذهبي ، اذهبا ، اذهبوا ، اذهبن ، وهذا الضمير لا غنى عنه في العربية إلا في حالة المخاطب المفرد المذكر .

ما زبدة هذا الكلام وما المخرج منه ؟ هل كلمة (قبل = before) هي غلطة مطبعية ؟

إذن سامح الله المؤلفة على ما جشمته لقارئها من مشقة ، ثم إن هذا الاحتمال لا يمكن البت فيه قبل العودة إلى المؤلفة نفسها .

(٧) الصفحة ٩١ سطر ٩ : المصرف يسرق

Al-misraf usraq

أ – نسيت المؤلفة أن رمز الصاد هو (S) بالحرف الكبير.

ب – نسيت المؤلفة أن رمز الياء هو (Y) .

هل هي غلطة مطبعية أو سهو من المؤلفة . هذا مثال من عشرات ولن نعود إليه مرة أخرى .

(٨) الصفحة ٩١ سطر ١١ قالت المؤلفة ما يلي :

the posision of SV in CA is significiant on the level of SS and contributes to the semantic content as in this example .

وترجمة ذلك أن «حالة الـ (SV) في العربية مهمة على مستوى الرمزية الصوتية وتتصل بالمضمون المعنوي كما في هذا المثال» .

ان اختزال (SV) لم يرد في قائمة اختزالات المؤلفة ولم يسبق لها أن استعملته في هذه الفقرة من الفصل ولا في ما سبقها ، وسيفهم القارئ بعد تأمل طويل أو قصير أنها تعني به الجملة الفعلية ، وقد يكون له عندها دلالة أخرى غير ما قدرته . وإذا كان تفسيري صحيحًا فإن الاختزال يجب أن يكون (VS) ؛ لأن الصفة تأتي قبل الموصوف في الإنجليزية . إن راحة القارئ لم تكن أبدًا موضع اهتمام في هذا الكتاب .

(٩) الصفحة ٩٠ – ٩١ : حديث المؤلفة عن المبني للمجهول لا علاقة له بالسمات المشتركة بين اللغات التي

تقارنها المؤلفة مع بعضها ، ومثل ذلك في الكتاب كثير ، بحيث لو أخذت هذه الفكرة باهتمام ، لأمكن اختصار حجم مهم من الكتاب دون الإخلال بموضوعه الأصلي .

نحن نعلم أن الكتاب موجه أصلاً إلى القارئ الغربي وليس للقارئ العربي ، ولكن هذه الموجزات لا تغني المتخصص منهم ، ولا تهم غير المتخصص ، ما دامت لا تدخل في صلب المقارنة موضوع الكتاب . وسنجد هذه الفكرة على نطاق أوسع في باب الأوزان .

(١٠) الصفحة ٩٤ سطر ١ - ٢ جاء ما ترجمته : «وحتى قبل ذلك كانت توجد في اللاتينية صيغ أخرى فيها (C-N) » .

أحيانًا يضيع ما نسميه عائد الضمير ، وبسبب طول الجملة أحيانًا أخرى - هذه الثانية أخف من الأولى - ويقف القارئ حائرًا :

(c) في قائمة الرموز العربية = ك

(n) في قائمة الرموز العربية = ن

بالإضافة إلى أن كل واحد منهما رمز لصوته المعروف في لغته . أي الرمزين تريده المؤلفة ؟

إن هذه القضية تتكرر عشرات المرات ، وهي من أشد ما يلاقيه قارئ هذا الكتاب من مشقة في عشرات المواضع ولقد كان مما يريح القارئ كثيرًا أن تجعل الحروف اللاتينية الرامزة لحروف عربية بحرف طباعي يختلف عن الحرف اللاتيني ، والذي يمكن أن يبقى بحرف طباعة الكتاب .

(١١) الصفحة ٩٤ سطر ١٥ جاء في حديث المؤلفة عن فعل (كان) العربي : «إن هذا الجذر لا يوجد في اللاتينية ولكن يوجد مضعفه (كأن) على صورة (nosco) . الهمزة المتوسطة قلبت إلى (sc) كما يحدث غالبًا في اللاتينية» .

أ - أي عالم من علماء العربية أو أي مرجع من مراجعها يسلم للمؤلفة بأن (كأن) توأم أو مضعف لفعل كان التامة أو الناقصة ؟ هل انساقت المؤلفة وراء تشابه الحروف ؟

إن الأولى حرف والثاني فعل ، وتحليل (كأن) عند علماء العربية أنها من حرفين : كاف التشبيه مع أن التوكيدية .

ب - إذا سلمنا للمؤلفة بما ادعته ، وقارنا بين (كأن) وبين (nosco) فما الذي بقي مشتركًا بين الفعلين ؟ ، لم يبق إلا النون التي تقدمت في اللاتينية على حد قولها وضعية متقدمة ، فهل يكفي ذلك للحكم على قرابة كلمتين ؟

إن محاولة الربط والتعليل تصل هنا إلى حد التمحك الذي يسيئ إلى البحث أكثر مما يخدمه . إن المؤلفة تتحدث عن أمر حصل قبل عشرة آلاف سنة أو تزيد ، وليس من الضروري أن نقيم الدليل على تواصل كل كلمة بين اللغتين . وبدلاً من أن نقيم الدليل على وجود سبع مئة مشترك مثلاً ، لتكن خمس مئة أو أقل ، فإن ذلك كاف علميًا على إقامة دليل الصلة بين اللغتين .

إن أمثال هذه التمحكات كثيرة في الكتاب إلى درجة تحتاج في رأينا إلى إعادة نظر إذا طبعت المؤلفة كتابها مرة أخرى .

(١٢) الصفحة ٩٧ سطر ١٧ : تحدثت المؤلفة عن زيادة (ا - س - ت) في بداية الفعل العربي والمعاني القوية المتعددة التي تضفيها هذه البادئة على الفعل العربي ضربت المؤلفة المثال التالي : (Safae - estafa) ، سنترك جانبًا طريقة رسم الألف في آخر الفعلين وهما متساويتان صوتيًا ؛ لأننا سبق وأشرنا إلى ذلك ، وسنترك أيضًا أنها نسيت أو تناست أن رمز الصاد العربية هو (S) بالحرف الكبير وليس بالحرف الصغير ، ونقول لها إن كتابتها الفعل العربي بحروف لاتينية على هذه الصورة (estafa) قد غررت بها وجعلتها تظن أنه على (استفعل)، وحقيقة وزنه هي (افتعل) ، والزيادة في اصطفى هي الألف والتاء ، (اصتفى) ، والزيادة هنا بحرفين وليست بثلاثة ، وحرفا الزيادة هما الألف والتاء ، التاء المزيدة قلبت إلى طاء وفقًا لقواعد الإبدال العربية . وإجماع النحويين العرب لا يترك مجالاً لأي عذر أو منفذ لاعتذار .

(١٣) الصفحة ٩٧ سطر ١٨ وفي آخر حديث المؤلفة عن وزن استفعل وأنه موجود في الإنجليزية القديمة (est-off) ، وفي الإنجليزية الحديثة (stuff) وفي الفرنسية (etoffe) لن نعيد الحديث عن وزن (افتعل) ، وأنه الوزن الحقيقي لـ (اصطفى) الذي تقول المؤلفة إن هذه الأفعال من أقربائه ، أو وزن (استفعل) الذي خصصت الفقرة (٢٢/٧) كلها للحديث عنه ، ولكننا نسأل : هل يكفي مثال واحد للدلالة على قيام مثل هذه القرابة بين أوزان الأفعال في العربية واللاتينية والانجلق والانجلج ؟

أو أن عند المؤلفة أمثلة أخرى لم تذكرها حرصًا على حجم الكتاب ، ولن نقول لراحة القارئ؟

هذا الاحتمال لم تذكره المؤلفة ، وفي رأينا أن هذه النقطة مهمة جدًا ، بل في غاية الأهمية ؛ لأنها ستعتمد على هذه الطريقة في عشرات المواضع . نحن نطرح سؤالاً ونعرف سلفًا أن جوابه ليس عندنا بل عند المؤلفة وعند المختصين .

(١٤) الصفحة ٩٧ سطر ٢٢ ، وفي حديث المؤلفة عن بادئة التاء العربية والمعاني – أو القوى المختلفة على حد تعبيرها – التي تضفيها التاء الزائدة على بداية الفعل العربي ، ضربت المؤلفة الأمثلة التالية : تباعد – تكسر – تناثر – ترتب – تلاعب .

وبغض النظر عن طريقة رسم المؤلفة للتاء المفتوحة ، مرة (tae) ومرة (ta) ، فمن الواضح من الأمثلة السابقة أن الزيادة ليست بالتاء وحدها ؛ بل هي بالتاء والألف مرة، وبالتاء والتضعيف مرة أخرى ، وبالتالي فإن الزيادة التي أصابت مضمون الفعل المجرد ، ليست نتيجة للتاء وحدها ؛ بل هي نتيجة للتاء وما شاركها في الزيادة . وكان جديرًا بالمؤلفة أن تشير إلى ذلك .

(١٥) الصفحة ٩٧ سطر ٣٢ وفي آخر حديث المؤلفة عن بادئة التاء العربية قالت : إن بادئة التاء لها في الانجلق المقدرة نفسها تقريباً ، ثم ضربت الأمثلة الآتية :

to beran - to burstan - to bream - to driffan

وليس موضوع سؤالنا أن التاء العربية مفتوحة والإنجليزية مضمومة ، ولكن سؤالنا هو التالي : هل (to) في بداية الأفعال الإنجليزية القديمة هي من أصل الفعل ؟ أو لصيغة الفعل غير المحددة (infinitive) ؟ ؛ إذا كانت (to) لصيغة الفعل غير المحددة فإنها لا تعني شيئًا مما ذهبت إليه ؛ لأنها لا تدخل في تصريف الفعل ، أما التاء العربية المزيدة فإنها تصبح جزءًا من الفعل وتدخل في كل التصريفات والأزمنة .

(١٦) الصفحة ١٠٠ – ١٠١ ، وبعد أن تكلمت المؤلفة عن البادئة العربية (مَ) ودورها الكبير في إنتاج الكلمات العربية ، قالت إن (مَ) لم تبق بادئة في اللغات الأوربية ، بل اختلطت بالكلمة التي دخلت عليها وصارت جزءًا منها ، فنجد صيغًا تبدأ بها ، وصيغاً لا تبدأ بها ، ولكننا نجد آثارًا تدل على أنها كانت موجودة ، ثم تبدأ بسرد أمثلتها:

الانجلق : edel ، العربية : عدل أو عادل . السؤال : أين الميم في المثالين ؟

الانجلق : madel ليس لها مقابل عربي

اللاتينية : mens العربية كما كتبتها (mur) ، لم أجد (مور) ولا (مر) في العربية بمعنى (mind) الذي ذكرته الكاتبة ، ولكن أين الميم المفتوحة في العربية ؟

(١٧) الصفحة ١٠١ ؛ الفعل كَبَّر cabara ، بمعنى نما فعل لازم .

الفعل كبر بفتح الفاء والعين ليس لازمًا ؛ بل هو متعد، يقال : كَبَرَ فلانًا بالسن ، أي زاد عليه ، أما اللازم فهو كبِر بفتح الفاء وكسر العين .

(١٨) الصفحة ١٠٨ السطر ٨ ، وفي سياق المقارنة بين فعلي (درج) و (درك) قالت : «لأن الكاف في الرمزية الصوتية تعني الهبوط والسفل» .

إننا مع تقديرنا الكامل لما تقوله المؤلفة عن الرمزية الصوتية التي تحدث عنها اللغويون العرب من أيام ابن جني وقبله أيضًا ، فإن ما قيل في هذا الباب لا يعدو أن يكون أقوالاً نسبية احتمالية لم تصل إلى درجة اليقين والقطع ، ولذلك فإننا نجد أمثلة على صحتها وثباتها بقدر ما نجد أمثلة تدل على ما فيها من قلق وعدم استقرار .

إذا كانت الكاف تدل على الهبوط والسفل فقط ، فكيف نعلل وجودها في كلمة فلك ؟ ، وفي كلمة ملاك ؟ وفي كلمة سماك وهو نجم عالٍ في السماء ؟ ؛ لاحظ معي أيها القارئ الكريم إنني اخترت عامدًا كلمات تنتهي بالكاف ؛ لأن المثال الذي ضربته المؤلفة ينتهي بها . ولنا بعد ذلك أن نسأل عن وجودها في فعل مثل (كبر) و (كثر) .

وما دمنا قد بدأنا الحديث هنا عن الرمزية الصوتية فلنكمل حديثنا عنها هنا .

ذكرت الكاتبة في الصفحة ٢٥٣ من فصل الرمزية الصوتية عند حديثها عن حرف الخاء ، أنها تستعمل أكثر ما تستعمل للدلالة على أن أمرًا يجري خطأ ماديًا أو معنويًا أو مجازيًا ، كما تستعمل للدلالة على الرخاوة والقذارة ... إلخ .

أقول هذا صحيح ، ولكن ما معنى الخاء في كلمة (خير) مثلاً ، وفي كلمة (خيل) وهي من أكرم المخلوقات وأغلاها عند العربي ؟ هذا في أول الكلمة ، فإذا نظرنا إليها في وسط الكلمة نجد بخار – بخور – رخاء – زخر ،

وفي آخر الكلمة نجد : رخ - زخ - ونجد أخيرًا ، وليس آخر - بخ بخ - وهو التعبير الشهير الذي استشهدت به المؤلفة في باب أصوات التعجب ، وهو يدل في العربية على الرضا والإعجاب والفخر .

هل الرمزية الصوتية صحيحة ؟ ؛ الجواب نعم ، ولكن إلى حد ما ؛ لأنك يندر أن تجد في الرمزية الصوتية معنى لحرف في كلمة لا تجد نقيضه أو غيره على الأقل في كلمة أخرى .

إن ما جاء به مشايخنا الأوائل في الرمزية الصوتية يعد معجزًا بالمقارنة إلى زمانهم ، ولكن لغويينا لم يضيفوا إلى ذلك شيئًا يستحق الذكر ، والأمر يحتاج إلى أبحاث عميقة لم يتصد لها أحد حتى الآن مع الأسف .

(١٩) الصفحة ١١٦ سطر ٩ قارنت المؤلفة بين كلمة (عريض) العربية وكلمة (largus) اللاتينية ، قالت إن اللاتينية بدلت العين العربية إلى (l) ، كما بدلت النهاية العربية القوية (ض) إلى (g) .

نعود إلى قضية المثال الواحد ، ونعود إلى الشروط التي وضعتها لتكون كلمتان قريبتين لغويًا أن تحتويا على الحروف الساكنة نفسها ، وهاتان الكلمتان لا تحتويان على الحروف الساكنة نفسها ، أما البدائل فقد أسرفت في الاعتماد عليها بدون تقديم أمثلة كافية .

(٢٠) الصفحة ١٢٦ وفي الجدول التالي :

let us examine some of these foms beginning with /O/

Mod Eng	OE	L	Rom	CA
head , master	peoden	senator	seignor	[sayed-un]

تقول المؤلفة «إن الفرق بين الصيغة العربية (سيدن) وبين الصيغة الانجلق (peoden) هو نتيجة للبدائل التالية : س تبدلت إلى (q) ، ي تبدلت إلى (o) ، بالإضافة إلى حذف أحد الحرفين الصوتيين ، وفي الانجلق الياء يمكن أن تكتب (o) وتلفظ ياء ... إلخ» .

الأمثلة كلها ليس فيها حرف (q) ، والمثال العربي ليس فيه (ق) التي رمزها (q) كما جاء في قائمة رموز المؤلفة . هذا كله يفترض أن (q) خطأ مطبعي وصوابه (p) . هذا نموذج من عشرات النماذج المرهقة للقارئ ، وأرجو ألا يحاسبني أحد على بطء اكتشافي لهذا الخطأ ؛ لأن الخبراء في اللغة الإنجليزية القديمة معدودون ، ولست واحدًا منهم بأية حال .

(٢١) الصفحة ١٢٧ السطر الأول ، قالت : «إذا قارنا بين الفعل العربي (Saffae qa) الذي مصدره (Safqan) ».

إن الفعل الذي كتبته المؤلفة بـ (F) مضعفة هو فعل (صفّق) المضعف وليس فعل (صَفَق) . وبالتالي فإن مصدره هو (تصفيق) وليس (صَفْق) ؛ لأن مصدر فعّل يأتي قياسًا على تفعيل . هذه النقطة ، ونقطة أخرى سنعود إليها مرارًا وهي أن المؤلفة تستعمل المصدر منونًا ، وتدخل نون التنوين في تركيب الكلمة . ومن المعروف أن التنوين حالة إعرابية تلحق آخر الاسم العربي في أحوال معروفة ، عندما يكون داخلاً في جملة ، ولا تلحق آخر الاسم المفرد .

(٢٢) الصفحة ١٢٧ سطر ٤ قالت : «يوجد في العربية فعل (ساح) ومزيده (سوّح) بمعنى الإذابة أو الصهر» .

فعل (ساح) لا يحمل في المعاجم العربية هذا المعنى ، ومن الواضح هنا أنها تأخذ عن العامية المصرية .

(٢٣) الصفحة ١٢٧ وفي الحديث عن الجذر الفعلي نفسه قالت : «ومن هذا الفعل نجد في الانجلق (pam-mian) له صيغة المصدر العربي (سوحن) نفسها ، حذفت الحاء من فعل الانجلق . وهذا الفعل خضع كبقية الأفعال التي قدمناها سابقاً إلى تبديل س بـ ث (O) ، وإلى حذف أحد السواكن الثلاثة في الجذر الفعلي» .

أ - لا يوجد ثاء في الكلمة الانجلق (pammin) ، وإذا كان بعض حروفها يلفظ ثاء فقد كان عليها أن تنبه القارئ إليه .

ب - اعتبرت نون التنوين من الحروف الساكنة الأصلية في الكلمة ، وقد سبق وذكرنا أن التنوين حالة إعرابية . لا تلحق آخر الاسم إلا إذا كان في جملة ، وفي أحوال معينة .

ج - الحاء محذوفة أصلاً كما تقول المؤلفة ، ونون التنوين ليست عندنا من أصل الكلمة ، وحرف العلة ليس له شأن في حسبانها أصلاً ، فماذا يبقى من الكلمة ؟ السين المبدلة إلى ثاء هل تكفي لإثبات القرابة ؟

(٢٤) الصفحة ١٢٧ السطر ١١ ، قالت : «من الفعل سنّ يأتي في العربية (سننتُ) حجر للقطع ... إلخ» . وأقول إن الفعل (سننتُ) فعل ماض للمتكلم المفرد ، وليس حجرًا

للقطع ، واسم الآلة يأتي من هذا الفعل على وزن (مِفْعَل) وهو (مِسَنّ) ، وهو حجر أو أداة لشحذ الأدوات الحادة ، وليس أداة للقطع .

وقالت في شرح مشتقه (سُنَّةٌ) - سنعود إلى أنها بضمة واحدة - بأنه الاستعمال والقانون والـ (cutom) . ولم أعثر على هذه الـ (cutom) في أكسفورد ، ولا في ويبستر ، ولا في القاموس العصري ، فهل هي غلطة مطبعية أخرى ؟ ربما كانت (custom) بمعنى العادة ، وبذلك يستقيم الكلام .

ولا يمكن أن ننهي الكلام عن هذا المثال قبل أن نتحدث عن الضمة الواحدة في (سنةٌ) ، ولم تثبت لها المؤلفة تنوينًا كالذي أثبتته لأمثلة سابقة ، هذا يجعلنا نشعر بأنها تثبت التنوين عندما تحتاج إليه للتقريب بين الصيغتين ، وتتركه حين لا يفيدها ذلك . نسيت ما يسمون هذا الفعل في علم الاستدلال والمنطق ، ولكن أيًا كان الاسم فإنه يوجه طعنة قاتلة إلى دراستها . ولكن الإنصاف يقتضي منا أن نذكر هنا بأنها تستعمل التنوين غالبًا مع المصادر .

في حديثها عن الجذر السابق نفسه (سنّ) ، وبعد أن تحدثت عن (سننتُ) والـ (سنَّةٌ) قالت إننا نجد كلتا الكلمتين في الانجلق . الأولى (stan) بمعنى الحجر ، التي خضعت لحذف إحدى النونين ، وإبدال مكان التاء الأخيرة لتشكل تجمعًا مع الـ (s) الابتدائية ، والثانية (peam) ، ولكنها خضعت لإبدال السين بثاء (A) والـ (هـ) إلى (W) بالتضاد ... إلخ . وهنا يحار القارئ ويضيع المعنى عليه . الكلمات العربية التي ذكرتها المؤلفة ليس فيها (هـ) ، ولا (و) بصورتها العربية ، ولا (w - h) بصورتها اللاتينية ، ولذلك يحق لنا أن نتساءل : عم تتحدث المؤلفة ؟ هل سقط قسم من الكلام أثناء الطبع ؟ أو هل هناك خطأ مطبعي آخر ؟!

(٢٥) الصفحة ١٣٣ سطر ٥ وما بعده ، وفي حديث المؤلفة عن الجذر الفعلي العربي (جرف) و (grefan) في الجرمانية العليا القديمة ، قالت : «إن قريبه اللغوي هو المصدر العربي (جرفن) - لاحظ التنوين - وهو في الإنجليزية الحديثة الانجلج (grave) ، وفي الانجلق (gerefa) وفي الجرمانية (graben) . وقالت إن (جرف) العربية هي قريبة اليونانية (golfos) » . وقالت المؤلفة أيضا - وهنا موضع الاستشهاد - : في الصيغ السابقة - لاحظ ضياع عائد الضمير - حصلت البدائل التالية : v : f / f : b هذا المثال من الأمثلة النموذجية على ورطة القارئ في عدم وضع الرموز بحرفين طباعيين متباينين ، يوضح كل منهما : هل هو رمز لحرف لاتيني ، أو لحرف عربي ؟

الجذر العربي ليس فيه باء ، والجذر الإنجليزي ليس فيه باء ، فالكلام يكون عن ماذا ؟

لا يوجد باء إلا في الصيغة الجرمانية (graben) فقط ، وهي ليست موضع اهتمام المؤلفة ، في هذه الفقرة ، وإذا كانت موضع اهتمامها فلماذا استعملت صيغة الجمع : (في الصيغ السابقة) ونتجنب المزيد من التفصيل لننجو بالقارئ من إطالة لا طائل تحتها .

(٢٦) الصفحة ١٣٣ سطر ٢٠ ، قالت المؤلفة بعد الجدول :

If we compare :

OE	OSp	L	Gr	CA	L
braep	brisa	zaephyrus	Ceovp os	[zafiyr]	spiritus

«الجذر اللغوي للصيغ السابقة كلها في العربية هو (زفر) ، والمضعف من هذا الفعل هو (زفزف) ، وهو يستعمل لحركة الريح التي تداعب الأشجار ، والريح الخفيفة (النسيم) ، ولكن (الزفزف) تستعمل لوصف الريح المستمرة القوية الهبوب .»

إن فعل (زفزف) ليس مضعف (زفر) كما قالت ، ولكنه مضعف فعل (زفّ) ، صحيح أن الفعلين يشتركان في فاء الفعل وعينه (ز ، ف) ، وهذا يدل على أن بينهما قدرًا مشتركًا من المعنى ؛ ، ولكن (زفزف) ليس مضعف (زفر) ؛ لأن لام الفعل تختلف ، والفعل (زفزف) ليس فيه راء . وإذا تمسكت المؤلفة برأيها هذا ، فإنها تسقط كلامها - الذي أكدته وكررته مرارًا - عن الرمزية الصوتية ؛ لأنها تجاهلت حرف الراء ، وأسقطته من حسابها نهائيًا ، وبالتالي أهملت دوره في تحديد معنى الفعل الثلاثي ، الذي تعدّه بكامله جزءا من المضعف ، وهو ليس كذلك . وبقي بعد ذلك شيء مهم : إن الريح الخفيفة فعلها في العربية هو (زفّ) وليس (زفزف) كما ذكرت في بداية الكلام .

(٢٧) الصفحة ١٣٤ سطر ٢٤ بعد الجدول :

OE	OHG	Icel.	L	CA
cnaep	Knoph	knappr	caput	[qobaeh] Or [qobaetun]

قالت المؤلفة : «إن اللاتينية حذفت النون الأخيرة un لتعطي الكلمة نهاية صرفية لاتينية .» وأقول إن نون التنوين أو (un) التي جعلتها المؤلفة في آخر كلمة (قبة) ليست أصلية ، ولكنه تنوين الرفع الذي لا يأتي على آخر كلمة مفردة ، وقد سبق وناقشنا المؤلفة في هذا الأمر ، ولكننا نذكر القارئ الكريم بكلمة (سنةٌ) كتبتها بضمة واحدة مع التاء ، إنها الحالة نفسها بالضبط ، فلماذا كتبتها المؤلفة بنون التنوين مرة ، وبضمة واحدة تارة أخرى ؟ ، وكتبت التاء المربوطة بدون نقاط ولا حركات مرة ثالثة ؟ ، لاحظ أنها كتبت (قبه) بلا نقاط ولا حركات ، ثم تختار الرسم الذي يناسبها لتجعله موضع الدراسة والمقارنة .

(٢٨) الصفحة ١٣٨ سطر ١١ ، وفي نهاية كلامها عن مشتقات فعل (حفّ) قالت : «إن الجذر اللغوي الذي ترجع إليه الصيغ السابقة هو فعل (حفّ) بمعنى كان على حافة الشيء ، علَم الحد ، أحاط ، كسر أو تعدى ... إلخ .»

إن المعنى الأخير من التعدي والكسر لا يأتي من فعل (حفّ) المضعف ، ولكنه يأتي من فعل (حاف) الأجوف ، وفي القرآن الكريم : ﴿ أم تخافون أن يحيف الله عليكم ﴾ .

(٢٩) الصفحة ١٤٠ سطر ١٥ قالت المؤلفة : «إن بعض الكلمات خضع لإبدال بتقديم الباء إلى موقع متقدم ، وبعضها خضع للإبدال والحذف ، ثم ضربت الأمثلة التالية : كتاب - كوبري - كبير .» من الواضح أن الكاتبة تأخذ عن العامية المصرية التي أخذت بدورها عن الإنجليزية أو الفرنسية ؛ لأن (كوبري) بمعنى (جسر) غير عربية ، والجذر الثلاثي (كبر) لا يتضمن هذا المعنى من قريب أو بعيد ، أما الجذر (كوبر) فلا وجود له في العربية أصلاً . وأقصى ما نأخذه من الفعل (كبر) هو النعت (كبير) ، وهو نعت يمكن أن يكون لأي شيء ؟ ، فكيف لنا أن نثبته للجسر وحده ؟ ؛ ثم هل كانت الجسور الكبرى معروفة قبل عشرة آلاف سنة أو تزيد ؟ ، وسنجد مثل ذلك بالضبط في الصفحة ١٤٣ عند حديث المؤلفة عن كلمة (كابورية) إن هذه الكلمة عامية مصرية ليس لها وجود في أي معجم عربي ، وليس من شأن هذه الدراسة أن تبحث عن أصلها، ما دام حديث المؤلفة مخصصًا لما تسميه العربية الكلاسيكية .

(٣٠) الصفحة ١٤٣ سطر ١٥ :

Mod Eng	OE	L	CA
1 - pure	toht	purus	[Tohr]
2 - beard	beard	barba	[bardah]
3 - drink	drincan	bibere	[saeribae]
4 - crab	crabba	cancer	[caboriyah]
5 - dead	dead	mortus	[Maeyet] , [maewt]

في كلام المؤلفة عما أصاب المثال الأخير من الجدول السابق ، قالت : «إن الانجلق بدلت (t) و (t) إلى (d) بالبدائل المحببة أو المفضلة .»

وبما أن كلمة (موت) أو (ميت) ليس فيهما إلا تاء واحدة فلا بد من خطأ مطبعي ، والجملة يجب أن تكون كما يلي : إن الانجلق بدلت كلا من (ت ، م) إلى (d) بالبدائل المفضلة وهذا الكلام يطابق تمامًا المثال الإنجليزي (dead) .

(٣١) الصفحة ١٤٥ سطر ١٦ ، وفي حديث الكاتبة عن الصيغ الوصفية والإسمية في اللغة العربية ، اختارت الفعل (قطع) مثالاً ؛ لأنه يقابل في الانجلق فعل (cut-tan) ، وقالت عنه في السطر السادس عشر : إنه الصيغة غير المحددة للفعل .

والحقيقة أن اللغة العربية ليس فيها صيغة غير محددة للفعل (infinitive) ، وإن هذا الاصطلاح خاص باللغات اللاتينية ؛ لأن صيغة (قطع) تدل على حدوث فعل القطع في الزمن الماضي للمفرد المذكر الغائب ، علاوة على كونها الجذر الفعلي لعائلة (قطع) كلها .

ونضيف أنه ليس من الضروري أن تنطبق كل اصطلاحات لغاتهم على لغتنا ؛ لأن لكل لغة شخصيتها واعتباراتها . وقد وقعت المؤلفة في هذا الشرك أكثر من مرة .

(٣٢) الصفحة ١٤٥ سطر ٢٢ وما بعده ، وفي حديث المؤلفة عن فعل (قطع) ومشتقاته ، قالت :

قطع : الصيغة غير المحددة للفعل .

قطعا : المصدر .

قطَع : فعل القطع .

إن تنوين النصب في آخر المصدر المفرد ، ولا يلحق بآخره إلا إذا وقع في جملة وهو في حالة النصب ، ونحن لا نرى أي فرق بين (قطعا) وبين (قطْع) على النحو الذي جاءت به المؤلفة . ثم إن المشتقات المختلفة التي جاءت بها المؤلفة من فعل (قطع) ليست على نسق معين يوصل القارئ إلى قاعدة ، ولكنها مشتقات مختلفة ، من أفعال مختلفة ، لا يجمع بينها إلا أنها تحتوي على الحروف الأصلية للفعل (ق - ط - ع) .

(٣٣) الصفحة ١٤٨ سطر ١٠ واحد من الأخطاء المطبعية النموذجية ، الكلمة العربية (hae mel) الـ (h) الصغيرة تعني بالعربية الهاء ، وتصبح الكلمة بالعربية (هامل) ، وهي كلمة عربية أصيلة ومعناها قد يتصل بمقابلها في الانجلج (عبد أو رقيق = slave) ، وكثيرًا ما يضطر القارئ إلى التقرب من المفردات الأجنبية ليتقرب من الكلمة العربية . الجذر اللغوي الذي كتبته على السطر نفسه مقابل هذه الكلمة هو (Hamel) ، وهو بالعربية (حامل) ، فأي هي الصحيحة ؟ والكلمتان قد تمتان بشكل أو بآخر إلى معنى العبودية في الكلمة الانجلج .

(٣٤) الصفحة ١٤٩ سطر ٢٥ ، قالت المؤلفة في سياق حديثها عن صيغ التأنيث العربية : «وهكذا فإن التاء هي علامة التأنيث الكبرى في العربية ، ولكن هذه التاء المتطرفة تكتب غالبًا هاء ولا تلفظ في الكلام مطلقًا» .

إن تاء التأنيث تكتب تاء مربوطة بنقطتين ، وتلفظ تاء ، إلا إذا وقفنا عليها في آخر الكلام ، فإنها تلفظ في هذه الحالة هاء ، ولكنها تبقى تاء مربوطة بنقطتين ، والمعلمون يحاسبون طلابهم على هذا الخطأ الإملائي إن وقع .

ولتأكيد الخطأ عقبت المؤلفة على كلامها السابق بما يلي : «ولهذا السبب يسميها النحويون العرب التاء المربوطة إنها حرف متطرف يلفظ كتاء إذا تلته حركة نحوية ، ويلفظ هاء إذا لم يكن متبوعا بحركة» . لماذا الغلط السابق إذن ؟

ولكن الأهم من ذلك كله أن النحويين العرب لم يقولوا قط إنها تكتب كالهاء بلا نقطتين ؛ بل قالوا إنها تلفظ كالهاء عند الوقف عليها . والنحويون العرب لم يسموها عبثًا التاء المربوطة ، وإنما فعلوا ذلك عامدين ليميزوا بينها وبين التاء المفتوحة في الرسم الإملائي وفي الوظيفة أيضًا ، ولم يكن هناك ما يمنعهم أن يسموها هاء ، لو كان ما ذهبت إليه المؤلفة صحيحًا .

(٣٥) الصفحة ١٤٧ في الجدول الثاني ، المثال الرابع ، ذكرت المؤلفة الفعل (قمس) وذكرت أن معناه القطع أو التقييد ، ولم أجد هذا المعنى في المعجم . قمسه في الماء : غمسه . قمست الدلو في الماء : غطسته ... إلخ .

(٣٦) الصفحة ١٤٦ وفي صفحات كثيرة أخرى ، وفي حديث المؤلفة عن الموازين الصرفية ، رمزت للحرف الساكن بـ (c) ، ورمزت للحركة بـ (v) ثم كتبت صيغ الأفعال والأسماء على هذا الأساس ، مثال : (cvcc) ، (cvcvcv) ، (cvcvc) .

هذه الطريقة تشبه الكتابة العروضية المحدثة عند بعض علماء العروض من المحدثين ، مثال : (فعولن = //٥/٥) . وإذا كانت هذه الطريقة تستقيم في العروض ، فإنها لا تعني شيئًا في موازين الكلمات ، وبخاصة للقارئ العربي ، أما القارئ الغربي فإنها تقدم له صورة غير صادقة ، ومن الواضح من الأمثلة أن المؤلفة ساوت بين الحركات ، ووضعت (بُرْج - نَهْر - تِرْس) في وزن واحد ، والحقيقة إنها عندنا على ثلاثة أوزان . ولو أردنا أن نناقش كل وزن وكل مثال جاءت به المؤلفة في هذا الباب لاحتاج منا الأمر إلى بحث مستقل .

ثم إننا لم نتبع طريقة مضطردة في كتابة الأوزان ، فقد كتبت وزن فعيل ص١٤٩ بهذه الصورة : (cvciyc) أثبتت له الياء والكسرة معًا . وكتبت وزن (فاعل) ص١٤٨ بهذه الصورة : (cv:cec) ولم تثبت له الألف ، وذكرت من الأمثلة عليه حافر ، عادل .

أما الوزن (cvcvc) فقد ذكرت عليه من الأمثلة : عقاب - فالج - حامل - بخار . فهل في العربية وزن واحد يجمع هذه الكلمات الأربع ؟

أما الخلط بين اسم الفاعل بمعنى الصفة المشبهة وبين اسم الفاعل الذي يفيد الحدوث ، فهو مما لا يسمح به في دراسة لغوية بهذا المستوى .

الحديث نفسه يمكن أن يقال عن بقية الأمثلة ، ثم إنها قد تأخذ الوزن باعتباره الصوتي فقط ولا تنتبه إلى الاختلافات في المعنى للوزن الواحد ، ففي قائمة واحدة ساوت المؤلفة أو لم تفرق على الأقل بين (فعيل) بمعنى (مفعول) : فسيخ ، وبين (فعيل) الدال على من فعل الفعل : (عقيل) .

إن هذا الفصل لم يضف إلى بحث المؤلفة شيئًا ذا

بال والعلاقات التي حاولت المؤلفة أن تقيمها فيها تعسف كبير ، خذ على ذلك مثلاً كلمة (فالح) ، وكتبتها المؤلفة هكذا (faelaeh) ، والعلاقة التي بينها وبين الكلمة اللاتينية (felaga) بمعنى شخص ؟ ، إن وزن فاعل الذي قالت إنه مشترك بينهما لا يستقيم إلا بتعسف كبير .

(٣٧) الصفحتان ١٥١ - ١٥٢ ، وفي حديث المؤلفة عن وظائف ومعاني تاء التأنيث ، قالت : «إن التاء في كلمة بلوة هي تاء المبالغة .»

التاء في (بلوة) ليست تاء المبالغة كما تدعي المؤلفة ؛ لأن الفعل هو (بلا) ، وهي تاء المرة ؛ لأن اسم المرة يأتي من الثلاثي على وزن (فَعْلة) ، والتاء للمصدر وليست للمبالغة ، تاء المبالغة هي في صيغ مثل (علاّمة) وغيرها من الصيغ المشابهة .

(٣٨) الصفحة ١٥٢ سطر ٥ ، قالت : «وبالعكس فإن الذات المؤنثة يمكن أن نستعمل لها لفظًا مذكرًا إذا كانت شيئًا مثاليًا مشرفًا متفردًا نادرًا لا نظير له ، ثم ضربت على ذلك مثلاً بكلمتي أرض ، شمس» . وأقول : إن عدم وجود تاء التأنيث في هاتين الكلمتين لا يدل على أنهما مذكرتان ، وأن الحديث عن المؤنث الحقيقي والمؤنث المجازي من مناهج المرحلة المتوسطة . ثم إن تاء التأنيث ليست علامة التأنيث الوحيدة في اللغة العربية ، ومن عجب أن المؤلفة لم تتحدث عن غيرها . واعتبار المؤلفة لكلمة (أرض) صيغة مذكرة هو اعتبار خاطئ أصلاً وموضوعًا ، كما لو اعتبرنا (زينب) صيغة مذكرة ؛ لأنها لا تنتهي بعلامة التأنيث.

ثم إن حديثها عن الذات المؤنثة بغير تاء بأنها شيء مثال متفرد ... إلخ ، فهو حديث يفتقر إلى الدقة والموضوعية ، وإذا رفضت المؤلفة مثال (فرس) ؛ لأن للفرس عند العرب شأنًا عظيمًا ، فماذا تقول في مثال (أتان) وهي أنثى الحمار ، وهي بغير علامة تأنيث .

(٣٩) الصفحة ١٥٢ قالت : «في الصفحات السابقة أعطينا للصيغ المشتقة من الأفعال ثلاثية المقاطع ، وسنعطي فيما يلي الصيغ الرئيسة المشتقة من الأفعال ثنائية المقاطع .» .

الكلمة العربية توزن بحروف كلمة (فعل) ومزيداتها وحركاتها ، وقد سبق لنا أن تحدثنا عن طريقتها في وزن الأسماء والأفعال العربية فلا داعي للتكرار ، ولكن ما نريده هنا أن أقل حروف الفعل عند علماء العربية ثلاثة ، ومن الواضح من تكرار استعمالها لاصطلاح (فعل ثنائي المقاطع) ، أنها تصنف الأفعال تصنيفًا جديدًا لا يعد حروف العلة أصلية ، وهذا كلام فيه نظر ، ولم يقل به أحد من علماء العربية .

صحيح أن حرف العلة في الفعل العربي قابل للتبديل (قال يقول ، رمى يرمي) ، والحذف أحيانًا (وجد : يجد) ، ولكن لم يقل أحد من النحاة العرب أنه غير أصلي ، وإذا كانت المؤلفة قد أخذت هذا الكلام عن مراجع أجنبية فقد كان جديرًا بها أن تشير إلى ذلك . والأجدر بها في كل الأحوال أن تتعامل مع اللغة كما يتعامل معها علماؤها الأصليون .

(٤٠) قالت المؤلفة تحت عنوان «النهايات النحوية في اللغة العربية» ما يلي :

يوجد في اللغة العربية خمس حالات نهاياتها النحوية كما يلي :

أ - حالة الرفع وتنتهي بالضمة burgu / u

ب - حالة النداء وتنتهي بالضمة burgu / u

ج - حالة النصب وتنتهي بالفتحة burga / a

د - حالة الجر وتنتهي بالكسرة burgi / i

هـ - حالة الإضافة وتنتهي بالكسرة burgi / i

وجوابنا على هذا الكلام هو ما يلي :

أ - الحالات النحوية لآخر الكلمة العربية ثلاث وليست خمسا ، وهي الرفع والنصب والجر ، وعلاماتها الضمة والفتحة والكسرة أو ما ينوب عنها .

ب - هناك حركة رابعة لم تذكرها المؤلفة وهي السكون، أو هي حركة اللاحركة ، وهي واضحة كل الوضوح على آخر الفعل المجزوم الصحيح الآخر .

ج - لا يوجد عندنا في العربية ما تسميه حالة النداء (vocative) إلا إذا كان لهذه الكلمة معنى آخر ليس موجودًا في المعاجم الإنجليزية المتوافرة لدي . ثم إن المنادى عند علماء العربية منصوب ؛ بل الأصل فيه النصب، وإذا وقعت على آخره ضمة في حالات معروفة ، فيكون مبنيًا على الضم في محل نصب .

د - تركنا الجدال مع المؤلفة عن الحركة في آخر الكلمة : هل هي نهاية كما تقول ، أو جزء من الحرف ؛ لأنه موضوع خلاف كبير ، ولكننا نقول إنه لا وجود لحرف في

العربية إلا وهو مقترن بإحدى الحركات ، ولكننا نسأل بكل جدية وبساطة : إذا كانت الضمة على اللام في (يقولُ) نهاية ، فبماذا نصف الضمة على القاف في وسط الكلمة .

(٤١) الصفحة ١٦٢ سطر ٧ ، وبعد أن تحدثت طويلاً عن (frequentative verbs) ، وعرفتها تعريفًا لا يقبل الجدل بأنها الأفعال المضعفة على وزن (فعلل) ، مثل : بلبل – زلزل ... إلخ ، إذا بها تضع في آخر الصفحة الأمثلة التالية : زغلل – رفرف – شتت – رزرز – فتت ... إلخ . من الواضح أن هذه الأفعال يتداخل فيها وزن فعلل المضعف ، بوزن (فعّل) المزيد بالتضعيف ، ومن الواضح أيضًا أن المؤلفة تنظر إلى المجرد والمزيد نظرة لا علاقة لها بقواعد اللغة العربية التي تتحدث عنها ، ولم تذكر لنا هل هذه النظرة من عندها ، أو أخذتها عن بعض علماء الخواجات .

(٤٢) الصفحة ١٩٨ سطر ٦ الفصل ٨/١٦ ، الوزن (CVCI) في اللاتينية والانجلق :

من الواضح أن المؤلفة في هذه الفقرة تتحدث عن ياء النسب ، التي قالت عنها إنها تنقلب إلى (g) في الانجلق . وقالت أيضًا إن بقايا هذا الوزن انتقلت إلى الانجلق مثل (greedy) بمعنى طماع أو شره ، كانت في الانجلق (grae ding) .

إن ياء النسب ليست في اللغة العربية وزنًا من الأوزان؛ بل هي حرف يلحق آخر أي اسم من الأسماء ، على أي وزن كان ، فكيف سمحت المؤلفة لنفسها أن تجعلها على وزن واحد ؟ ؛ بل إنها ضربت على ذلك مثلين : سوري – فينيقي، وليس بينهما مشترك إلا ياء النسب .

من الواضح أيضًا أن كلمة (pattern) التي تستعملها المؤلفة لا تساوي في مدلولها الدقيق كلمة (ميزان أو ، وزن) العربية كما نستعملها في العربية .

بقيت نقطة مهمة جدًا : هل آراء المؤلفة في الصرف العربي – وهي مهلهلة إلى حد كبير – من عندها ، أم هي منقولة عن بعض علماء الخواجات ؟

(٤٣) الصفحة ١٩٩ الفصل ١٠/١٦ ، سطر ٣٠ قالت : العربية : ضاري Dari في اللاتينية dirus ، في الانجلق : deor

المؤلفة تكتب رموزها على هواها في كل كلمة ، بالشكل الذي تراه أنسب أو أقرب إلى الفكرة التي تناقشها . فكلمة (ضاري) كتبتها هنا (Dari) ، ولو كتبنا هذه الكلمة وفقًا لرموز المؤلفة لكانت صورتها هكذا : (Dary) ، ومع أن ياء (ضاري) لا تحذف إلا إذا وقعت في جملة بتنوين الرفع أو الجر ، ولكنها خالفت قائمة رموزها وكتبت الياء العربية كسرة (i) لتسهيل عملية نقلها إلى اللاتينية ، ومما يدل على أن عملها مقصود أنها قالت : «اللاتينية أزاحت الكسرة الأخيرة إلى موقع متقدم لكي تعطي آخر الاسم خاتمة لاتينية (us) » .

السؤال : هل المحذوف كسرة أو ياء ؟ ؛ ولم تتحدث أبدًا عن الألف المحذوفة من الصيغة العربية ، ولم تذكر أن الفتحة التي كانت على (ض) قد صارت في اللاتينية كسرة.

ثم إن اصطلاح «موقع متقدم» تعبير غير دقيق ، وهي تستعمله تارة بمعنى الحرف الأول ، وتارة بمعنى الحرف الثاني ، ونحاتنا القدماء كانوا أكثر دقة بما لا يقاس عندما أصروا على استعمال عين الفعل ، ولام الفعل ، وفاء الفعل.

إن هذا التغيير في أسلوب كتابة الكلمة العربية سيعاني منه القارئ من أول صفحة في الكتاب إلى آخر صفحة منه .

(٤٤) الصفحة ١٩٩ سطر ١٤ ، قالت : «يوجد في العربية فعل (فلقس) ... إلخ .»

لم أجد في المعاجم الموجودة لدي هذا الفعل .

(٤٥) الصفحة ٢٠٩ سطر ١ – ٢ قالت : «إن العدد واحد مشتق من فعل (وحّد) بمعنى أن يكون واحدًا .. إلخ» وأقول : الفعل (وحّد) يعني جعل شيئين أو أكثر شيئًا واحدًا ، وليس معناه أن يكون واحدًا ، هذا المعنى الأخير يأتي من فعل (توحد) وليس من فعل (وحّد) . الثلاثي المجرد (وَحَدَ) موجود في اللغة ومعناه انفرد بنفسه فهو وحيد ، واسم الفاعل منه (واحد) ، فلماذا تتكلف المؤلفة جعل اشتقاقه من (وحّد) المضعف ؟

(٤٦) الصفحة ٢١٠ قالت عن العدد خمسة : « إن خَمَسَ في العربية يعني أن تصنع جزءًا صغيرًا من كل ، فرق صغير ، نقرة في إطار أكبر ... إلخ» . أقول : لم أجد في المعجم شيئًا من هذه المعاني .

(٤٧) الصفحة ٢١٠ وفي حديثها عن العدد ستة ، قالت : «إنه مشتق من الجذر الفعلي (ستّ) ، بمعنى أن يكون في الصفوف الخلفية ، ليس أماميًا ، داخلي ، أو في

الداخل ... إلخ» .

الستّ هو العيب أو الكلام القبيح ، ولم أعثر عليه كفعل أصلاً .

(٤٨) الصفحة ٢١٢ سطر ٣١ ، وفي حديث المؤلفة عن العدد ألف في اللاتينية قالت : «إنه جاء من الجذر الفعلي العربي (مال) ..... ومن مضعف هذا الفعل (ملّ) جاءت في اللاتينية كلمة (millia) التي هي في العربية (مِلّة) وتعني في العربية مجموعة من الناس من الأصل نفسه ، أو العقيدة نفسها ... إلخ» .

أ – من يسلم للمؤلفة بأن فعل (ملّ) هو مضعف فعل (مال) ؟

ب – إن كلمة (مِلّة) بكسر الميم هي الطريقة في العقيدة ، وليست مجموعة من الناس ، ولو أخذناها بهذا المعنى فإنها لا تعني الإضافة التي ذكرتها المؤلفة (من الأصل نفسه) ؛ لأن العقيدة لا تعني أن أصحابها من أصل واحد .

(٤٩) الصفحة ٢١٦ ، وفي حديثها عن العَلَم ، قالت : «عندما يسبق اسم أو نعت بـ (الـ) التعريف يتغير من نكرة إلى معرفة أو علم ، أو نعت لعلم ، إنه لا يبقى صفة ولكن يميز شخصًا معينًا ، وهو يساوي في الانجلح النعوت المسبوقة بـ (the) مثل : (the wise - the just) عندما تتبع علما ، ... وهو في العربية يسمى كنية» .

إن ما ذكرته المؤلفة يسمى في النحو العربي (اللقب) ، أما الكنية فهي كل علم مسبوق بأب أو بأم .

(٥٠) الصفحة ٢١٧ – ٢١٨ ، وبعد تحليل بديع جدًا للرمزية الصوتية في كلمة (قلق) العربية قالت : «ولم يستطع أحد أن يعرف القلق باعتباره تناقضًا بين حركتين قويتين ، أو جذبين متعاكسين ، حتى تقدم علم النفس الحديث . ومثل هذه الومضات في اللغات الهندية الأوربية تقودنا إلى الاستنتاج بأن هذه الشعوب وصلت إلى درجة عالية من الحضارة قبل أن تدمر – ربما – مهاجرة وبادئة من جديد ... إلخ .» .

(قلق) كلمة عربية ، والحديث كان عن اللغة العربية فما الذي وصل بالمؤلفة إلى الحديث عن اللغات الهندية الأوربية ؟ هل تخشى المؤلفة أن يتهمها القارئ الغربي الذي وجهت كتابها إليه بالتعصب للسامية ؟ !

(٥١) الصفحة ٢١٨ قالت : «في الصفحات السابقة عدنا بكثير من الكلمات إلى جذرها الفعلي ، وفي الحقيقة فإن كل الأسماء سواء أكانت نكرات أم أعلاما يمكن إعادتها إلى الفعل الذي اشتقت منه ... إلخ .» .

من مسائل الخلاف الكبرى بين البصريين والكوفيين : هل جاء الاسم أولاً ، أم الفعل أولاً ؟ والمؤلفة عندما اعتبرت الفعل أولاً لم تخرج على أحد الخطوط الرئيسة في النحو العربي ، والمؤلفة تجاهلت نهائيًا ما يسمى عندنا الاسم الجامد ، وهي أسماء لم يثبت أن لها جذرًا فعليًا ، ولكن قد يشتق منها الفعل ، مثل : أسد : استأسد – حجر : تحجر ... إلخ .

الكتاب مليء بعشرات الأمثلة من هذا النوع ، وقد مر معنا أنها اعتبرت العدد ستة مشتقًا من الجذر الفعلي (ستّ) ، مع أن هذا الجذر غير موجود في اللغة كفعل .

نحن لسنا ضد نظرة جديدة في اللغة ، ولكننا ضد صياغة قاعدة بغير تعليل واضح مقبول .

(٥٢) في رأس الصفحة ٢٢٥ سطر ٥ ، ذكرت أن كلمة طرش (Tarasv) = (deaf) . وهذه يجب أن يقابلها (أطرش) . هل خلطت المؤلفة بين المصدر وبين الصفة المشبهة ، أو هو خطأ مطبعي آخر ؟

(٥٣) الصفحة ٢٢٧ سطر ٢٣ قالت : «إن (قَتْلة) مؤنث طريقة القتل» .

هذا غير صحيح ؛ لأن (قَتْلَة) بفتح القاف هي اسم المرة من الثلاثي (قتل) ، أما اسم الهيئة من الثلاثي فيأتي على وزن (فِعْلة) بكسر الفاء ، وكان على المؤلفة أن تكتب الكلمة بالانجليزية كما يلي (qitlah) ، بدلاً من كتابتها بهذا الشكل (qatlah) .

(٥٤) وفي السطر التالي ذكرت أن (مقتل) (maq-tal) هو قتل خاص أو جريمة .

إن (مَقْتَل) بفتح الميم والتاء ، أما أن يكون مصدرًا ميميًا بمعنى المصدر الأصلي ، وأما اسم مكان ، وهو مكان القتل ، تقول أصابه في مقتل ، أو اسم زمان .

(٥٥) في المجموعة السابقة نفسها من الأمثلة :

أ – قاتل (qatel) الشخص الذي يقوم بعملية القتل.

ب – قاتل (qatael) الشخص الذي يحترف القتل .

الخلاف ليس في المعنى ؛ لأن اسم الفاعل في العربية قد يكون بمعنى الصفة المشبهة ، وإن كان المعنى

الثاني محدثًا ، ولكن الخلاف حول كلمتين متساويتين لفظًا ومعنى واشتقاقًا ، فلماذا كُتبتهما بشكل مختلف ؟

(٥٦) الصفحة ٢٢٨ ، وفي بحث المؤلفة عن النعوت قالت : «النعت السجية – هو عندنا الصفة المشبهة – يدل على أن الميزة كامنة فيه (innate) ، أما إذا جاء خبرًا فيدل على أن الصفة ليست أو لا يفترض أن تكون ثابتة ، قد تكون وقتية ، أو مكتسبة ، أو مفترضة ... إلخ .

– الجارية الجميلة the comely girl إنها صفة تدل على حقيقة ذاتية .

– أما قولنا the girl is comely ، فإنها تفيد أني وجدتها جميلة ، وقد لا تكون كذلك» المؤلفة تخلط في هذين المثالين بين النعت وبين الجملة الخبرية التي تحتمل الصدق والكذب ، المثال الأول (the comely girl) كله مبتدأ بلا خبر : الجارية الجميلة ، إلا إذا اعتبرناه مبتدأ وخبرا متساويين في التعريف ، ويكون المبتدأ في هذه الحال مقدمًا وجوبًا ، وهو احتمال بعيد نادر الاستعمال ، لا أظن أنه خطر ببال المؤلفة ، ولكنه يبقى خبرًا قابلا للصدق والكذب ، بلغة نحاتنا القدماء ، أي أنه نسبي قابل للرد .

(٥٧) الصفحة ٢٢٩ ، وفي حديث المؤلفة عن الفعل (to be) قالت عنه «إنه يدعى في العربية (إنّ) ، وهي الجذر الفعلي الذي جاء منه الفعل (to be) في الانجلج ... إلخ .» .

نقول إن (إنّ) في العربية ليست فعلاً ، ولكنها حرف مشبه بالفعل ، وسنتقبل من المؤلفة هذا التشبيه ؛ لأن النحويين العرب لمحوا إلى معنى الفعل فيها ، ولكننا نسأل عن التشابه بين (إنّ) وبين (to be) .؟

(٥٨) الصفحة ٢٣٠ سطر ٢٨ – ٢٩ قالت : «إن النحويين العرب يعتبرون ان النظام الطبيعي للجملة أن يكون (VSO) ، بينما النحويون في الانجلج يعتبرون بأن نظامها الطبيعي عندهم هو (SVO) ... إلخ» .

أ – لم تضع الكاتبة هذه الرموز في قائمة رموزها في أول الكتاب ، ولكن الأول يفسر بما يلي :

مفعول + فاعل + فعل = جملة فعلية

VSO = verb + subject + object

والثاني : مفعول + فعل + مبتدأ = جملة اسمية

SVO = subject + verb + object

أولاً : كان على المؤلفة أن تراعي المستويات المختلفة لقرائها ، وتذكر كل اختزالاتها في أول الكتاب .

ثانيًا : – وهذا هو الأهم – من قال للمؤلفة إن النظام الطبيعي للجملة العربية أن تكون فعلية ، إن نصف كلام العرب على الأقل جمل إسمية .

(٥٩) الصفحة ٢٣٢ الفقرة ٩/١٩ ، قالت :

« هنا الكتاب here is the book

ظرف + الاسم الاسم + فعل + ظرف »

أقول : (هنا) في العربية اسم إشارة للبعيد ، وليست ظرفا .

(٦٠) الصفحة ٢٣٣ ، قالت :

«أعطني الكتاب = give me the book الجملة هنا طلبية ، وهي أمر مباشر في اللغتين ، ولذلك جاء الفعل أولاً ، وفي اللغتين حذف ضمير المخاطب ... إلخ .» .

هذا الكلام صحيح عندهم ، ولكنه غير صحيح عندنا ، والضمير ليس محذوفًا ولكنه مضمر وجوبًا ، والدليل على ذلك أن نتابع الأمثلة :

أ – أعطني الكتاب give me the book

ب – أعطياني الكتاب give me the book

ج – أعطوني الكتاب give me the book

بمجرد أن أصبح ظهور الضمير ضروريًا ظهر واتصل بالفعل ، أما في الانجلج فقد بقيت الجملة على حالها ، ولا يفهم معناها إلا من كان وقفًا على حقيقة حال المتكلمين . وهذه النقطة تسجل لصالح العربية .

(٦١) الصفحة ٢٣٧ ، قالت : «وقد يتقدم المفعول على الفاعل كما في النظام الثالث ، ولكنه لا يتقدم على الفعل إذا كان متعديًا فله السبق على الجملة كلها ... إلخ .» .

هذا الكلام غير صحيح في العربية ، والمفعول قد يتقدم على فعله ، وفي القرآن الكريم ﴿إياك نعبد﴾ وفيه أيضًا ﴿وما ظلمناهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ .

لا يعيب المؤلفة أن تكون بضاعتها من العربية قليلة ، ولكن يعيبها ألا تراجع وتتأكد قبل إصدار أحكامها . هذا احتمال . والاحتمال الآخر أنها تأخذ كلام الخواجات على علاته ، دون تحقيق أو تمحيص ، أو حتى إشارة إلى مخالفته لقواعد معروفة في العربية .

(٦٢) الصفحة ٢٤٦ قالت : «نجد في العربية كلمات عديدة تعرّف المطر ، ومعظمها يبدأ بالراء : رخ – رذ –

رش - روى - راق ... إلخ .» .

فعل (راق) لا علاقة له بالمطر ، ولكن فعل (ركّ) ، يقال : رك السحابُ ، أي جاء بالمطر القليل أو الضعيف . والفعلان الرابع والخامس علاقتهما بالماء أكثر وأوضح من علاقتهما بالمطر .

(٦٣) الصفحة ٢٤٦ ، في المجموعة السابقة نفسها من الأمثلة ، قالت : «الفعل الرابع (رز) يعني أيضًا المطر ، الصوت الاهتزازي يستعمل له صوت يؤز ، إنه يعني المطر الذي يصنع صوتًا عند سقوطه ، السماء تزمجر ، تصرخ ... إلخ .» .

أقول : التعليل أقرب مما ذهبت إليه المؤلفة ، (الرزاز) بالزاي هو حبات المطر المتجمد ، أو ما يقال له البَرَد ، وهو ذو صوت شديد عند وقوعه على الأرض أو السقف .

(٦٤) الصفحة ٢٤٦ في المجموعة السابقة نفسها من الأمثلة ، قالت : «الفعل /روى/ في العربية يعني أن يحصل على كفايته من الماء» .

أقول : إن هذا المعنى هو لفعل (روي) بالياء ، أو لفعل (ارتوى) ، أما فعل (روى) فهو فعل متعد يعني تقديم الماء للآخرين .

(٦٥) الصفحة ٢٥١ ، وفي سياق الحديث عن المعنى الرمزي للنون في كلمة (مَنْعَى) قالت «إنها تعني في العربية طقوس الجنازة ، وهي مكونة من البادئة + الفعل» .

أقول : إن (منعى) إما مصدر ميمي من الفعل (نعى) أو اسم الزمان والمكان من الفعل ، أما الطقوس الجنائزية فليست من معانيها .

(٦٦) الصفحة ٢٥٣ سطر ٢٩ قالت : «الفعل (خَرَب) Xaraba يعني تهدم ... إلخ .» .

أقول : الفعل (خَرَب) بفتح الراء فعل متعد يعني إيقاع الخراب بالآخرين ، والمعنى الذي ذكرته المؤلفة هو لفعل (خَرِب) بكسر الراء ، وليس بفتحها .

(٦٧) الصفحة ٢٥٤ قالت : «إذا نظرنا إلى الفعل (برج) بمعنى أنتج ، أحضر ، ومضعّفه (برّج) بمعنى بنى برجا ... إلخ .» .

أقول : لم أجد في معاني (بَرَجَ) ما يدل على الجلب أو الإنتاج .

(٦٨) الصفحة ٢٥٨ سطر ٢٠ ، وفي حديث المؤلفة عن المعاني الرمزية لحرف القاف ، قالت : «..... الفعل قمّ يعني أن يكون في القمة الذروة ، والاسم (قمة) يعني ذروة الجبل ، وقريبها في الانجليز (acme) جاء من اليونانية ... إلخ .» .

أقول : الاحتمال الأقرب والأقوى أن (acme) قريبها العربي هو (أكمة) وليس (قمة) . ولكن الأهم من ذلك أن (قمّ) لا يعني الارتفاع ، بل مضعفه (قمّم) بثلاث ميمات ، ومنه جاءت القمة .

(٦٩) الصفحة ٢٥٩ سطر ٨ ، قالت : «طاس (Tasa) أصبح كالقمر في الجمال ... إلخ .» .

أقول : : طاس الشيء : كثر ، والطيس : الكثير ، ولم أجد علاقة بين الطيس والجمال والقمر .

(٧٠) الصفحة ٢٦٨ ، بعد مقدمة ممتعة عن اللغة المصرية القديمة ، عددت المؤلفة الخسارات التي تعرضت لها هذه اللغة ، ومنها خسارتها للسواكن التالية : ط - ظ - ص - ض - ع - غ - د - ز - ج - ل .

فقدان هذه السواكن ، بالإضافة إلى التباسات أخرى، فماذا بقي من اللغة إذن ؟

وإنني - وأنا لست متخصصًا - أطرح السؤال التالي: هل هذه حالة خسارة وفقدان ، أو هي مرحلة من مراحل تطور اللغة ؟ ، ماجرت في وقتها هذه القبائل ؟

لن أطيل الكلام في هذه النقطة لأني سأعود إليها من زاوية أخرى في النقطة التالية .

(٧١) عددت المؤلفة الخسائر التي تعرضت لها اللغات الهندية والأوربية ، واللغة المصرية القديمة بالنقاط التالية :

١ - خسارة الرمزية الصوتية .

٢ - خسارة السواكن التي ذكرناها في الفقرة السابقة ، ولا يوجد تمييز بين الضمة والواو وبين الكسرة والياء ، ومن المحتمل أنهم ميزوا بينها في الكلام ، ولم يفعلوا ذلك كتابة .

٣ - فقدان التمييز بين الأفعال الثنائية الثلاثية والرباعية ، ونعني بذلك امتزاج المجموعات الثلاث .

٤ - مثل هذه الامتزاجات تعني أن القواعد التي تضبط هذه الأفعال ، امتزجت هي الأخرى .

٥ - النتيجة الطبيعية لذلك هي فقدان الأوزان العربية الأصلية أو معظمها ، وخسارة معانيها الأصلية .

هذه الملاحظة الأخيرة هي بيت القصيد . إن المؤلفة تتحدث عن حقبة تاريخية قد تصل إلى عشرة آلاف سنة

في حالة لغة المصريين الأسبقين ، وقد تزيد ، فهل يعقل أن تكون اللغة العربية كاملة ناضجة إلى الحد الذي تدعيه لها المؤلفة في تلك الحقبة السحيقة من التاريخ ؟

إن الحديث عن أوزان أصلية ، واختصاص هذه الأوزان بمعان معينة في تلك المرحلة الموغلة في القدم ، يجبرنا على افتراض أن اللغة العربية وصلت الكمال في أصواتها ، وأوزانها ، واشتقاقاتها ، فكم تحتاج لغة من الوقت حتى تصل إلى هذه الدرجة من الكمال المبدع ؟

وإذا كانت اللغة الأم على هذه الدرجة من النضج والكمال والسموق فكيف نعلل قصور بناتها وتشويهها ؟ ؛ وكيف نعلل أيضًا فقدان هذه اللغات لمستوى الرمزية الصوتية ؟ ؛ لماذا لم تحتفظ ولو لغة واحدة بهذه الرمزية ؟ ، أليس ذلك دليلاً على أنها هاجرت قبل تمام نضج اللغة الأم ؟ ، ثم إذا أخذنا ترتيب المؤلفة لعدد السواكن المفقودة فسنجدها بالترتيب التنازلي التالي :

أ – لغة المصريين الأسبقين ، أصابت الخسارة الكبرى .

ب – اللغة اللاتينية تأتي بعد السابقة في حجم الخسائر .

ج – اللغة الإنجليزية القديمة أقلها في حجم الخسائر .

هذا الترتيب التنازلي ألا يوحي بأن وقت الهجرة له علاقة بحجم الخسائر ، وحجم الخسائر له علاقة بالمستوى العام لنضج اللغة الأم .

أنا لست متخصصًا ، ولكني أطرح سؤالاً على المختصين ، إن الدعوى العريضة التي تقيمها المؤلفة لا يجوز التسليم بها لمجرد التعصب ، ولا بد من حيثيات لهذا الحكم الضخم .

(٧٢) من النقاط المهمة أن المؤلفة في حديثها عن اللغة المصرية القديمة لم تذكر هل استعملت لها الحروف اللاتينية بمدلولها العربي الذي وضعته في أول الكتاب ، أو بمدلولها الأجنبي لأنها تنقل عن مراجع أجنبية ؟

(٧٣) الصفحة ٢٧٠ ، وفي حديث المؤلفة عن البادئة (أ) في المصرية القديمة ، ضربت الأمثلة التالية :

أب	ابتهج	/	أب	أبل
أق	أقبل	/	أم	أطعم

هل هذه حالة اختصارات حادة تعرضت لها اللغة على حد تعبير المؤلفة ؟ ؛ أو هي حالة ، بل مرحلة من مراحل تطور اللغة ؟

سبق أن طرحنا هذا السؤال ، وقد طرحناه هنا مرة أخرى مع الأمثلة . وسؤالنا للاستفهام المجرد .

(٧٣) الصفحة ٢٧٢ قالت : «نبت nebt في المصرية القديمة مشتقة من الفعل العربي (نبت) وفي العربية هو اسم فاعل في هذا التركيب (نابت) ، ومن المحتمل أنه كذلك في النص المصري القديم ؛ ولأن شكل الكلمة لا يحدد فصيلتها، فمن الصعب أن نعطي رأيًا قاطعًا ... إلخ .» .

ذكرت المؤلفة أن اللغة المصرية القديمة مكتوبة بغير حروف صوتية ، وذكرت أن المستمصرين (أعني علماء المصريات ، قياسًا على مستشرقين) – وكلهم من الخواجات الذين ليس عندهم حس لغوي عربي أصيل – هم الذين وضعوا لها الأصوات على قدر معرفتهم . وإذا كانت المؤلفة واثقة من الكلام الذي كتبته فإنها تستطيع الترجيح على الأقل إذا لم تستطع التأكيد .

اللغة المصرية القديمة ليست الوحيدة التي كتبت بغير أصوات ، وكذلك العبرية القديمة في التوراة . وقد جاء الدكتور كمال الصليبي بالأعاجيب عندما أعاد تصويت كلمات التوراة بطريقة أخرى في كتابه : التوراة جاءت من جزيرة العرب .

(٧٤) الصفحة ٢٧٤ ، جدول الأرقام ، قالت : «إن العدد تسعة أصله في العربية (بسط) الذي يعني الامتداد، وبعد شرح وصلت إلى قولها : إن الرقم تسعة يعني النشر والامتداد في العربية» .

أقول : وجدت في المعجم : اتسع القوم ، صاروا تسعة أفلا يدل هذا على أن العدد تسعة جاء من فعل (وسع) وليس من فعل بسط كما قالت ، وفيهما ساكنان متطابقان (س – ع) بدلاً من ساكن واحد ؟

(٧٥) الصفحة ٢٧٨ ، قالت المؤلفة : «... لأن البادئة العربية (مَ) تغير معنى الفعل إلى فئة أخرى ... إلخ .» .

أقول : البادئة العربية (م) تعني باصطلاح مشايخنا الميم المفتوحة المزيدة في أول الفعل ، وهذه الميم لا تأتي عندنا في أول الأفعال ، أو هذا مبلغنا من العلم على الأقل، ومن قال بغير ذلك فعليه أن يقدم الأمثلة ، بل نزيد على ذلك شيئًا ، وهو أن الميم ليست من الحروف التي تزاد على أول الفعل العربي ، وهذه الحروف هي (ء – ا – س – ت)، أما حروف المضارعة وسين الاستقبال فلها بحث آخر .

(٧٦) الصفحة ٢٨٣ قالت : «إن الصيغة المصرية القديمة (meri) هي النعت (مراد) (murad) في العربية ، وتعني المختار أو المحبوب ، وهي مشتقة من الفعل (راد) مسبوقة بالبادئة (مَ) ... إلخ .» .

أ - إن النعت (مراد) مشتق من الفعل (أراد) وليس من الفعل (راد) .

ب - إن بادئته هي (مُ) ميم مضمومة ، وليست ميمًا مفتوحة كما ذكرت المؤلفة .

ج - كان للمؤلفة أن تختصر كلامها الطويل بقولها : إن الصيغة هي اسم مفعول من (أراد) .

(٧٧) الصفحة ٢٨٤ ، قالت : «إن (مع) حرف جر تعني بالإنجليزية with ... إلخ .» .

أقول : (مع) عندنا ظرف وليست حرف جر .

* * * * *

سنكتفي بهذا القدر من الملاحظات ، وهي ملاحظات سقناها على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر . ولكن لا يمكن أن نختم كلامنا عن الملاحظات بدون ذكر النواحي التالية :

أولاً : كنا نتمنى أن تزود المؤلفة كتابها بجدول للأبجدية الإنجليزية القديمة وأصواتها ، أو المعروف من أصواتها على الأقل ، وكذلك اللاتينية ؛ لأن ذلك سيسهل كثيرًا من الأمور على قرائها ، الذين ليسوا جميعًا من المتخصصين . لم أذكر اليونانية لأنها لم تستعمل منها أمثلة كثيرة ، وإن كان ينبغي عليها أن تشرح بعض الكلمات التي تحتوي على رموز غريبة كالثاء ( ) التي جاءت على الجدول في الصفحة ١٣٣ ، ولكن ذلك لم يتكرر لحسن الحظ .

ثانيًا : إن البحث الممتع الذي قدمته المؤلفة عن الرمزية الصوتية ، وهي تعرف سلفًا بأنه موجز ، تجاهلت فيه كليًا ، وجوه الاعتراض الممكنة والمطروحة عليه ، أو الوجوه التي تحتاج إلى تفسير على الأقل ، وهي تعترف أيضًا بأن الرمزية الصوتية ماتت في اللغات الأخرى ، أي أن البحث لم يقدم شيئًا ذا بال للموضوع الرئيسي الذي خصصت المؤلفة كتابها له .

ثالثا : الكلام نفسه يمكن أن يقال عن بحث الأوزان العربية ، ما دامت هذه الأوزان قد تغيرت فقد كانت تكفي ملاحظة مختصرة مع المثال موضوع الدرس ، وبالتالي كان يمكن اختصار حجم مهم من الكتاب يخصص لمزيد من الأمثلة .

رابعا : لم تذكر المؤلفة كلامًا شافيًا في نظرية البدائل هل هذه البدائل موضع اتفاق بين العلماء ، أو هي موضع خلاف بينهم ؟ ثم هل وضعت نظرية البدائل على الكلمات القديمة جدًا ، أو وضعت على الكلمات التي دخلت إلى اللغات الأوربية في عصر الترجمة الكبرى عن العربية ؟، ولا يخفى على القارئ أهمية هذه الأسئلة على خط الدراسة ونتائجها .

خامسًا : إن تنبيهنا سابقًا على اتكاء المؤلفة على بعض الألفاظ العامية لا يعني منا الإنكار ، ولكنه يعني التنبيه والتذكير بأن المؤلفة عنونت كتابها باسم «العربية الكلاسيكية» ، وهذه العربية ليس فيها هذه المعاني . ونحن نذهب مع المؤلفة إلى ما هو أبعد من ذلك : إن أية كلمة في أية لهجة قبلية أو محلية تصلح مرجعا في هذا البحث ، بشرط أن تكون قديمة ، وغير واردة إلى العربية من لغات أخرى كالفارسية أو الكردية أو التركية ... إلخ . أما الكلمات العامية الحديثة فهي مرفوضة على وجه القطع .

سادسا : ذكر الملخص العربي الذي أثبتته المؤلفة في آخر كتابها ما يلي : «أن ٨٠٪ من أفعال اللغة السكسونية من أصل عربي ، وأن ٧٥٪ من أفعال اللغة اللاتينية من أصل عربي ، وبالتالي الكلمات المشتقة منها .» .

لم يذكر هذا الملخص هل هذه النسبة المئوية تدخل فيها الأسماء والأفعال العربية التي انتقلت إلى هاتين اللغتين في عصر الترجمة الكبرى ، أو هي على الكلمات الموجودة قبله ؟ إن مثل هذا التحديد مهم جدًا في سياق هذه الدراسة .

سابعًا : لم تذكر المؤلفة ثبتًا بالمراجع التي سبقتها إلى تناول فكرة الكتاب ، حتى يمكن للباحث أن يقدر مدى الإضافة التي قدمتها الباحثة إلى هذا الموضوع ، وإن كنت أظن أن أحدًا لم يتناول موضوعها بهذا المدى من السعة والعمق ، من قبل .

* * * * *

وفي النهاية ، أرجو ألا تفهم المؤلفة الفاضلة التي أكن لها كل تقدير واحترام ، ولا أحد من السادة القراء ، أني سقت الملاحظات السابقة بقصد التشنيع أو الإنقاص من

قيمة هذه الدراسة النفيسة الفريدة . إنني أعذر المؤلفة وأقدر جهدها ووضعها النفسي في دراسة امتدت بضع عشرة سنة ، قضت فيه المؤلفة آلاف الساعات مع المعاجم وأشباح الموتى من الألفاظ والناس والاحتمالات المختلفة ، وأقدر جيدًا الوضع النفسي الذي قد يصل بالمبدع مع إبداعه إلى درجة الإعدام أحيانًا . إن ما أطمح إليه من هذه الدراسة والملاحظات أن تعيد المؤلفة النظر في كتابها عند ترجمته أو إعادة طبعه لتتلافى مواضع النقص فيه .

وأرجو أن تتابع الدراسة التي بدأتها على لغات أخرى غير اللاتينية والإنجليزية القديمة ؛ لأن المؤلفة تمتلك حسًا لغويًا فريدًا ، كما تمتلك آلة لغوية أجنبية راقية تمكنها من السباحة في المراجع الأجنبية المختلفة بيسر وسهولة وثقة ، وهي بذلك مؤهلة أكثر من سواها لمتابعة هذا الجهد العظيم النبيل .

وأنا أعرف أن المؤلفة مشغولة بأعمال كتابية أخرى ، ولكني أسمح لنفسي أن أناشدها على مسمع العالم العربي كله وأن أرجوها قائلا : إنها تكتب في مجالات يستطيع غيرها أن يغني عنها فيها ، وتترك المجال الذي يؤكد كتابها أنه لم يوجد حتى الآن من يستطيع أن يقوم مقامها فيه .

بل أقول أكثر من ذلك : لقد انتهت من القسم الصعب المطلوب في أية دراسة وهو هيكل البحث ومخططه ، وما عليها إلا ان تطبق هذا المخطط على لغات أخرى .

إن ما جاء في هذه الدراسة ليس ذمًا للكتاب ولا قدحًا فيه ، ولكنه محاولة للوصول به إلى درجة أرقى من التمام والكمال ، أما الكمال التام فلم يكن لأحد من قبل ، ولن يكون لأحد من بعد ، إنه الظل الذي يجري خلفه عظماء الإنسانية ولم يبلغوه ، وسيجري خلفه البشر حتى يرث الله الأرض وما عليها .

(٢٥) الخاتمة

نحن مسلمون ، وليس في عقيدتنا ما يمنع ؛ بل في قصصها الديني ما يؤيد أن الجزيرة العربية مهد الاجتماع الإنساني ، ونؤمن بأن آدم عليه السلام أبو البشر الحاليين الذين يعيشون على الأرض اليوم ، و نؤمن بالقرآن الكريم الذي جاء فيه﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾.

اختلفت العلماء في هذه الأسماء ، المؤلفة الفاضلة تضعنا أمام دراسة رصينة تثبت أن هذه الأسماء كانت عربية ؛ بل وعشرات الأفعال أيضًا .

هل كان هذا المعنى الإسلامي من أهداف المؤلفة الفاضلة عندما تفرغت عشر سنوات لتأليف هذا الكتاب ؟ ؛ كنت لا أستبعد ذلك ، ولكني بعد أن قرأت كتابها العربي صرت أجزم بذلك ؛ لأن الكاتبة عربية مسلمة تحب لغتها إلى درجة العشق ، وهي تعرف جيدًا حقيقة ما هي مقدمة عليه ، فهي عندما تثبت أن اللغة العربية أصل الكلام تثبت في الوقت نفسه أن جزيرة العرب هي مهد الاجتماع الإنساني ، ولكن ذلك لا يتم بالتعصب للرأي واعتساف الحجج ، فلا بد من الدليل المشرق والحجة الواضحة ، ولذلك لا بد من المزيد من الدراسات .

وإذا كان العرب أن يقولوا من قبل : نحن أصحاب حضارة ، فلهم أن يقولوا بعد ذلك : نحن الحضارة ونحن التاريخ ، ونحن البشرية ، ومن هنا ، من هذه الجزيرة أشرق فجر الإنسانية ، منها خرج الإنسان ، أمتنا هي أم الأمم ، وحضارتنا أم الحضارات على الأرض ، نقول هذا الكلام لأولادنا وطلابنا ليس من باب الاستعلاء ، ولكن ليكونوا في مستوى العطاء الحضاري المأمول منهم ، فالإنسان كالشجرة ، كلما ازدادت جذوره وانتماءاته عمقًا في تراب التاريخ كلما ازدادت شخصيته قوة واستقلالاً وتميزًا وصمودًا وقدرة على العطاء ، نقول هذا لأولادنا ليزدادوا إيمانًا بأن إنسان هذه الأرض كان ولا يزال وسيبقى صانع حضارة ؛ بل هو أبو الحضارات جميعًا .

ولذلك أدعو الدارسين إلى متابعة الجهد الذي بدأته هذه السيدة الفاضلة التي شقت طريقًا يحتاج إلى متابعة في أكثر من اتجاه . والله من وراء القصد .

مشكلات في الثقافة العربية

لعلي عقلة عرسان

ياسر الفهد

عضو اتحاد الكتاب العرب - دمشق - سورية

**عرسان ، علي عقلة / مشكلات في الثقافة العربية .-
دمشق ، اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٨٩م ، ٣١٠ ص .**

لقد أعلنت هيئة الأمم المتحدة العقد الذي يمتد من عام ١٩٨٨ وينتهي في غاية عام ١٩٩٧ عقداً عالميا للتنمية الثقافية . وهذه مناسبة جيدة كي ينبري الكتاب والمفكرون لمعالجة شئون الثقافة وشجونها ، بجوانبها المتعددة ، على أوسع نطاق ممكن .

وقد اخترنا هنا الحديث على الثقافة العربية واستقصاء همومها من خلال مراجعة كتاب (مشكلات في الثقافة العربية) الذي ألفه علي عقلة عرسان رئيس اتحاد الكتاب العرب ، والمؤلف أديب وكاتب مسرحي يكتب في حقل الدراسة المسرحية ، ويؤلف المسرحيات ، ويحاضر في قضايا الفكر ، ويعالج بدراسات المختلفة مسائل الثقافة في الوطن العربي .

ولا شك أنه بحكم موقعه رئيسا لاتحاد الكتاب العرب سنوات طويلة ، قد اطلع عن كثب ، واحتك بصورة مباشرة بكثير من المشكلات والقضايا الحيوية المتعلقة بالحياة الثقافية ، مما يجعل لأفكاره الخاصة بالثقافة قيمة واضحة ، ويمكن تلخيص هذه الأفكار وتحليل اتجاهاتها ومدلولاتها ، كما ظهرت في كتاب (مشكلات في الثقافة العربية) ، على النحو التالي :

١ - يُعنى المؤلف في كتابه عناية كبيرة بمشكلات الكتاب العربي وقضايا الإبداع والنشر ، والتي باتت تشكل اليوم هاجسًا يوميًا ، وهمًا يجثم على كاهل كل مؤلف ومثقف . وهناك من هذه المشكلات : الرقابة على الإنتاج الكتابي ، وارتفاع تكاليف الإنتاج والشحن ، وقيود العملة وصعوبة تنقل الكتاب من قطر إلى قطر عربي آخر ، والعلاقة المعقدة بين الناشر والمؤلف والرقابة والمطبعة والموزع ، وعدم ضمان حقوق المؤلف والمترجم بصورة كاملة، وغياب التشريعات التي تنظم العلاقات الثقافية تنظيمًا واضحًا ، ونتيجة لهذه الأوضاع وغيرها ، أصبحنا نجد أن متوسط عدد النسخ المطبوعة من كل كتاب في أي قطر عربي يتراوح بين (٣٠٠٠) و (٥٠٠٠) نسخة ، ولا يتجاوز ذلك إلا في حالات استثنائية قليلة . وترتبط قضية الكتاب ارتباطًا عضوياً بقضية النشر الذي اتسع مدلوله اليوم بفضل التطور التقني السريع وتنوع وسائل الاتصال الحديثة ، فأصبح يشمل ، بالإضافة إلى وسائل النشر والبث التقليدية المعروفة، وسائل أخرى مثل الأقمار الاصطناعية ومصارف المعلومات وأنظمة الحواسيب ، وشبكات الخطوط المتقنة المؤلفة من الألياف الزجاجية ، وأجهزة العاكس التصويري - الناسوخ - (الفاكسميلي) والتقنيات المعتمدة على أشعة الليزر . وقد أدى اتساع وسائل النشر وتطورها بهذا الشكل إلى انبثاق ثورة في

نظم المعلومات .

ويُرجِع المؤلف تاريخ النشر في البلاد العربية إلى أربعينات هذا القرن حين كان المركز الرئيسي للنشر القاهرة وبيروت . ومع بروز المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وتأسيس اتحاد الناشرين العرب في الثمانينات ازدادت أهمية النشر ، واتسع مفهومه ليشمل النشر المطبوع والنشر المسموع والنشر المرئي .

ولكن على الرغم مما حققت قضية النشر اليوم من نجاح ، فإن أوضاعه مازالت تكتنفها المصاعب والعقبات . ويشعر عرسان بالحاجة إلى «إحداث تغييرات نوعية وجذرية في واقع النشر العربي على صعيد القطاعين العام والخاص ، وصولاً إلى إنتاج متميز من حيث الكم والكيف ، وإلى تصنيع أفضل للكتاب بكلفة أقل ، وإلى انتشار حقيقي للمادة الثقافية والإبداعية المطبوعة ، وإلى وضع تعاملي محكوم بوجدان مهني ورؤية قومية ، وإلى قوانين شاملة لساحات العمل الثقافي في أقطار الوطن العربي » .

كما أنه يلح على ضرورة إقامة مؤسسة قومية للنشر والتوزيع على مستوى الوطن العربي كله ، تتوافر لها إمكانات مالية مناسبة وتسهيلات قانونية وجمركية كافية . وهذا ينسجم في الحقيقة مع قرار المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في عام ١٩٨٧ ، والداعي إلى تعاون الدول العربية فيما بينها على إقامة المؤسسات الثقافية القومية التي تخدم أهداف الثقافة العربية على مستوى قومي شامل مثل مؤسسات النشر والتوزيع والإنتاج السينمائي والتلفزيوني والإذاعي وسائر وسائل الاتصال الأخرى .

ويؤكد المؤلف أهمية التعاون العربي مشيرًا إلى «الحاجة الماسة إلى توظيف الطاقات والقدرات العربية من خلال رؤية موضوعية لضرورة قيام تكامل عربي ، على الصعيد الاقتصادي خاصة ، لمواجهة المتغيرات السياسية والاقتصادية والثقافية العالمية ، ولإيجاد الأرضية الممكنة لإنشاء صناعات ومشروعات عربية ضخمة تعتمد على سوق العرض والطلب عربياً ، وتلبي احتياجات المواطن العربي ، المادية والمعنوية» .

ومع أن المؤلف ينحو في معالجة قضية النشر نحوًا عربياً عاماً ، فإنه لا يغفل عن إلقاء الأضواء على تطور النشر في سورية ، فبين كيف بدأت الحياة الثقافية الحقيقية في سورية مع إنشاء وزارة الثقافة والإرشاد القومي في عام ١٩٥٨م . وفي ذلك الوقت كانت مجلتا الآداب والأديب البيروتيتان ، بالإضافة إلى بعض المجلات المصرية ، تهيمن على الساحة الأدبية والثقافية السورية ، وتستقطب الأدباء السوريين . أما المجلات السورية فلم تكن باستثناء مجلة النقاد الأسبوعية ، قادرة على مزاحمة المجلات اللبنانية والمصرية . وقبل ذلك كانت دور النشر الخاصة هي التي تسيطر وحدها على قطاع النشر . وبعد وزارة الثقافة ظهر مجمع اللغة العربية ثم اتحاد الكتاب العرب . وقد قامت هذه الجهات الثقافية الثلاث بأدوار مهمة في خدمة قضية النشر . فوزارة الثقافة السورية تصدر سنوياً زهاء مئة كتاب . وهي تمنح الأولوية لنشر كتب التراث، يلي ذلك الأدب العربي المعاصر ، فالدراسات، وأخيرًا العلوم المختلفة . وتُعنى الوزارة من خلال مديرية التأليف والترجمة فيها عناية فائقة بالترجمة ، إذ أن ٧٥٪ من الكتب التي تصدرها مترجمة . وهي تقوم عادة باختيار الكتب الأجنبية وتكليف المترجمين بترجمتها . وقد أصدرت الوزارة منذ تأسيسها وحتى غاية ١٩٨٧ زهاء (١٢١٥) عنوانًا لكتاب . وهذا بالإضافة إلى إصدار مجلات (المعرفة) و (الحياة السينمائية) و (الحياة المسرحية) و (الحياة التشكيلية) . أما مجمع اللغة العربية ، فجهده في مجال النشر متخصص ومحدود . وهو يركز على نشر الكتب التراثية المحققة ، إلى جانب إصداره مجلة المجمع التي تُعنى بقضية اللغة العربية بصورة رئيسية .

وبالنسبة لاتحاد الكتاب العرب الذي يرأسه عرسان نفسه ، فقد أصدر منذ عام ١٩٧٠م وحتى غاية عام ١٩٨٧م ما يقارب (٥٩١) عنوانًا يحتل بينها الأدب العربي الأولوية . ويلي ذلك الشعر فالدراسة ثم القصة والرواية فأدب الأطفال وأخيرًا المسرحية . أما الترجمات فهي قليلة جداً . وفي بعض السنوات تكون معدودة . ويصدر الاتحاد مجلات الموقف الأدبي والتراث العربي والآداب الأجنبية بالإضافة إلى صحيفة الأسبوع الأدبي .

ويرى عرسان أن من بين أهم مشكلات الكتاب والنشر في الأقطار العربية وفي سورية عدم توافر التجهيزات اللازمة للثقافة ، وإمكانات التصنيع ، والمواد كالورق ، مما يجعل الوطن العربي يرزح باستمرار تحت رحمة السوق الخارجية .

ومما يحز في نفس المؤلف أن هذا الوطن لا يصنع أكثر من ٣٥٪ من احتياجاته الورقية في الوقت الذي تتوافر فيه مواد خام في الأقطار العربية تصلح لصناعة الورق بكميات تكفي لسد حاجات هذه الأقطار جميعها . وأكثر الظواهر صلة بالكتاب والنشر ، الإبداع . ويؤكد المؤلف أن الإبداع لا يمكن أن ينمو بصورة مرضية في ظل الأوضاع الثقافية العربية القائمة . وهذا يجعل من الضروري إعادة ترتيب البيت الإبداعي ، ولا سيما أحكامه ومعاييره ، وإعادة كتابة تاريخه ، مع الدعوة إلى تكاتف المبدعين من خلال اتحاداتهم .

٢ - ويصنف عرسان مشكلات الثقافة العربية فيقسمها إلى نسقين ، أحدهما نسق عميق يتعلق بالتكوين القيمي والفكري والأخلاقي للأمة ، ويتصل بالمقومات الأساسية التي تجعل للأمة شخصيتها الثقافية ، وثانيهما نسق سطحي يتبدى بالمعاناة الثقافية اليومية ، وبتأثير الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية المرحلية في الثقافة والعمل الثقافي . ويذكر المؤلف من مشكلات النسق الأول الموقف من التراث ، فهناك من يرى في التراث سجنًا يغشي الأبصار ويمنع من رؤية الحياة المعاصرة . وهذا بالطبع موقف خاطئ . أما الموقف الثاني السليم فيعد التراث كنزًا علينا أن نمتح منه ليمنحنا الثقة . وهناك أيضًا مشكلة حرية التعبير . وهي تتبع النسق الأول من حيث الوعي بها وكيفية تجليها في الإبداع ، وتتبع النسق الثاني من حيث الممارسة اليومية ، أي أن حرية التعبير تدخل ضمن النسقين معًا .

وترتبط بالنسق الأول ، أيضًا ، مشكلات المحاولات الخبيثة لإضعاف اللغة العربية التي تعد المقوم الرئيسي للثقافة العربية فهناك جهات تسعى إلى تشويه هذه اللغة واتهامها بالعجز عن مجاراة العصر واستيعاب المصطلحات العلمية وإلى تحميلها مسئولية تخلف الأمة ، كما تدعو إلى إحلال اللغة العامية محلها . وهنا نجد المؤلف يدافع عن اللغة العربية دفاعًا شديدًا مُرجعًا قصورها اللغوي في قطاعات العلوم الحديثة إلى سياسات التعليم والحالة العامة للوطن العربي ، ومبرهنًا على خطورة الهجمات التي تتعرض لها هذه اللغة بنقل أقوال أحد الفلاسفة الأجانب الذي زعم «أن اللغة العربية الفصحى ظلت وما تزال تنقل إلى أهلها عالمًا يزداد بعدًا عن عالمهم ويتناقض مع العالم الحضاري التكنولوجي» . وهذا قول مستهجن يفيض بالتجني وهناك مشكلة الطرح المتشائم الذي يطرحه بعض المثقفين من أمثال محمد عابد الجابري الذي يذهب إلى أن التخلف سمة من سمات العقل العربي الذي انبثق عن حياة الصحراء والبداوة الأولى . ويرد عرسان على هذا الطرح ويدحضه بقوة مبينًا أن الحياة العربية الأولى ، وإن كانت تتسم بوجود البداوة في اللغة والتفكير والموروثات ، إلا أن الماضي الغابر سجل أيضًا نشوء حضارات وحواضر عربية مزدهرة يفخر بها كل عربي ، كتلك التي وُجدت في شبه الجزيرة العربية واليمن والعراق وبلاد الشام . ويعيد المؤلف إلى أذهاننا حقيقة اختراع الأبجدية وشريعة حمورابي . وهما من بين أبرز إنجازات العرب .

ويذكر الكتاب من مشكلات النسق الثاني صعوبات توزيع الكتب والدوريات وانتقالها من قطر إلى آخر ، والغزو الثقافي الخارجي ، وضرورة التحصن ضده ، ومشكلة حقوق التأليف والترجمة ، والمعاناة المادية للمثقف وصعوبات النشر ، والرقابة على الإبداع ، وعدم توافر الحد الأدنى من الأمن الثقافي العربي . وبالطبع فإن مشكلات النسق الثاني أقل استعصاء على الحل وأقل أهمية من مشكلات النسق الأول ؛ لأنها أقل ارتباطًا بالجذور .

٣ - يمزج المؤلف الثقافة بالسياسة ، فيجمع في كتابه بين رصد الواقع الثقافي وبين التحليل والنكتة السياسية البارعة، وهو لا يفصل الثقافة عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ؛ بل يجد بين جميع هذه الظواهر جسورًا عريضة ممتدة وعلاقة جدلية وثيقة قائمة بحيث يؤثر كل وضع بالأوضاع الأخرى تأثيرًا عمليًا حقيقيًا ، سلبًا أو إيجابًا ، ويعرّف عرسان الثقافة بأنها «فعل يصنعه الوعي وينميه تفاعل الرأي ، وحركة تعريض تنداح دوائرها وتترامى آفاقها بالمعرفة .» والثقافة بالنسبة إليه هي الثقافة العربية الشاملة لا الثقافة القطرية الضيقة التي كثيرًا ما تتعارض مع المصلحة العربية . وهو يعبر في أمكنة عديدة من الكتاب عن أسفه ؛ لأن السياسة تحاول أن تسيطر على الثقافة وتسخرها لصالحها . ومن الشواهد الأخرى على اتجاه المؤلف نحو صهر الثقافة والسياسة في بوتقة واحدة، أن مقدمة الكتاب وعنوانها

(توقف أنت) هي بأكملها ذات مضمون سياسي بحت ، وتدور حول أخطار تحويل الأفعال إلى مجرد أقوال والمبالغة في التباهي بإنجازات وهمية على حساب العمل الحقيقي على الأرض . كما أن هناك فصلاً كاملاً بعنوان (نعم تساوي لا) يتناول قضايا السياسة العربية وهيمنة السياسة على كافة شئون الحياة العربية بما فيها الثقافة والكلمة .

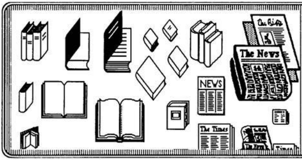
٤ – ويهتم المؤلف أيضًا بقضايا اتحادات الكتاب . فبالإضافة إلى التفصيلات الوافية التي أوردها حول نشاطات اتحاد الكتاب العرب الذي يرأسه هو نفسه في مجال نشر الكتاب وإصدار المجلات نجده يخصص في نهاية الكتاب فصلاً كاملاً حول المؤتمر الثامن لاتحاد الكتاب السوفيت الذي عُقد في موسكو في شهر حزيران من عام ١٩٨٦م . وقد شارك عرسان في هذا المؤتمر وفي المؤتمر السابع الذي سبقه في عام ١٩٨١م . وحضر المؤتمر الثامن (٥٦٠) مندوبًا جاءوا من جمهوريات الاتحاد السوفيتي (سابقًا) ممثلين لأعضاء الاتحاد البالغ عددهم (٩٦٠٠) عضو بمن فيهم المترجمون . وناقش المؤتمر قضايا الإبداع والكتاب والنشر والثقافة وموقف الكاتب من الجماهير والحياة والقضايا العامة والسياسة . وقد طالب الكُتّاب بإطلاق حرية الكلمة ، كما طالب المترجمون بتخصيص اتحاد خاص بهم . سجل المؤلف انطباعاته الشخصية بأسلوب أدبي وعاطفي مشيدًا بجو الحرية الذي ساد المؤتمر وشارحًا العلاقة الجدلية بين الحرية والإبداع .

كلمة أخيرة

وبعد ؛ فإن الدراسة التي تضمنها كتاب (مشكلات في الثقافة العربية) تشكل جهدًا قيمًا يضاف إلى جهود كتاب آخرين عالجوا قضية الثقافة العربية وسبل النهوض بها وتطويرها من خلال إلقاء الأضواء على المسائل المتعلقة بالكتاب العربي وتوزيعه وبالأدب والإبداع والنشر وغير ذلك وتنّم الدراسة التي تعتمد على التحليل المتعمق بدلاً من العرض السطحي ، عن اطلاع واسع ودراية بالحياة الثقافية العربية اكتسبها عرسان من خلال اضطلاعه بمهام عمله رئيسًا لاتحاد الأدباء العرب لمدة من الزمن ، وكذلك رئيسًا لاتحاد الكتاب العرب حتى اليوم . وهي إلى جانب ذلك موثقة بشكل علمي وجيد ، إذ أن المؤلف عمد فيها إلى الرجوع إلى النصوص القديمة لإثبات صحة وجهات نظره وآرائه ، ولا سيما فيما يتعلق باختراع الأبجدية وسن التشريعات القانونية القديمة . وهو ما يرمي من خلاله إلى البرهنة على عراقة العرب وأصالة جذورهم الحضارية الممتدة في أعماق الماضي وبطون التاريخ القديم وذلك دحضًا للأكاذيب والأراجيف المضللة الهادفة التي تحاول التشكيك بقيمة العرب الحضارية وقدرتهم على مجاراة الشعوب الأخرى ، كما تحاول تشويه حقيقة اللغة العربية وصلاحيتها لاستيعاب العلوم الحديثة المتطورة . ولكن هناك ثغرة في الكتاب تتجلى في عدم وجود ترابط كامل بين أجزائه وأفكاره . وهذا طبيعي ؛ لأن الدراسات التي يتضمنها الكتاب قد اختيرت لتنشر بصورة متفرقة في هذه الصحيفة أو تلك أو لتلقى في محاضرة في هذا المركز أو ذاك ، وإن كان يجمعها ويؤلف بينها خيط واحد هو الخيط الثقافي .

ومن جهة ثانية ، يبدو أن هناك مبالغة في الطرح السياسي . فصحيح أن السياسة تؤثر في الثقافة ، إلا أن المؤلف ذهب بعيدًا جدًا في معالجاته السياسية ، وإلى أبعد من المدى الذي يفرضه تأثير السياسة في الثقافة . وبتعبير آخر ، فإن المعالجات السياسية العميقة في الكتاب إنما تصلح بشكل خاص لكتاب ذي موضوع سياسي بحت . صحيح أن هناك وشائج وصلات عميقة تصل السياسة بالثقافة وتقيم بينها الجسور العريضة ، إلا أن الكتاب الثقافي شيء والكتاب السياسي شيء آخر .

بقي أن نذكر أن قضايا النشر قد احتلت من ثلث إلى نصف صفحات الكتاب تقريبًا . وهذا الحيز الكبير المخصص لمعالجة موضوع النشر بمختلف جوانبه ، ربما يجعل من المناسب لو أن المؤلف أدخل كلمة (النشر) ضمن عنوان الكتاب ليصبح العنوان (مشكلات في الثقافة العربية والنشر) وعلى كل حال ، فإن العنوان الحالي يبقى عنوانًا جيدًا ؛ لأن النشر هو جزء أساسي من أجزاء منظومة الثقافة .



أخبار ثقافية

أمين سليمان سيدو – الرياض
محمد نور يوسف – دمشق
إبراهيم نويري – الجزائر

متفرقات

* كشف مواطن لبناني مقيم في الدوحة عن حيازته لمصحف صغير لا يتجاوز طوله ٢,٣٠ سنتيمترًا وعرضه ٢,٢٥ سنتيمتر، وارتفاعه سنتيمتر واحد، ووزنه ٨,٥ جرام، وقد تم وضعه في إطار فضي يوجد به منظار للقراءة .

ويعد هذا المصحف الذي أهداه للمواطن اللبناني جد زوجته قبل ١٤ عامًا من أندر المصاحف .

الفيصل . ع ١٩١ (جمادى الأولى ١٤١٣هـ)

* أصدرت شركة مايكرو سوفت لبرامج الكمبيوتر نسخة جديدة من برنامج «قاموس أوكسفورد للغة الانجليزية» البرنامج مسجل على اسطوانة واحدة قياس خمسات إنشات وربع الانش ، وهو يحتوي على قاموس أوكسفورد بأكمله ، أي ما يزيد على ٦١٦٥٠٠ كلمة ومعانيها ، ومرادفاتها ، و ٢,٤ مليون مرجع وقول مأثور وصورة توضيحية ، وتبلغ زنة المواد التي سجلت على الاسطوانة ١٣٧ رطلاً من الورق الخفيف، وثمنها يصل إلى ٢٧٥٠ دولارًا .

وأبرز ما يميز البرنامج الجديد هو : سهولة البحث عن المادة المطلوبة ، إذ أن فترة البحث عن الكلمة الواحدة ، بمعانيها ومرادفاتها ،ورسومها التوضيحية والأقوال المأثورة التي تتعلق بها ، وتاريخ دخولها قيد الاستعمال في اللغة ، وأصولها ومراجعها لا تزيد على ثماني ثوان .

والبرنامج يحتوي على عدة نوافذ ، ومجموعة من قوائم البيانات ، وهو يتيح لمستخدمه حرية الرجوع إلى أكثر من ملف في وقت واحد ، وجمع المواد المطلوبة من هذه الملفات .وفي هذا المجال تعاونت مطبعة جامعة أوكسفورد مع شركة «اند» لبرامج الكمبيوتر الهولندية لضغط البيانات وحصرها في أسطوانة واحدة . كما حسنت أسلوب البحث والاستعادة ، بحيث بات في ميسور مستخدم البرنامج البحث عن الكلمة سواء بالنسبة لتاريخ دخولها اللغة .

اليمامة . ع ١٢٣٨ (١٤١٣/٧/١٣هـ)

* ينتظر أن تعاد طباعة ترجمة معاني القرآن الكريم التي أعدها المستشرق الروسي دميتري بغو سلافسكي قبل مائة وعشرين عامًا، وتعد أول ترجمة للقرآن الكريم باللغة الروسية. تصدر الترجمة في طبعتها الجديدة عن دار الأدب الشرقي في موسكو .

وما يميز ترجمة بغوسلافسكي عن ترجمة الأكاديمي كراتشكوفسكي التي نشرت عام ١٩٦٣م ، أن الترجمة الأولى تشتمل على تفسيرات تركية للقرآن الكريم نادرًا ما اهتم بها الباحثون .

الفيصل . ع ١٩١ (جمادى الأولى ١٤١٣هـ)

* بدأت جريدة «الحضور» الكاثوليكية الصادرة في العاصمة البوليفية أخيرًا في طبع أول معجم أسباني – كيشوا – امارا في العالم في شكل كراسات .

ويعرف هذا المعجم إقبالاً كبيرًا من طرف القراء ، حيث نفدت جميع الكراسات الأولى التي طرحت في الأسواق ، مما شجع المشرفين على هذه التجربة على إعادة طبع الكراسات الأولى التي صدرت في هذا المعجم الفريد . ويشرف على هذا المعجم لغويون ومتخصصون

في لغتي «الكيشوا والايمارا» وتوجد في بوليفيا نسبة كبيرة من السكان الأصليين الذين لا يتحدثون سوى الكيشوا والايمارا وإن كان معظم السكان يتحدثون اللغة الأسبانية إلى جانب إحدى اللغات القديمة للسكان الأصليين في القارة الأمريكية. وتنتشر هاتان اللغتان في البيرو، في حين يتحدث السكان الأصليون في الأكوادور لغة الكيشوا فقط التي كان يتحدثها أجدادهم، وهم الانكا الذين أقاموا أكبر إمبراطورية قبيل غزو الأسبان للقارة والتي دامت زهاء قرن من الزمان .

الشرق الأوسط . ع ٥١١٨ (٨/٦/١٤١٣هـ)

* قام المركز الدولي للدعوة الإسلامية في مدينة دوربان الذي يديره الشيخ أحمد ديدات الحائز على جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام بتوزيع ترجمة لمعاني القرآن الكريم بلغة «الزولو» .

و «الزولو» اسم قبائل مشهورة كبيرة العدد معظمها من السود، وتعيش في جنوب أفريقيا، ولها حزب يدعى «انكاثا» ينافس حزب مانديلا على الزعامة .

الفيصل . ع ١٩٢ (جمادى الآخرة ١٤١٣هـ)

* عن سن ناهزت الرابعة والثمانين توفي في العاصمة التشيلية الشاعر التشيلي الكبير اومبرتو دياس كازانوبيا إثر نوبة قلبية .

وكان الشاعر كازانوبيا قد تخرج في إحدى الجامعات الألمانية وتخصص في الفلسفة، وجمع بين كتابة الشعر والعمل الدبلوماسي .

وفي عام ١٩٧١ عندما كان الرئيس سلفادور الليندي صديق بابلو نيرودا، رئيساً لتشيلي عينه سفيراً لبلاده في الأمم المتحدة . وبعد إطاحة الرئيس الليندي عام ١٩٧٣ على يد الجنرال أوجوستو بينوشيه لم يعد كازانوبيا إلى تشيلي ومكث في نيويورك لمدة عشر سنوات حيث كان يدرس بجامعة كولومبيا . وقد قام الشاعر كازانوبيا خلال هذه الفترة بنشاط كبير ضمن المجموعات الدولية المعارضة والمناهضة لسياسة التمييز العنصري في جنوب أفريقيا .

الموت هو أحد أبرز الموضوعات التي تحفل بها أعماله الشعرية وقد وصف الحمام ذات مرة بأنه : «القدر القادم من أعمق دهاليز الفكر المعتمة» .

من أشهر مختاراته الشعرية التي نال عنها عدة جوائز تقديرية ديوانه الذي يحمل عنوان «الحديد والخيط» و «الصوت الموشوم» .

الشرق الأوسط . ع ٥١٥٦ (١٦/٧/١٤١٣هـ)

أكثر الكتب مبيعاً في أمريكا اللاتينية

– احتلت مجموعة القصص القصيرة، التي صدرت أخيراً للكاتب الكولومبي جابرييل جارسيا ماركيز (جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٨٢)، وهي بعنوان : «اثني عشرة قصة مهاجرة» مكان الصدارة في المبيعات في العاصمة الفنزويلية وعواصم دول أمريكا اللاتينية، خلال العام الماضي .

ويلي هذه المجموعة كتاب «نهاية القصة وآخر الرجال» لفرانسيس فوكوياما (الولايات المتحدة الأمريكية)، ثم كتاب «الاشتراكية ماتت، الاشتراكية عاشت» للكاتب الفنزويلي فوريس موليرو، فكتاب «دونيا اينيس ضد النسيان» للكاتبة الفنزويلية انا تريسا توريس .

وفي ما يلي عرض للكتب التي تصدرت المبيعات في دول أمريكا اللاتينية :

الأرجنتين

«اثني عشرة قصة مهاجرة» لجارسيا ماركيز، ثم «عندما أقول مجدالينا» للكاتبة إليسيا ستنبرج، ويليه «الجانب الآخر للحب» جاكلين بريسكين، وأخيراً «ديانا قصتها الحقيقية» لأندرو مورتون .

البرازيل

احتل الصدارة الكاتب البرازيلي باولو كويلو بروايته «الحوريات» ثم تلاه مباشرة الكاتب موريس ويست بروايته

«معلم المناسبات» ثم باولو كويلو بروايته «الكيميائي»، فالكاتبة البرازيلية راشيل كيروز بكتابها «مذكرات ماريا ماورا» .

ولاقى كتاب طريف صدر أخيراً بعنوان «السخرية في أزمان كولور» اهتمام القراء نظراً لأنه يحفل بالعديد من الصور الكاريكاتورية والرسومات التهكمية ، وهو من وضع عدة مؤلفين .

الأورجواي

«الإنجيل حسب سان دينيرو» سجل الرقم الأول في المبيعات وهو دليل لتحقيق النجاح في الحياة من تأليف العالم النفساني جوستافو إكروت ، ويحتل الكاتب نفسه المرتبة الثانية في المبيعات بكتابه «الجنون الأوروجوائي» ثم يأتي كتاب جارسيا ماركيز مجموعة «اثني عشرة قصة مهاجرة» ثم كتاب «العناق» للكاتب الأورجوائي الكبير إدواردو جاليانو .

بوليفيا

تأتي مجموعة جارسيا ماركيز القصصية في الطليعة وقد نفدت جميع الطبعات التي نزلت إلى الأسواق في بوليفيا .

أما الكتاب الثاني من حيث التوزيع فهو للكاتب الأوروجوائي «نابليون بوشينو» بروايته «مالوكو» رواية المستكشفين ثم كتاب «خمسون سنة من التاريخ» للكاتب رينيه زاباليتا من بوليفيا» .

التشيلي

كذلك تحتل مجموعة ماركيز المركز الأول ، يليها ديوان شعر للشاعر التشيلي ارتورو مونتنين بعنوان : «إن تسمع صوتها» ، ثم كتاب «نحن نحب بعضنا الآخر كثيراً» ، للكاتبة التشيلية «مارسيلا سيرانو» ثم كتاب «النساء ذوات العيون النجل» للكاتبة المكسيكية انخليس ماستريتا ، ثم كتاب «إن شاء الله» للصحافية الإيطالية أوريانا فالاسي .

الباراجواي

«سهر أمير البحر» للكاتب الروائي الكبير أوجوستو روباستوس تحمل الرقم الأول وهي رواية تاريخية جميلة حول المستكشف الأسباني كريستوفر كولومبوس ، ثم يليها مباشرة كتاب «كيف تكسب الأصدقاء» ، لدالي كارينجي فكتاب «الشمس الشارقة» لمشيل كريشتون .

البيرو

مجموعة ماركيز في الصدارة تليها «كلمة العالم» لخوليو رامون ، فرواية «الخطة اللانهائية» ، لإزابيل الليندي ، ثم كتاب «سنديرو لومينوسو» لسيمون سرونج ، و«الصديق الذي لم ينقذ حياتي» لهيرفي جلبرت و« حرب نهاية العالم» لماريو فرجاس يوساف و«وداعاً أيها السلام» لهمنجواي .

المكسيك

تتصدر واجهات جميع المكتبات مجموعة ماركيز يليها مباشرة كتاب «هدية استثنائية» لروجي باثرون ثم «المرأة الدفينة» لكارلوس فوينس .

الولايات المتحدة

(القطاع الأسباني)

«أدعى ريجوبير طامنشو» و«هكذا ولد ضميري» لإليزابيث بورجوس حول المواطنة الجواتمالية ميشو الحائزة على جائزة نوبل للسلام هذا العام يأتي في الصدارة ثم يليه كتاب ماركيز ، فكتاب «فيديل كاسترو ونهاية الطريق» لسانتياجو اروكا و«الجبل» ليديا كوبريرا و «قصص منتصف الليل» لويس انخيل كاساس .

الشرق الأوسط . ع ٥١٤٩ (١٩٩٣/١/٢م)

وفيات

* **أحمد راتب النفاخ :**

توفي اللغوي المشهور أحمد راتب النفاخ بتاريخ ١٤١٢/٨/١١هـ الموافق ١٤ / ٢ / ١٩٩٢م .

ولد النفاخ في حي الصالحية بدمشق عام (١٩٢٨م)، ودرس الابتدائية في المدرسة الصاحبة (في الحي المذكور)، وبعدها تابع دراسته في ثانوية التجهيز الأولى (جودة الهاشمي) الآن، انتسب بعدها إلى كلية الآداب - قسم اللغة العربية في جامعة دمشق وتخرج فيها عام (١٩٥٠م)، ودرس بعد ذلك دبلوم التربية، ثم عُيّن معيداً في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق. وفي عام ١٩٥٤ سافر إلى القاهرة للدراسات العليا، حيث نال درجة الماجستير عام (١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م)، وكان موضوعها «الشاعر ابن الدُّمَينة».

بعد ذلك بدأ بتحضير رسالة الدكتوراه وفرغ منها لكنه لم يناقشها وبقيت محفوظة في مكتبته .

ودرّس في كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها ما يزيد على ربع قرن، واشترك في مناقشة رسائل علمية عديدة، وفي عام ١٩٧٦ انتخب عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق خلفاً للشيخ محمد بهجة البيطار، وفي عام ١٩٧٩ ترك التدريس الجامعي، وتفرّغ للعمل في المجمع حيث كان يشرف على مجلة المجمع حتى وفاته.

أعماله :

١ - النصوص الأدبية .- دمشق : مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥٥م، ٢٢٠ ص .
٢ - ديوان ابن الدمينة (تحقيق) القاهرة : مطبعة المدني، ١٣٧٩هـ، ٣٠٠ ص .
٣ - مختارات من الشعر الجاهلي (اختيار وتعليق) .- دمشق : مكتبة دار الفتح، مطبعة الآداب والعلوم، ١٩٦٦م، ٤٩٤ ص . ط أخرى . دمشق : مكتبة دار الفتح، ١٩٨٠، ٢٩١ ص .
٤ - فهرس شواهد سيبويه (شواهد القرآن، شواهد الحديث، شواهد الشعر) .- بيروت : دار الإرشاد ودار الأمان، مطابع دار القلم، ١٩٧٠م .
٥ - تحقيق كتاب القوافي للأخفش .- بيروت: دار الأمانة.
٦ - شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف للعسكري (أعاد العمل فيه) ونشر القسم الأول مجمع اللغة العربية بدمشق .
٧ - نقد الكتب، المعيار في أوزان الأشعار، والكافي في علم القوافي / بقلم أحمد راتب النفاخ ؛ تحقيق محمد رضوان الداية .- بيروت : دار الأنوار، ١٩٦٩م. ص٣٨٩ - ٤٠٤ (فصلة من مجلة معهد المخطوطات ١٩٦٩م).
٨ - نظرات في كتاب اللامات لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي، بقلم أحمد النفاخ، تحقيق مازن المبارك .- دمشق : ١٩٧٠، ٣٣ ص .
٩ - بضعة مقالات مطولة عن التحقيق العلمي نشرت في مجلة المجمع وأفردت في فصل مستقل .

* **أحمد عروة :**

توفي أحمد عروة، مدير جامعة الأمير عبدالقادر الإسلامية بقسنطينة يوم الخميس ٢٣ شعبان ١٤١٢هـ / ٢٧ فبراير ١٩٩٢م، وهذه نبذة عن حياة الفقيد :

ولد أحمد عروة يوم ١١ مايو ١٩٢٦م بقرية مدوكال جنوب الحضنة بولاية الأوراس (باتنة) . تلقى مبادئ الثقافة العربية الإسلامية على يد والده الشيخ محمد الصديق الذي كان إماماً بمسجد القليعة قرب العاصمة، وفي سنة ١٩٤٢م التحق الفقيد بالجزائر العاصمة لمواصلة دراسته في التعليم الثانوي .

وبعد أن تعذّر عليه مواصلة دراسته انتقل إلى فرنسا حيث التحق بثانوية اورليانس ليتحصّل على الجزء الثاني من شهادة البكالوريا، ومنها التحق بكلية الطب بجامعة مونبيليه، ويشارك في حياة جمعية الطلبة المسلمين قبل أن يصبح رئيساً لها (١٩٥٢ - ١٩٥٣) .

أنهى دراسة الطب باجتياز تربص بالمستشفى المدني بالبليدة، وقد كان ذلك منطلقا لإبراز مواهبه في الكتابة والتأليف، وكانت باكورة إنتاجه قصة عنوانها «عندما تشرق الشمس»، كتبها في الفترة التي انطلق فيها الكفاح المسلح لثورة تحرير الجزائر .

وفي شهر ديسمبر ١٩٥٥م نال شهادة طبيب لنجاحه في أطروحته (فقد الدم في الجزائر)، بعد عودته للجزائر

وفتحه لعيادة طبية لم يتأخر الفقيد عن الانخراط في جمعية أطباء المنظمة السياسية لحزب جبهة التحرير الوطني مما تسبّب في اعتقاله في فبراير ١٩٥٧ من قبل السلطات الاستعمارية .

وقد كثرت مؤلفات الفقيد في المعتقلات خصوصاً في معتقل «بوسوي» حيث كتب عدة دواوين شعرية بالعربية والفرنسية من ضمنها ديوان «أناشيد وطنية» .

وفي سنة ١٩٧١م انضمّ إلى قطاع الصحة العمومية حيث أسندت له مسئولية الإشراف على الفرع التقني للتطهير بالمعهد الوطني للصحة العمومية . وكان آخر منصب شغله مدير الجامعة الإسلامية بقسنطينة ، وله مؤلفات كثيرة أهمها «الإسلام بين مفترق الطرق» و«الإسلام والديمقراطية» .

*** بشير العظمة :**

توفي بدمشق بشير العظمة في يوم الأحد بتاريخ ٣ شوال/١٤١٢هـ الموافق لـ ٥ / نيسان (أبريل) /١٩٩٢م .

ولد العظمة في دمشق ١٩١٢م ، كان طبيباً ، وأستاذاً في كلية الطب بجامعة دمشق ، فرض عليه العزل المدني ابتداءً من ٢٥ / ٣ / ١٩٦٣م ولمدة عشر سنوات .

أعماله المطبوعة :

١ – السل : الوقاية والشفاء .– دمشق : مطبعة الترقي ، ١٩٣٧م ، ٩٢ ص .

٢ – موجز علم الأمراض الباطنية ، بالاشتراك مع الطبيب حسني سبح .

٣ – أمراض جهاز التنفس .– [دمشق] : الجامعة السورية ، ١٩٥٢م ، ٤٣٢ ص (كتاب جامعي) .

٤ – الأمراض الانتانية والطفيلية .– دمشق : الجامعة السورية ، ١٩٥٦م ، ٤٧٨ ص (كتاب جامعي) .

٥ – الطب في إنجازاته وإغراءاته / تأليف جان برنار ؛ (ترجمة) .– دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٧٦م، ٣٩٥ص .

٦ – جيل الهزيمة : بين الوحدة والانفصال ، مذكرات .– لندن: رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩١م، ٢٩٨ص.

– معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين / لعبدالقادر عياش ، ص ٣٦١

ملاحظة : (المعلومات الببليوجرافية عن أعمال الفقيد من إعداد معدّ هذه الرسالة) .

*** جمال حمدان :**

في القاهرة توفي في شهر أبريل ١٩٩٣م الدكتور جمال حمدان ، وكانت وفاته مثل حياته درامية ، فقد عاش في عزلة عن الناس منذ السبعينات الميلادية ، ثم مات في حريق شب داخل شقته المتواضعة ، وكان الدكتور حمدان قد أثار اهتمام القارئ العربي بكتابه (شخصية مصر) الذي قدم فيه طرحاً فكرياً امتزجت فيه وتداخلت جزئيات العلوم الاجتماعية والانسانية تردف احداها الأخرى في بناء صورة عن مصر لم يسبق طرحها من قبل .

وكانت بداية مأساة هذا العلم الكبير عندما شعر بغبن أثر ترقية علمية منحت لزميل له دون وجه حق مما دفع به إلى الشعور بالضيم والظلم ، ثم كانت عزلته الدائمة احتجاجاً على اتفاقية كامب ديفيد ، ورغم أن جمال حمدان عاش حياته وحيداً معتزلاً إلا أنه شغل القارئ العربي وحظي باحترام وتقدير كبيرين لم يحظ بهما كاتب عربي من جيله .

*** حسين سرحان :**

في مكة المكرمة توفي في يوم الثلاثاء السادس من شهر ذي القعدة ١٤١٣هـ حسين بن علي بن سرحان الذي ولد في مكة المكرمة عام ١٣٣٤هـ ويعتبر السرحان من رواد الحركة الفكرية والأدبية في المملكة العربية السعودية وأحد أبرز شعراء الجزيرة العربية والعالم العربي تميز شعره بالأصالة والقدرة على التفاعل مع المتلقي .

وللمرحوم ثلاثة دواوين شعرية هي :

١ – أجنحة بلا ريش (نادي الطائف الأدبي ، ١٣٩٧هـ) .

٢ – الطائر الغريب (دار الزايدي بالطائف ، ١٣٩٧هـ) .

٣ – في الأدب والحرب (نادي الطائف الأدبي ، ١٣٩٨هـ) .

٤ – من مقالات حسين سرحان (جمع يحيى ساعاتي . النادي الأدبي بالرياض ١٤٠٠هـ) .

٥ – الصوت والصدى (نادي الطائف الأدبي ، ١٤٠٩هـ) .

عاش السرحان في عزلة عن الناس مؤثرًا الابتعاد عن الحياة الاجتماعية وتباعتها ، وقد نال اهتمام جملة من الدارسين الذين كتبوا عنه الدراسات والبحوث كما جعله أحد الباحثين محورًا للحصول على الماجستير في الأدب العربي .

* **ظافر عبدالواحد :**

نعى اتحاد الكتاب العرب بدمشق الكاتب ظافر جمال الدين عبدالواحد عضو اتحاد الكتاب واتحاد الصحفيين ، الذي وافته المنية إثر مرض ألم به وذلك في يوم السبت ٢٢/ ٢ / ١٩٩٢م ودفن في مقبرة الدحداح بدمشق .

والكاتب الراحل ظافر عمل في مجلة المعرفة الدمشقية، ونشر العديد من الدراسات والبحوث الأدبية والترجمات ، وقد عرف بأدبه وترجماته عن الآداب الفرنسية ومن ترجماته:

الأتمتة L'automation / تأليف لويس سالرون ؛ ترجمة ظافر جمال الدين عبدالواحد .- ط ٥ .- دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٨١م ، ١٥١ ص .

* **عبدالرحيم الحصني :**

نعت وزارة الثقافة واتحاد الكتاب العرب الشاعر السوري عبدالرحيم الحصني في ١٥ شوال ١٤١٢هـ الموافق لـ ١٧ نيسان ١٩٩٢م عن عمر يناهز الستين عامًا ، بعد صراع حاد مع المرض .

ندع المجال للشاعر الحصني نفسه أن يعرّف بنفسه وثقافته وإنتاجه الشعري ، وذلك من خلال آخر حوار معه قبل وفاته بأمد قصير أجراه هاني الخير نشر في صحيفة «الثورة» بتاريخ ٢٥ آذار ١٩٩٢م في مستشفى المواساة .

= س : هل يمكن أن تعطونا لمحة عن المولد والنشأة والمصادر الثقافية ؟

- يجيب الشاعر الحصني : ولدتُ في حمص عام ١٩٢٩م في بيت علم وثقافة ..وكان الطابع الثقافي لذلك البيت متميزًا ومختلفًا عما هو سائد . درست في الكلية التي لم تكن شهادتها تعادل أي مستوى علمي في تلك الأيام ، وشغلت وظائف متوسطة تتناسب والشهادة التي أحملها . ولكني لم أركن إلى هذا القدر من العلم والثقافة بل انطلقت إلى مطالعة أمهات الكتب الأدبية التي كانت متوافرة في مكتبة البيت فقرأت (عيون الأخبار) مرات عديدة حتى صرت أعرف أين يوجد كل خبر من أخباره ؛ بل في أية صفحة من صفحاته .. قرأت أيضًا (كتاب الأغاني) وأذكر أني قرأته أكثر من عشرين مرة .. وقرأت أيضًا (العقد الفريد) حتى لقد كان يخيل إلي أنني قد حفظته عن ظهر قلب .

ثم انطلقت إلى دواوين الشعر العربي أقرأ وأحفظ منها ما شاء الله ، وقد تولد في نفسي ميل جارف إلى الشعر الذي استحوذ على معظم مطالعاتي فيما بعد . هذه الثقافة الشعرية الكبيرة منحتني ذائقة شعرية ومقدرة على التمييز بين جيد الشعر ورديئه ..

= وعندما سُئل عن إنتاجه الشعري المطبوع منه والمخطوط أجاب :

- صدرت مجموعتي الشعرية الأولى عام ١٩٧٣م عن وزارة الثقافة بعنوان (أمواج) ، كما صدرت لي مجموعة ثانية بعنوان (أناشيد متمردة) عام ١٩٨٠ . صدر لي أيضًا مجموعة بعنوان (ألحان ثائرة) عن المنشأة الليبية ، هناك كتاب رابع فيه شيء من الطرافة ؛ هذا الكتاب هو عبارة عن ملحمة للشاعر البلغاري إيفان فازوف بعنوان (ملحمة الثلة) وقد جاءتني هذه الملحمة مترجمة نثرًا بقلم الأستاذ حسين راجي ، فكلفت بكتابتها شعرًا موزونًا ، وقد حققت ذلك وحصلت على الوسام الذهبي من الدرجة الأولى من الحكومة البلغارية ، كما نلت جوائز أخرى ..وقد كنت مرشحًا لنيل الدكتوراه الفخرية منها ، ولكن الأحداث العالمية الأخيرة قد حالت دون ذلك ، أما كتابي الخامس فهو بيدر من الأوراق مكوّم في بيتي أعمل على جمعه وأحاول أن أضمه إلى أعمالي السابقة في (الأعمال الكاملة) لكي لا يبقى هذا الشعر مبعثرًا .

أما عن إسهاماته الأخرى في الحياة الثقافية فيقول :

من إسهاماتي في الحياة الثقافية أذكر أنني كنت عضوًا في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم

الاجتماعية في الستينات ، وقد كنت أصغر أعضاء هذا المجلس سناً واستطعت أن أقف فيه إلى جانب كبار شعراء العربية وأدبائها ، أذكر منهم على سبيل المثال .. حبيب جاماتي ، محمد مندور، أحمد حسن الزيات ، أحمد رامي، صالح جودت ، الشيخ العلامة بهجة الأثري ، إبراهيم الحضراني ، بشارة الخوري ، أمين نخلة .

وشاركت في مؤتمرات أدبية ومهرجانات شعرية كثيرة لا أستطيع إحصاءها .

*** عزيزة مريدن :**

توفيت عزيزة مريدن مساء يوم السبت ٢٥ المحرم ١٤١٣هـ الموافق لـ ٢٦ تموز ١٩٩٢م .

ومن الجدير بالذكر أن الراحلة من الرعيل الأول من أساتذة كلية الآداب في جامعة دمشق ، حيث كانت تدرس الأدب العربي الحديث ، ولها مؤلفات عديدة في الأدب المهجري والحديث ، منها :

١ - القومية والإنسانية في شعر المهجر الجنوبي .- القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، [١٩٦٥] ، ٦٤٤ص . طبعة أخرى : القاهرة : المؤسسة المصرية العامة ، ١٩٦٦م .

طبعة ثانية بعنوان : الشعر القومي في المهجر الجنوبي .- دمشق : دار الفكر ، ١٩٧٣م ، ٤٧٢ص.

٢ - دراسة نصوص من الشعر العربي المعاصر .- ط١ .- دمشق : دار الفكر ، ١٩٧٣م ، ١٤٤ ص .

٣ - القصة والرواية .- دمشق: دار الفكر، ١٩٨٠م، ١٢٧ص .

٤ - حركات الشعر في العصر الحديث .- دمشق : جامعة دمشق ، ١٩٨٢م ، ٣٥٧ ص .

٥ - القصة الشعرية في العصر الحديث .- ط ١ .- دمشق : دار الفكر ، ١٩٨٤ ، ٥١٢ ص .

*** منير الريس :**

نعت رابطة المحاربين القدماء في سورية ، واتحاد الصحفيين، والأوساط الثقافية الصحافي منير بن عبد الرحيم الريس الذي توفي في يوم السبت ٢٤ /٩/ ١٤١٢هـ الموافق لـ ٢٨ /٣/١٩٩٢م .

ولد الريس في حماة عام ١٩٠١م ، تلقى علومه الابتدائية والثانوية والعالية في مدرسة الآداب العليا ، نال الشهادة الابتدائية والشهادة الثانوية (قبل نظام البكالوريا) ثم شهادة مدرسة الآداب العليا من الجامعة السورية ، عمل مأموراً في إدارة الديون العامة العثمانية من عام ١٩١٩م إلى عام ١٩٢٥م ، وعمل محرراً في جريدتي المقتبس والقبس في دمشق : ومحرراً في جريدتي اليوم والأيام بدمشق ، ومراسلاً لجريدتي النهار والمساء البيروتيتين في دمشق منذ عام ١٩٢٧م إلى عام ١٩٣٨م ، وكان رئيس الشعبة السياسية في مديرية الشرطة العامة من عام ١٩٣٨ إلى عام ١٩٣٩م.

وهو صاحب جريدة (بردى) اليومية ورئيس تحريرها في دمشق، وصاحب جريدة (الوحدة العربية) و (الانقلاب) و (اللواء) ثم (بردى) اليومية في دمشق حيث رأس تحريرها من عام ١٩٤٥م إلى عام ١٩٦٣م .

تخلل عمله في الوظائف والصحافة ، وشارك في الثورة السورية عام ١٩٢٥م إلى ١٩٢٧م وفي ثورة فلسطين عام ١٩٣٦م ، وفي ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق عام ١٩٤١م ، وذيولها في محافظة الفرات ، بعدها لجأ إلى ألمانيا مدة الحرب ثم عاد إلى دمشق سنة ١٩٤٥م . كما تخللها العمل كمعلق سياسي في الإذاعة السورية ، ومديرية الدعاية والأنباء ، وإذاعة صوت العرب في القاهرة، ومراسل لجريدة الجمهورية القاهرية من دمشق ، وتخلل ذلك سنوات قضاها في سجون الفرنسيين بدمشق وبيروت وتدمر وتونس .

أعماله :

١ - سورية بين عهدين .- دمشق : مطبعة جريدة بردى ، ١٩٤٦م .

٢ - رسالة الاتحاد القومي .- القاهرة : وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٦٠ (سلسلة كتب قومية ٦٧) .

٣ - عيد الجلاء السوري .- القاهرة : وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٦١ (سلسلة كتب قومية ١٠٣) .

٤ – الثورة السورية الكبرى·– بيروت : دار الطليعة ، ١٩٦٩م، ج١.

٥ – الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي ·– دمشق : مطابع ألف باء ، ١٩٧٧ ، جزآن ، ٩٦٦ ص مع صور . (الأول : ثورة فلسطين عام ١٩٣٦ ، والثاني ثورة العراق عام ١٩٤١م) .

انظر (معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين ص ٢١٧ – ٢١٨ مع إضافات خاصة عن أعماله من معدٍّ هذه الرسالة) .

*** ناجي الدراوشة :**

توفي ناجي الدراوشة بتاريخ ٢٧ آذار ١٩٩٢م .

ولد الدراوشة عام ١٩٣٢م في قرية «رخم» من محافظة درعا ، تلقى علومه في درعا والسويداء ودمشق ، وحصل على الإجازة في الفلسفة من جامعة دمشق ، وعيّن مدرساً في دير الزور ، ثم أوفد في بعثة دراسية إلى بلجيكا وحصل على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد السياسي ، وعند عودته أوكلت إليه مهمة رئاسة تحرير جريدة «البعث» .. ثم تولى سدة وزارة الإعلام ومن بعدها وزارة التخطيط ..

وقد ترأس في مطلع الثمانينات تحرير مجلة «الاقتصاد» التي تصدرها وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية ، كما عمد إلى الترجمة من الفرنسية فقام بترجمة مجموعة من الكتب الفكرية وهي :

١ – أبعاد العالم العربي وآفاقه / تأليف عبدالحميد إبراهيمي ؛ (ترجمة) ·– دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٨٢م ، ٥٨٢ ص .

٢ – التجدد الاجتماعي : المنظومات الحية ، ثبات ، وتغير/ تأليف إيف باريل ؛ (ترجمة) ·– دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٨٢م ، جزآن ، ٧٦٠ ص .

٣ – تاريخ الأفكار السياسية / تأليف جان توشر ؛ (ترجمة)·– دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٨٤م ، جزآن، ١٢٤٦ص .

٤ – الجمهور والطبقة / تأليف فرانسو بيرو ؛ (ترجمة) ·– ط١ ·– دمشق : وزارة الثقافة، ١٩٨٥م، ١٧٢ص.

٥ – المال والإنتاج وخلل توازن الاقتصاد العالمي / تأليف فرانسوا بيرو .. وآخرين ، (ترجمة) ·– ط ١ ·– دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٨٨م ، ١٢٠ ص (من الفكر الاقتصادي ؛ ٧) .

٦ – الضياع والمجتمع الصناعي / تأليف فرانسوا بيرو ؛ (ترجمة) ·– دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٠م ، ١٥١ص ، (من الفكر الاقتصادي ؛ ١١) .

تشرين ١٤ /٤ /١٩٩٢م باختصار من مقال لعيد معمر . ما يتعلق بترجمات المتوفّى من إعداد كاتب هذه الرسالة .

رد على نقد

فكري زكي الجزار
إدارة التصنيف والفهرسة - مكتبة الملك فهد الوطنية

طالعتنا مجلة (عالم الكتب) بنقد لكتابي «مداخل المؤلفين العرب» في عددها رقم ٥ : ٥١٥ من السنة ١٣ ، قام به الأستاذ مجاور سيد مجاور سكران ، المحرر بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ويعمل حاليا بمكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض : فاستبشرت وفرحت بعمله هذا ، لعله يبصرني بما أخطأت فيه أو يردّني إلى الصواب إذا ارتكبت شططا فيجزيه الله عني خير الجزاء .

وبادئ ذي بدء يقول الأستاذ مجاور بأن عملنا هذا «مسبوق» . نعم إنه مسبوق ، وفي حقيقة الأمر أنه غير مسبوق في منهجه وتفرّده بعدم النقل الروتيني السائد في كتب مداخل المؤلفين - التي سبقتنا - وكتب التراجم والتاريخ ، فإنني أعرض الترجمة أو شبه الترجمة - سمّها ماشئت - وكل ما يتعلق بالمترجم له من خلافات من حيث : المدخل والترجمة وتاريخ الوفاة وما في الألقاب والكنى من خلافات كل ذلك مرصود في ثنايا ما نقدمه من عمل ، مع ثبت مراجع قلّ نظيره ؛ والأخرى أن كتابي هذا أشرف عليه الأستاذ الدكتور عبدالفتاح محمد الحلو ، مما جعله يتحدث عنه في مؤتمر بجامعة تونس : نوفمبر - ديسمبر سنة ١٩٨٤م ، واستعرض الذين ولجوا التأليف في «مداخل المؤلفين» بدءًا بالأستاذ الدكتور / محمود الشنيطي إلى أن ذكر عملي هذا فقال : **«ثم القائمة التي أعدّها الأستاذ فكري الجزار ... وهي قائمة تسير على النهج نفسه ، إلا أن صاحبها أكثر تدقيقا في الأعلام ، وتواريخ وفياتهم ، وإسناد المؤلفات إليهم ، وقد أدّى هذا إلى اكتشاف أخطاء كثيرة استدركها على مَنْ سبقه ، وعلى الأستاذ الزركلي في كتابه الأعلام ، والأستاذ كحالة في كتابه معجم المؤلفين» . فهذه شهادة من أستاذ خبير وقدير ، ورائد من الرواد التراثيين الذين قلّ نظيرهم «ولا ينبئك مثل خبير» .**

يقول مجاور : «اعتمد المعدّ على عدة طبعات من الكتاب الواحد ، ولم يشر في أكثر من موضع إلى كل طبعة مما يوقع الباحث والقارئ في حيرة عند العودة للمصدر ...»

لقد فاته من هذا الكثير ؛ فإذا كان بين يدي طبعات مختلفة فإنني أشير إلى ذلك على سبيل المثال لا الحصر : كتاب الأعلام منه ط٣ و ط٤ قدومًا وأبدًا أشير إلى الطبعتين ، وما كان في ط٣ ذكرناها منفردة ، وإذا كان في ط٤ ذكرناها منفردة ، وأحيانا يكون من الكتاب نسخة محققة ونسخة غير محققة فأشير إليهما في ثبت المراجع ، وفهرست ابن النديم منه طبعات في القاهرة و ط محققة في طهران ، فعند الاستفادة من الفهرست أشير إليهما ولا مشاحة في ذلك .

ولقد تعجل مجاور في هذا سامحنا الله وإياه .

وما دمت ذكرت ص ٨٩ فهلا اطلعت على ص٨٢-٨٣، ٩١ ، وغير ذلك كثير فقد جاء فيها ذكر «الأعلام» وطبعاته حتى السادسة . قال مجاور : لم يستكمل المعدّ بعض أرقام صفحات المصادر والمراجع ، وأشار إلى ترجمة «الآمدي» هامش رقم ٣ في ص ١٨ :

لكل إنسان أن يرجع إلى ما أشار إليه الأخ الناقد ويحكم بنفسه حيث أنه سيجد جميع المراجع مثبتة بصفحاتها . ومستعمل النظارة وغير مستعملها سواء حيث يجد الحق في جانبنا وشاهدا على إخلاصنا في عملنا ، وسقوط ادعاء الناقد .

زعم صاحبنا فقال : لم يضبط الأعلام ضبطا حرفيا مما يسهل قرائتها ونطقها النطق الصحيح إلا فيما ندر .

ضبط الأعلام ضبطا حرفيًا مطلوب في الأعلام المشكلة المبهمة ، التي يكون النطق بها عسيرا إن لم تك مضبوطة . وهذه مهمتنا ومن أُسّس العمل الذي نقوم به فمثلا «ابن خلكان» في ضبطه أقوال متعددة فقد قمت بضبطه وتقريب المعنى ، وهكذا مع كل مشكل مبهم ، وكثيرًا ما نقوم بضبطه إن كان في حاجة إلى هذا الضبط.

وأصحاب مداخل المؤلفين منهم من لم يضبط شكلا واحد فهل نعيبه ونزدريه ؟ اللهم غفرا وأيقظ البصائر مع الأبصار . انظر : ص ٤٤٩ من مداخلنا .

زعم مجاور بأن : «تواريخ الوفيات تحتاج إلى مراجعة وتدقيق والكثير منها غير متوافق» . وضرب الأمثلة .

ويبدو أن الناقد فاته أشياء كثيرة في هذا المقام وكل ما أشار إليه هو : خطأ مطبعي وواضح وضوح الشمس في رابعة النهار . فمثلا : الأجهوري ١١٩٠هـ / ١٥٧٦م والصحيح السنة الميلادية ١٧٧٦م فحصل الخطأ في رقم واحد . وكذلك ضرب مثلا بـ «الإدريسي» ٤٩٣ – ٥٦٠هـ / ١٠٠٠ – ١١٦٥م والخطأ أشار إليه الناقد هو: ١٠٠٠ وصحته ١١٠٠ م واضح أيضًا أنه خطأ مطبعي فات ناقدنا أن يحسّه بذوقه وجساسيته العلمية . وكل ما جاء على لسان ناقدنا هو تعجّل في الحكم . أرانا الله وإياه الحق ناصعًا .

ويمضي الأخ مجاور في نقده لعملنا فيرى بأن : «**الإحالات غير دقيقة** ويجب مراجعتها مثل في ص ٤٩ ؛ الإربلي . انظر: ابن الخطيب الإربلي محمد بن علي» وافترى علينا فقال : «**ولم ترد في ابن الخطيب أي لم تذكر له ترجمة في الكتاب**» .

ولو عاد مجاور إلى ص٤٣٨ من الكتاب فسيجد أن «ابن الخطيب الاربلي ، محمد بن علي» مسطورة ترجمته لكل ذي عينين .

يضرب الناقد مثلا فيقول : «في ص : ١١٣؛ الأنطاكي انظر : البسطامي ، عبدالرحمن بن علي ؛ والذي نجده في ص١٦٤ تحت البسطامي ، هو عبدالرحمن بن محمد !» .

وقد وضع تعجبا واحدا في آخر نقده ، ونحن يجب أن نضع مئة ألف تعجب وتعجب على تسرعه . فلو أنه قرأ ماكتبناه وشرحناه في ترجمة البسطامي عبدالرحمن بن محمد ... لوجد الحق واضحًا لأن عبدالرحمن بن علي هو عبدالرحمن بن محمد البسطامي . ومن شاء فليقرأ هذه الترجمة ليعلم ما تحملناه من مصاعب جمة للخلافات التي فيها ، أما عن «التنبكتي» بابا السوداني . فمن البدهي أن ما بها هو خطأ مطبعي لا يد لي فيه ، ويعلم أن «باب» من قبيل الخطأ المطبعي لا أقل ولا أكثر .

زعم وافترى علينا حينما قال : «**نقص في أسماء الأعلام** : ترك المعدّ له مكانا ولكنه لم يستكمله ؛ مثل : ص : ٥١؛ الاردبيلي ، يوسف بن إبراهيم ، جمال الدين . وكذا ص : ١٢١ ؛ ابن إياس : محمد بن أحمد بن إياس ، أبو البركات»

ولا نعرف كيف ذهب إلى القول : «... ولكنه لم يستكمله» . فهذه جرأة وأية جرأة . من ثم يبدو أن صاحبنا لا دراية له بدنيا التراجم ؛ لأنه لو كان قد عانى ما عنيناه في دنيا التراجم ما ادّعى هذا الادعاء .

إن هذه التراجم التي يرى مجاور أنها ناقصة هي في حقيقة الأمر كاملة مستوفاة لا نقص فيها ، ولا هناك نقص سنستكمله كما اعتقد . إن ترجمة الاردبيلي ، يوسف بن إبراهيم . لم تزد المصادر والمراجع شيئا عليها أكثر مما أثبتناه حتى أن «ابن قاضي شهبه» في طبقات الشافعية (ترجمة رقم ٦٧٦ في ٣ : ١٣٨) لم يذكر للمترجم له سوى اسمه فقط فقال : «يوسف» ثم ذكر لقبه . هل في هذا عيب ؟ !! .

وكذا «ابن إياس» فليتهم الناقد البصير أصحاب الكتب التالية :

- الأعلام ط٣ في ٦: ٢٣٢ ، ط٤ في ٦ : ٥ –
- تاريخ أداب اللغة العربية / جرجي زيدان في ٣ : ٣١٣ ط . بيروت : دار مكتبة الحياة .
- معجم المؤلفين ٨ : ٢٣٦ .

هم وغيرهم جميعًا لم يزيدوا حرفًا واحدًا عما كتبنا ، بل هناك ما هو أقل . وقس على هذا سائر افتراءاتك .

وهناك شاهد آخر : فابن جنى الذي طبقت شهرته الآفاق لا تعرف مصادر ومراجع التراجم وكتب التاريخ والطبقات على شيء منها ... سوى اسمه «عثمان» وكنيته أبو الفتح هل في تراثنا قصور ولدى علمائنا تقصير ؟ !!

وهلاً عنّى ناقدنا البصير واطلع على ترجمة «الزرنوجي» في ص٥٩٤ من الكتاب . فالذي لا يعلمه ناقدنا أن كل مَنْ ترجموا للزرنوجي قديمًا وحديثًا لم

يزيدوا عن قولهم : «برهان الإسلام الزرنوجي» لم يذكروا له اسما ولا أبا ولا سرد النسبة البتة حتى أن الأوربيين قالوا عنه : «فيلسوف عربي مجهول» ولينظر الكاتب ولير ما تجشمناه من المصاعب حتى أثبتنا له اسمًا ، ولنكون أخرجناه من الظلمة التي تندثر بها ترجمته .

وتحت عنوان : «تداخل المنهج» : أشار إلى عدة قضايا منها :

١ - عاب علينا أننا ذكرنا السيدة / خديجة بنت خويلد أم المؤمنين حيث موضعها هنا خروج عن المنهج الذي اختطته لنفسي . ثم يقول عنا : «فهو لا يحفل بالكنى بحيث لا يعتمدها كرأس مادة» ، ثم يضرب مثلا ، ويقول : «فنجد مثلا أبا الأسود في الهمزة ثم السين وهكذا ، ولكنه لم يطبق هذا وجعل (أم) رأس مادة» .

أ - بالنسبة لمدخل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها:

فإنه من منهجنا أن لا نضع في الاعتبار كلمات : أب ، ابن ، أم ، أخ ، أخت ، بنت ، وما شابه ذلك بلهجة قاطني شمال أفريقيا والحضارمة ومن نهج نهجهم .

فكل ما أشرنا إليه نثبته لفظًا ونهمله موضوعًا ، ولا ريب في هذا البتة حيث يعلمه القاصي والداني .

أما «أم المؤمنين» فقد استثنيناها من المنهج واعتبرناها علمًا قائمًا بذاته اختص به زوجات النبي ﷺ تبعًا لكتاب الله عزوجل الذي خصهم بأمومة المؤمنين : فهو رأس مادة تبعًا لكلامك (ولن نناقشك في التعبيرات المكتبية لأنك تجهلها تمامًا) .

ب - لقد جانبه الصواب حيث قال : «فهو لا يحفل بالكنى بحيث لا يعتمدها كرأس مادة (حسب تعبيرك) » .

ولا ندري من أين جاء بهذا الادعاء والزعم الباطل فالكتاب يفعم بالكنى والألقاب مثال : أبو بصير ، أبو البقاء ، ذو اليدين ، الشمس الرملي ، الجلال السيوطي ، أبو العلاء المعري ، أبو زبيد ، أبو زرعة ، أبو سعد الآبي ، أبو سعد المخزومي ، أم سلمة (زوج النبي صلى الله عليه وسلم) ، أبو شامة ، أبو الشمقمق ... وغير ذلك كثير وكثير مما يدحض ويفند مزاعمه .

٢ - يعيب علينا الناقد أننا نسرد تواريخ الوفاة للفرد الواحد في حال اختلافها ، وأننا لم نذكر من أين استقيناها وعدّ ذلك خطأ .

أقول له : ان باعك قصير وحياتك العلمية لا تحتمل ما تصديت له بغير حق .

لو أنك تعلم منهج الجهابذة من علمائنا مثل : ابن جرير الطبري - على سبيل المثال لا الحصر - كفى أننا نسرد جميع الخلافات من تاريخ الوفاة للشخص الواحد وإذا ما عثرنا على وثيقة مادية تختار الأصح أثبتناها وأشرنا إليها ويكفينا ثبت المصادر والمراجع في آخر الترجمة .

أما أننا نشير إلى التفرقة بين شخصين ونترجم لواحد منهما دون الآخر : فهذه حسنة من توفيق الله علينا أننا نحذر من الوقوع في الخطأ للتشابه بين شخصين أو أكثر .

ومن ناحية أخرى أننا لم نترجم للآخر فإننا نقول مرارًا وتكرارًا أن عملنا هذا مفتوح ، ومن لم نترجم له اليوم فبمشيئة الله سنترجمه غدا .

ومن بين الأثافي التي رمانا بها الناقد هو اختلاقه وادعاؤه عن وجود أعلام مشاهير ، وآخرين غير مشاهير ، وأننا أثبتنا بعض غير المشاهير ولم نترجم للمشاهير - هذا افتراؤه - وقال : أنني لم أترجم للأزهري صاحب التهذيب ، ولأعشى باهلة ، وابن الحاجب ، صلاح الدين الأيوبي ... إلخ .

هذا ادعاء باطل وحكم بلا روية لحاجة في نفس يعقوب ، وإجمالاً ولعدم التكرار : إن ما لم نترجمه اليوم بمشيئة الله سنترجمه غدا ، وهذا عمل مفتوح ويكفي أن منهجه غير مسبوق .. وهاك الرد :

١ - الأزهري : صاحب التهذيب : في مداخلنا ١ : ٦١ .

٢ - ابن الحاجب : صاحب الكافية : في مداخلنا ١ : ٣٢٥.

٣ - صلاح الدين الأيوبي البطل المغوار : في مداخلنا ٢ : ٨٥٧ .

وغير ذلك كثير مما يدعي ناقدنا أننا لم نترجمه ، سرعان ما يستبين أننا ترجمناه ومذكور في الكتاب .

وبعد فهذه ترهات وأباطيل كلها «خرابيط» .

«فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض» .